

العقوق والبر

وما جاء فيهما في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم
وما روي عنهما من أحاديث الرسل والأنبياء والحكماء
من قصص وأقوال

العُفُوقُ وَالْبِرُّ

وما جاءَ فيهِمَا في التوراةِ والإنجيلِ والقرآنِ الكريمِ
وما رُويَ عنهُمَا منْ أحاديثِ الرُّسلِ والأنبياءِ والحُكماءِ
منْ قِصَصٍ وأقوالٍ

هالالُ مُحَمَّدٍ العِيسَى

دار الكتاب الحديث

العيسى، هلال محمد	
الْعُقُوقُ وَالْبِرُّ: وما جاءَ فِيهِمَا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وما رُوِيَ عَنْهُمَا مِنْ أَحَادِيثِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْحُكَمَاءِ مِنْ قَصَصٍ وَأَقْوَالٍ / تأليف: هلال محمد العيسى.	
ط 1 - القاهرة: دار الكتاب الحديث، 2019	
256 ص؛ 24 سم.	
تدمك 978 977 350 821 0	
1 - ديانات مقارنة.	
2 - البر والإحسان.	
أ - العنوان.	
291	

رقم الإيداع 2019 / 16152

حقوق الطبع محفوظة

1440 هـ / 2019 م

دار الكتاب الحديث
www.dkhbooks.com

القاهرة	94 شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة ص.ب 7579 البريدي 11762 هاتف رقم: 22752990 (00 202) فاكس رقم: 22752992 (00 202) بريد إلكتروني: dkh.cairo.22@gmail.com
الكويت	شارع الهلال، برج الصديق ص.ب: 22754 - 13088 الصفاه هاتف رقم 2460634 (00 965) فاكس رقم: 2460628 (00 965) بريد إلكتروني: dkhkuwait@gmail.com
الجزائر	B. P. No 061 - Draria Wilaya d'Alger - Lot C no 34 - Draria Tel & Fax: (21) 353055 Tel: (21) 354105 E-mail: dk.hadith@yahoo.fr

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى كل غافل ولاه عن طاعة الرحمن جل وعلا..

إلى كل من لم يعرف حقوق الوالدين..

إلى كل من أسرف على نفسه ولم يطع الرحمن فعقّ والديه..

إلى كل من فقد والديه أو أحدهما وكان عاقاً لهما. اغتنم ما تبقى لك من أيام في الدنيا وبرهما وهما في قبرهما.

إلى كل ابن بار بوالديه طاعة لله: انظر ماذا أعد الله لك..

هَلَالُ مُحَمَّدٍ الْعِيسَى

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا الأمين .

هذا كتاب تهيأت وتجهزت له بما تيسر لي بفضل الله تعالى، مما جاء في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، وبالمراجع المنتقاة، من كتب الحديث والتفسير والسير والمغازي والتاريخ والتراجم والزهد والرقائق والمعاجم، وما أتيح لي الاطلاع عليه بفضل من الله تعالى. عما جاء في عقوق وبر الوالدين وما ورد فيها من أقوال. وما أنزل الله تعالى فيها من الآيات في كتبه السماوية. وما روى عن الأنبياء والرسل والصحابة والحكماء على مرّ العصور، وما جاء فيها وما قيل عنهما.

وقد أثبت في هذا الكتاب الأصوب والأكمل إن شاء الله، مما وقفت عليه واقتنعت به، وعندما توكلت على الله وشرعت في العمل في هذا الكتاب، جعلت همتي في تتبع ما جاء عنهما، وكنت أعجب بالقول فأسعى في البحث عن قائله إن لم يكن اسمه معلوماً، فكنت أوفق في ذلك أحياناً فأثبت اسمه، وأحياناً أخرى لا أوفق في العثور على القائل فأكتفى بذكر قوله، حيث إن المغزى كان هو الاستفادة. وتوخيت الاختصار قدر الإمكان ليقل اللفظ ويسهل الفهم.

إن تفسيري للآيات أو الأحاديث شمل معنى ما تضمنه سياق النص القرآني أو الحديث الذي يتواءم مع الهدف، مركزاً فقط قدر الإمكان على ما يتعلق بموضوع الكتاب. ملتزماً بالتحقيق الدقيق للنصوص وسبر أغوارها، وذلك بمراجعتها على أكثر من مصدر عند الضرورة، وقمت بجمع نصوص الموضوع الواحد المتفرقة في المصادر بقدر الإمكان، بتصرف لا يخل بالنص الأساسي لمضمون النص نفسه مع الإشارة للمصادر الأساسية المستقى منها، ووجدت أن بعض المواد المذكورة قد تكون بها بعض الكلمات، الناقصة أو الساقطة من الطباعة في الأصل، أو لم تضاف، فأضفت من عندي عند الضرورة، ما يساعد على زيادة التوضيح دون الخروج عن الإطار العام للموضوع،

ولم أتدخل بحذف أو إضافة إلا إذا استدعى السياق العام ذلك، فما جاء بين [] فهو إضافة منى عند الضرورة إذا اقتضى سياق النص ذلك، أو أحببت أن أضيف جديداً على رأى غيرى مع تقديرى له، و [] فهو للانتباه، إلى أن بينهما نصاً قد أدخلته بمرجع مستقل عن المرجع الأصيل.

وخرجت الآيات القرآنية فأعدتها إلى سورها وأرقامها، وخرجت الأحاديث النبوية وقمت بشرح لبعض معانى الكلمات التى وردت. وعلقت وأضفت على بعض القصص عند الضرورة لذلك. ووثقت نصوص الكتاب قدر الإمكان بذكر من رواها أو رويت عنه أو أشار إليها، وكنت أتحرى اختلاف كلمات الحديث ولو بكلمة واحدة فأذكر الحديثين. لذا فقد يوجد تكرار لبعض الآيات أو الأحاديث أو الأقوال المتشابهة، وليس هذا من باب السهو، إنما هو من أجل التأكيد والإيضاح أو الاستشهاد بها فى ذلك الموضع، وستجد معنى جديداً بإذن الله فى كل تفسير .

وقد جاء الكتاب بفضل الله تعالى، فى تمهيد وثلاثة أبواب وعدة فصول لتتمة المقصود :

الباب الأول: العقوق وما جاء فيه وهو مكون من عشرة فصول .

الباب الثانى: البر وما جاء فيه وهو مكون من تسعة عشر فصلاً.

الباب الثالث: ما جاء فى حقوق الابن على والده وهو مكون من أربعة فصول .

وجعلت للكتاب فهرسين: الأول للمراجع والثانى فهرس الكتاب وإننى بهذا العمل أرجو أن أقدم عملاً يحوز رضا الله تعالى ومن يطلع عليه وهو ما أصبو إليه، فهذا ما يعزىنى فيما أنفقت فيه من جهد وعناء .

أسأل الله تعالى التوفيق وحسن الخاتمة..

هَلَالُ مُحَمَّدٍ الْعِيسَى

بسم الله الرحمن الرحيم

عفا الله عن هذا الزمان فإنه زمان عقوق ولا زمان حقوق

مقدمة الكتاب

إن الحمد لله أحمده وحده لا شريك له وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد: هذا كتاب وضع ل مداواة القلوب وترقيقها وإصلاحها، حاولت جاهداً أن أستفيد من تجارب الذين سبقوا في هذا المضمار. فلقد أردت أن أجمع ما قيل في عقوق وبر الوالدين وحقوقهما، وما جاء فيهما في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، وما روى عنهما من أحاديث الرسل والأنبياء والحكماء من قصص وأقوال، لأبين ما ورد في شأنهما، فذكرت ما لا يليق أن يقتدى به وذكر ما يليق أن يهتدى به .

إن الله تعالى لم يقرن شيئاً من العبادات في الإسلام بطاعته كما قرّن طاعة الوالدين، وتشدد في ذلك فقرن الإساءة إليهما وعدم البر بهما والإحسان إليهما بالإشراك به تعالى، وأؤكد من ذلك، أمر بمصاحبتهم في الدنيا بالمعروف وإن كانا مشركين كافرين به، يجاهدان الابن على الإشراك والكفر بالله تعالى مع قبح ذلك، وإن كان ذلك لكافياً. فما بالك إن كانا مسلمين مؤمنين موحدين بالله؟

إن البر بالوالدين أجلى مظهراً في هذه الأمة منه في غيرها، فلم يبلغ بر الوالدين مبلغاً في أمة من الأمم ما بلغه في أمة العرب والإسلام. فهو ركن مهم من أركان الدين في الإسلام ومن مفروضاته، عده الإسلام من أعظم الحقوق، فحضر على كل حسن ونبد كل قبيح، مبيناً ما يأخذون وما يتقون، وقد نصت شريعتهم وسنتهم على ذلك، بل وعاداتهم وتقاليدهم منذ زمن الجاهلية الأولى. وأخذ الله تعالى على الولد ألا يؤذيها بأقل

القليل ولو بكلمة أف، فإن أغضبتهما أو أحزنتهما أو أبكيتهما أو جافيتهما أو همشت دورهما في حياتك تحت أى مسمى فقد آذيتهما وخالفت قول الله تعالى وقول رسوله ﷺ فيها .

فانتظر ما أعد لك الله في الدنيا والآخرة. فقد جاء في الحديث القدسي: قوله تعالى: سل الأبناء هل أطاعنى منهم أحد فشقى بطاعتي، أو عصانى فسعد بمعصيتي⁽¹⁾.. فمن خالف أمر الله ووصيته إياه فيها، فهو لغير ذلك من حقوق الله أشد مخالفة وتهاونا وتضييعاً .

بنى: إن العقوق لا ينفع معه صلاة أو زكاة أو حج أو صيام، لقوله ﷺ وهو الصادق: ثلاثة لا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً⁽²⁾: العاق لوالديه، والمنان، والمكذب بالقدر⁽³⁾..

إن الأبناء صنفان لا ثالث لهما: صنف يمثل البر بأجل صورة وأرقها وأرحها. وصنف يمثل العقوق بأشع صور الجحود والنكران .

صنفان: عرف أحدهما حق الله تعالى ووالديه عليه، فازداد من الله ووالديه تقرباً وطاعة وغفراناً وتسامحاً، طمعا في كريم ثوابه يوم القيامة، متحملاً ما قد يصدر من والديه أحياناً ما قد يكدر خاطره، وفعل ما يسرهما من الطاعة لله تعالى فيهما مما ليس بمنهى عنه، فأحسن الله إليه في الدنيا والآخرة .

والصنف الآخر: علم فلم يعمل، ونصح فلم يسمع، قسى قلبه عليهما فلم يطع الله ورسوله فيهما، فهمش والديه قصداً بحجة إراحتهما وعدم إزعاجهما، فاعتبرهما كأنهما قطع من أثاث المنزل.. لا يستشاران.. ولا يؤخذ برأيهما مدعياً أنه لا يريد أن يشغلها أو

(1) الطبري ج 1 ص 321.

(2) صرفاً ولا عدلاً: أي فرضاً ولا نفلاً ولا عملاً.

(3) رواه الطبراني في الكبير (7547) وابن أبى عاصم في السنة رقم (323) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (3065) .

يقحمهما في أمور لا شأن لهما بها، من سفر أو تجارة، بل بلغ من بعضهم حتى الزواج؟! وهنا تكتمل المأساة ويبلغ العقوق الأسود ذروته .

فيا من أبكى أبويه وأحزنهما وأسهر ليلهما وسوّد أيامهما وأظلم نهارهما وحملهما أعباء الهموم وجرعهما غصص الفراق ووحشة البعد وألم العصيان وعدم الطاعة وألجأهما إلى الله فيما يفعل، اتق الله اتق الله اتق الله، واعلم أنه كما ترحم تُرحم وكما تدين تُدان، وبالكيل الذي تكتال به يكال لك، وكما تزرع تحصد، وبالكأس الذي تسقى به تشرب وزيادة لأن البادى لا بد أن يزاد .

فاعلم بأنه ليس من الرحمة والعدل والإحسان، أن يحسنا إليك صغيرا ويكيان عليك إشفافا وحذرا ويدعوان الله لك، وكبيرا يكيان منك خوفا وفرقا!! أفلو بقى الأبوان عقيمين أليس ذلك خيرا لهما من أن يلدا أولادا عاقين. أم أنه قد أصبح بر الوالدين واحترامهما من النوادر؟

وفى ذا الدهر مُعْتَبِرٌ لْعَبْدٍ غدا ما بينَ بَاكِيةٍ وبَاكِ
ودُنْيَا كُلِّمَا أَصْبَحْتَ أَشْكُو عقوق الدهر لم أرَ غَيْرَ شَاكِ

بنى: يا من أضاع فرصة برهما وهما أحياء في هذه الدنيا، وعلم بعد موتها مدى غفلته، فندم وتمنى لو أن الله يبعثها أحياء من جديد ليكفر عن أخطائه بحقهما وليزداد من دعائهما له. نصيحه أنصحك بها وأقولها لك إن كان بك خير: اغتنم ما تبقى لك من أيام في الحياة وبرّهما وهما في قبرهما فهذه فرصتك الأخيرة، وذلك بالدعاء والاستغفار وطلب الرحمة لهما، لعل رحمة من الله تشملهما وإياك، أسأل الله أن يقر أعين المسلمين بصلاح أبنائهم وستر بناتهم، إنه على كل شيء قدير..

هلال محمد عبدالله العيسى

الباب الأول

العقوق وما جاء فيه

الفصل الأول: تعريف العقوق

1 - عَقَّ والدَه: يَعُقُّه عَقًّا وَعُقُوقًا وَمَعَقَّةً: شَقَّ عصا طاعته. وعَقَّ والديه: قطعهما ولم يَصِلْ رَحِمَهُ منهما، وقد يُعَمُّ بلفظ العُقُوق جميع الرِّجَم. ورجل عَقَقَّ وعُقُق وعَقَّ: عاقَّ، والجمع عَقَقَّة مثل كَفَرَةٍ، وقيل: العَقَّ، المرُّ من الماء العُقاق والمَعَقَّةُ: العُقُوق.

وفي المثل: أَعَقَّ من ضَبَّ. قال ابن الأعرابي: إنما يريد به الأُنثى، وعُقُوقُها أنها تأكل أولادها. وعَقَق: معدول عن عاق للمبالغة كغدر من غادر، وفُسَق من فاسق. والعُقُق: البعداء من الأعداء.

والعُقُق أيضاً: قاطعو الأرحام. ويقال: عاققت فلاناً أعاقفه عِقاَقاً إذا خالفته.

قال ابن برى: عَقَّ والدَه يَعُقُّ عَقُوقًا وَمَعَقَّةً.

وفي الحديث: أنه ﷺ، نهى عن عُقُوقِ الأُمّهات، وهو ضد البرِّ، وأصله من العَقَّ الشَّقَّ والقطع، وإنما خَصَّ الأُمّهات وإن كان عُقُوقُ الآباءِ وغيرهم من ذوى الحقوق عظيماً لأنَّ لِعُقُوقِ الأُمّهات مزيّة في القبح..

* * *

الفصل الثاني: ما جاء في القرآن الكريم عن العقوق

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أَفِّ لَكُمْ أَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَكْبِرَانِ اللَّهُ وَبِكَ ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١) ..

2- لما ذكر تعالى حال الداعين للوالدين البارين بهما وما لهم عنده من الفوز والنجاة عطف بحال الأشقياء العاقين للوالدين تعالى: (وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أَفِّ لَكُمْ أَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ) وهذا نعت من الله تعالى ذكره نعت ضال به كافر، وبوالديه عاق، وهما مجتهدان في نصيحتته ودعائه إلى الله، فلا يزيده دعاؤهما إياه إلى الحق، ونصيحتهما له إلا عتوا وتمردا على الله، وتماديا في جهله، يقول الله جل ثناؤه (وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ) أن دعواه إلى الإيمان بالله، والإقرار ببعث الله خلقه من قبورهم، ومجازاته إياهم بأعمالهم (أَفِّ لَكُمْ) يقول: قدرا لكما ومنتنا. (أَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ) من قبري من بعد فنائي وبلائي فيه حيا وأن أبعث بعد الموت.

عن الحسن قال: هو الكافر الفاجر العاق لوالديه، المكذب بالبعث. (وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي) أتعذاني أن أبعث وقد مضت قرون من الأمم قبلي، فهلكوا فلم يبعث منهم أحد، ولو كنت مبعوثا بعد وفاتي كما تقولان، لكان قد بعث من هلك قبلي من القرون. يقول تعالى ذكره (وَهُمَا يَسْتَكْبِرَانِ اللَّهُ) ووالداه يستصرخان الله عليه ويستغيثانه عليه أن يؤمن بالله ويقر بالبعث ويقولان له: (وَبِكَ ءَامِنٌ) أى صدق بوعد الله وأقر أنك مبعوث من بعد وفاتك (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) أنه باعثهم من قبورهم، ومخرجهم منها إلى موقف الحساب لمجازاتهم بأعمالهم حق لا شك فيه. فيقول عدو الله مجيبا لوالديه، وردا عليها نصيحتهما، وتكذيبا بوعد الله: (مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) ما هذا الذى تقولان لى وتدعوانى إليه من التصديق بأنى مبعوث من بعد وفاتي من قبري، إلا ما سطره الأولون من الناس من الأباطيل، فكتبوه، فأصبتماه أنتما فصدقتهما..

(1) سورة الأحقاف الآيات 17.

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ (٢٠) (١).

3- هذا تنبيه للناس وإيدان بأنهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على إثارة العاجلة واتباع الشهوات، كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار، والبون العظيم بين أصحابها، وأن الفوز العظيم مع أصحاب الجنة والعذاب الأليم مع أصحاب النار. فمن حقهم أن يعلموا ذلك وينبهوا عليه، كما تقول: لمن يعق أباه: هو أبوك! تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الأبوة الذي يقتضى البر والتعطف..

4- عن قتادة: أنه ذكر الغلام الذي قتله الخضر فقال: قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما. فليرض امرؤ بقضاء الله فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب .

قال تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّكَدَجِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ (٧٤) (٢) ..

5- [لما خرج موسى والخضر] من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان، ليس فيهم أضواء منه، فأخذ بيده فقتله. قال أبو العالية: لم يره إلا موسى، ولو رآوه [أهل الغلام] لخالوا بينه وبين الغلام. وكان الخضر قتله لما علم من سيره، وأنه طبع كافرا كما في صحيح الحديث، وأنه لو أدرك لأرهبه أبويه كفرا، وقتل الصغير غير مستحيل [إلا] إذا أذن الله في ذلك، فإن الله تعالى الفعال لما يريد، القادر على ما يشاء. وفي كتاب العرائس: إن موسى لما قال للخضر (أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ) غضب الخضر واقتلع كتف الصبي الأيسر وقشر اللحم عنه، وإذا في عظم كتفه مكتوب: كافر لا يؤمن بالله أبدا. وفي الخبر: إن هذا الغلام كان يفسد في الأرض، ويقسم لأبويه أنه ما فعل، فيقسمان على قسمه، ويحميانه ممن يطلبه. قالوا وقوله: "بغير نفس" يقتضى أنه لو

(1) سورة الحشر آية 20.

(2) سورة الكهف آية 74.

كان عن قتل نفس لم يكن به بأس، وهذا يدل على كبر الغلام، وإلا فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس، وإنما جاز قتله لأنه كان بالغاً عاصياً. قال ابن عباس: كان شاباً يقطع الطريق، وذهب ابن جبير إلى أنه بلغ سن التكليف لقراءة أبي وابن عباس (وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين) والكفر والإيمان من صفات المكلفين، ولا يطلق على غير مكلف إلا بحكم التبعية لأبويه، وأبوا الغلام كانا مؤمنين بالنص فلا يصدق عليه اسم الكافر إلا بالبلوغ، فتعين أن يصار إليه والغلام من الاغتيال وهو شدة الشبق.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا زَكَّوْهُ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۚ﴾ (٨١) (١) ..

(فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا) أى خفنا أن يرهقهما طغيانا وكفرا، وهو الاستكبار على الله. وقيل: الخشية بمعنى الكراهة، يقال: فرقت بينهما خشية أن يقتتلا، أى كراهة ذلك. و(يُرْهِقُهُمَا) يحشمهما ويكلفهما، والمعنى أن يلقيهما حبه في اتباعه فيضلا ويتدينا بدينه. والخشية والخوف توجههما العرب إلى معنى الظن، وتوجه هذه الحروف إلى معنى العلم بالشيء الذى يدرك من غير جهة الحس والعيان. وقوله (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا زَكَّاهُ وَأَقْرَبَ رُحْمًا) أى أن يرزقهما الله ولداً أزكى من هذا وهو أرحم بهما منه. قاله ابن جريج وقال قتادة: أبر بوالديه، وقد تقدم أنهما بدلا جارية، وقيل: لما قتله الخضر كانت أمه حاملا بغلام مسلم قاله ابن جريج. ويستفاد من هذه الآية تهوين المصائب بفقد الأولاد وإن كانوا قطعاً من الأكباد، ومن سلم للقضاء أسفرت عاقبته عن اليد البيضاء..

قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوْلَكُمُ وَأَوْلَدُكُمْ فَتَنَّهُ...﴾ (٢٨) (٢) ..

6- إنما أموالكم التى خولكموها الله وأولادكم التى وهبها الله لكم اختبار وبلاء أعطاكموها ليختبركم بها ويبتليكم، لينظر كيف أنتم عاملون من أداء حق الله عليكم فيها

(1) سورة الكهف الآيات 80 / 81.

(2) سورة الأنفال آية 28.

والانتهاء إلى أمره ونهيه فيها. عن ابن مسعود: ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، فمن استعاذ منكم فليستعذ بالله من مضلات الفتن. قال عبد الله بن أبي قتادة والزهرى: أنزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بنى قريظة لينزلوا على حكم رسول الله ﷺ فاستشاروه في ذلك فأشار عليهم بذلك وأشار بيده إلى حلقه أى إنه الذبح ثم فطن أبو لبابة ورأى أنه قد خان الله ورسوله، فحلف لا يذوق ذواقا حتى يموت أو يتوب الله عليه، وانطلق إلى مسجد المدينة فربط نفسه في سارية منه، فمكث كذلك تسعة أيام حتى كان يجر مغشيا عليه من الجهد، فأنزل الله توبته على رسوله فجاء الناس يبشرونه بتوبة الله عليه، وأرادوا أن يجلوه من السارية، فحلف لا يجله منها إلا رسول الله ﷺ بيده، فحله ﷺ..

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٩) ..⁽¹⁾

7- يقول تعالى ذكره آمرا لعباده المؤمنين الذين صدقوا الله ورسوله بكثرة ذكره وناهيا لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك، ونخبرا لهم بأنه من التهي بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره، فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهلهم يوم القيامة، المغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته تبارك وتعالى. ثم حثهم على الإنفاق في طاعته..

قال تعالى: ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ.....﴾ (٢) ..⁽²⁾

8- بين الرب عز وجل، أن الأهل والأولاد لا ينفعون شيئا يوم القيامة إن عصى من أجل ذلك. [فيوم القيامة] يفصل بينكم، فَيُدْخِلُ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ وَيُدْخِلُ الْكَافِرِينَ النَّارَ. فلا يدعونكم أرحامكم وقرباتكم وأولادكم إلى الكفر بالله، واتخاذ أعدائه أولياء تلقون

(1) سورة المنافقون آية 9.

(2) سورة الممتحنة آية 3.

إليهم بالمودة. إن أرحامكم وأولادكم [لن] تدفع عنكم عذاب الله يومئذ إن أنتم عصيتموه في الدنيا، وكفرتم به. وكان سبب نزول هذه السورة الكريمة، قصة حاطب بن أبى بلتعة، كان رجلاً من المهاجرين ومن أهل بدر أيضاً، وكان له بمكة أولاد ومال، ولم يكن من قريش أنفسهم بل كان حليفاً لعثمان، فلما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة لما نقض أهلها العهد، أمر النبي المسلمون بالتجهيز لغزوهم وقال: اللهم عم عليهم خبرنا.

فعمد حاطب فكتب كتاباً وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة يعلمهم بما عزم عليه رسول الله ﷺ من غزوهم. فأطلع الله تعالى على ذلك رسوله ﷺ استجابة لدعائه فبعث في إثر المرأة فأخذ الكتاب منها، وهذا بين في هذا الحديث المتفق على صحته. فقال رسول الله ﷺ: يا حاطب ما هذا؟ قال: لا تعجل على، إني كنت امرئاً ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهلهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: إنه صدقكم. فقال عمر رضي الله عنه: دعني أضرب عنق هذا المنافق؟ فقال رسول الله ﷺ: إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.. هكذا أخرجه الجماعة إلا ابن ماجة وهذا الحديث متفق على صحته..

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْاْ وَتَصَفَّحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ١٥ ﴿١٥﴾ (1) ..

9- قال عطاء بن يسار: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، كان ذا أهل وولد وكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورققوه فقالوا: إلى من تدعنا؟ فيرق فيقيم [معهم ويترك الغزو]. وعن ابن عباس سأله رجل عن الآية فقال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن

(1) سورة التغابن الآيات 14/15.

يأتوا النبي [مهاجرين إلى المدينة]، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا النبي، فلما أتوا النبي [بعد مدة] ورأوا الناس قد فقهوا في الدين، هموا أن يعاقبوهم.. هذا حديث حسن صحيح..

10- قال القاضي أبو بكر بن العربي: هذا يبين وجه العداوة، فإن العدو لم يكن عدواً لذاته وإنما كان عدواً بفعله. فإذا فعل الزوج والولد فعل العدو كان عدواً، ولا فعل أقبح من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة. كما أن الرجل يكون له ولده وزوجه عدواً، كذلك المرأة يكون لها زوجها وولدها عدواً بهذا المعنى بعينه. وعموم قوله: (مِنْ أَرْوَاجِكُمْ) يدخل فيه الذكر والأنثى لدخولهما في كل آية. والله أعلم.

(فَاخْذَرُوهُمْ) على أنفسكم. والحذر على النفس يكون بوجهين: إما لضرر في البدن وإما لضرر في الدين. وضرر البدن يتعلق بالدنيا وضرر الدين يتعلق بالآخرة.

فحذّر الله سبحانه العبد من ذلك وأنذره به. وقال الحسن [البصري]: أدخل (مِنْ) للتبعض، لأن كلهم ليسوا بأعداء. وقال مجاهد: ما عادوهم في الدنيا ولكن حملتهم مودتهم على أن أخذوا لهم الحرام فأعطوه إياهم. والآية عامة في كل معصية يرتكبها الإنسان بسبب [إرضاء أو طاعة] الأهل والولد. وخصوص السبب لا يمنع عموم الحكم. عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: ليس عدوك الذي إن قتلته كان فوزاً لك، وإن قتلك دخلت الجنة، ولكن الذي لعله عدو لك، ولدك الذي خرج من صلبك، ثم أعدى عدو لك مالك الذي ملكت يمينك. وفي البخاري من حديث أبي هريرة، عن النبي قال: إن الشيطان قعد لابن آدم في طريق الإيمان فقال له: أتؤمن وتذر دينك ودين آبائك، فخالفه فأمن ثم قعد له على طريق الهجرة فقال له: أتهاجر وتترك مالك وأهلك، فخالفه فهاجر. ثم قعد له على طريق الجهاد فقال له: أتجاهد فتقتل نفسك فتتكح نساؤك ويقسم مالك فخالفه فجاهد فقتل. فحق على الله أن يدخله الجنة..

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا....﴾ (٣٣) (١) ..

11- قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ) يعنى الكافر والمؤمن، أى خافوه ووحده (وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا) أى لو أراد أن يفديه بنفسه لما قبل منه، وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يقبل منه. ولا أخ عن أخيه ولا عبد عن سيده ولا يهتم أحد بغيره ولا يحزن لحزنه ولا أحد يرحمه، كل مشفق على نفسه، ولا يؤخذ إنسان عن إنسان، ولا يحمل وزره معه غيره ولا يؤخذ أحدهما عن الآخر، لأن الأمر يصير هنالك بيد من لا يغالب، لا يتكلم فيه أحد إلا بإذن الرحمن ولا تنفع عنده الشفاعة والوسائل إلا وسيلة من صالح الأعمال التى أسلفها فى الدنيا..

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا....﴾ (١٠) (٢) ..

12- أى لن تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم ولن ينجيهم من عقوبة وعذاب الله شيئا إن أحلها بهم عاجلا فى الدنيا على تكذيبهم بالحق بعد تبينهم..

قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٥٥) (٣) ..

13- أى لا تستحسن ما أعطيناهم ولا تمل إليه، فإنه استدراج [لهم] فلا تعجبك أموالهم، ولا أولادهم فى الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الدنيا [والآخرة]. فى الدنيا [بما ألزمهم فيها من فرائضه] [التي لم يعملوا بها] ولأنهم منافقون، فهم ينفقون

(1) سورة لقمان آية 33.

(2) سورة آل عمران 10.

(3) سورة التوبة آية 55.

كارهين غير طيبى النفس، فيعذبون بما ينفقون. وفي الآخرة تزهق أنفسهم، وهم كفرون
فى الآخرة. نص فى أن الله يريد أن يموتوا كافرين، سبق بذلك القضاء..

الفصل الثالث: ما جاء في أحاديث الرسول ﷺ عن العقوق

14- عن أبي ذر الغفاري عن النبي قال: إذا اقترب الزمان كثرت لبس الطيالة وكثرت التجارة وكثر المال، وعظم رب المال لماله، وكثرت الفاحشة وكانت إمرة الصبيان وكثر الفساد وجار السلطان وطفف في المكيال والميزان ويربى الرجل جرو كلب خير له من أن يربى ولدا، ولا يُوقَّر كبير ولا يرحم صغير، ويكثر أولاد الزنى حتى إن الرجل ليغشى المرأة على قارعة الطريق! فيقول أمثلهم في ذاك الزمان: لو اعتزلتم عن الطريق. يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب أمثلهم في ذلك الزمان المداهن⁽¹⁾.. [اللهم إنا نعوذ بك من زمان اجتمعت به تلك العلامات فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم]..

15- عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كل الذنوب يؤخر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة، إلا عقوق الوالدين، فإن الله تعالى يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات⁽²⁾.. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.. أى كل الذنوب يؤخر الله تعالى ما شاء منها (أى جزاءه) إلى يوم القيامة، فيجازى بها فاعلها فيه إن شاء. قال الطيبي: إلا عقوق الوالدين أى الأصلين المسلمين، فإن الله يعجل عقوبته لصاحبه في الحياة الدنيا قبل الممات، ولا يغتر العاق بتأخير التأثير حالا بل يقع ولو بعد حين. كما وقع لابن سيرين أنه لما ركب الدّين اغتم فقال: إني لأعرف هذا الغم بذنب أصبته منذ أربعين سنة..

16- وقيل: أسرع الشر عقوبة، البغى وقطيعة الرحم. والمراد بالسرعة هنا أنه تعالى يعجل عقابه في الدنيا ولا يؤخره للآخرة، بدليل الخبر المار: اثنتان يعجل الله عقوبتهما في الدنيا [الحديث السابق].

(1) المعجم الأوسط ج 5 ص 126.

(2) المستدرك على الصحيحين ج 4 ص 172 رقم 7263، فيض القدير شرح الجامع الصغير ج 5 ص 10.

وفي حديث آخر: البغى واليمين الفاجرة⁽¹⁾.. فدل على عدم الانحصار في عدد، وإنما كان المصطفى ﷺ يخاطب كل إنسان بما يليق بحاله، وبما هو ملتبس به، أو يريد العزم عليه. فلذلك اختلفت الأجوبة..

17- قال جابر بن عبد الله: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن مجتمعون فقال: يا معشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم، فإنه ليس من ثواب أسرع من صلة رحم، وإياكم والبغى، فإنه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة البغى، وإياكم وعقوق الوالدين، فإن ربح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام، والله لا يجدها عاق، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان، ولا جار إزاره خيلاء. إنما الكبرياء لله رب العالمين والكذب كله إثم، إلا ما نفعت به مؤمنا ودفعت به عن دين⁽²⁾.. [إلى آخر الحديث]..

18- وعن رسول الله ﷺ قال: أرايتم الزانى والسارق وشارب الخمر، ما ترون فيهم؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هن فواحش وفيهن عقوبة. ثم قال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وقول الزور، وقتل المسلم، وقذف المحصنة⁽³⁾..

19- عن أبي بكرة قال رسول الله ﷺ: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين. وكان متكئا فجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، ألا وقول الزور وشهادة الزور. فما زال يقيؤها حتى قلت: لا يسكت⁽⁴⁾..

20- عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى النبي فقال: يا رسول الله ما الكبائر؟ قال: الإشراف بالله.

قال: ثم ماذا؟ قال: ثم عقوق الوالدين.

(1) فيض القدير ج 1 ص 369.

(2) المعجم الأوسط ج 6 ص 159.

(3) مسند إسحاق بن راهويه ج 1 ص 402 رقم 444.

(4) صحيح البخاري ج 5 ص 229 رقم 5631.

قال: ثم ماذا؟ قال: اليمين الغموس.

قلت: وما اليمين الغموس؟ قال: الذى يقتطع مال امرئ مسلم [يمين] هو فيها كاذب⁽¹⁾..

21- عن عبد الله بن أنيس، عن رسول الله ﷺ قال: من أكبر الكبائر، الشرك بالله، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس. وما حلف حالف بالله على يمين صبر فأدخل فيها مثل جناح البعوضة، إلا كانت نكّته في قلبه إلى يوم القيامة⁽²⁾..

22- قال أبو محمد: صح عن النبي: عقوق الوالدين من الكبائر، وليس في العقوق أكثر من أن يكون الابن غنيا ذا مال، ويترك أباه أو أمه أو جده أو جدته تخدم الناس، فما خفض لهما جناح الذل من الرحمة من فعل ذلك بلا شك⁽³⁾..

23- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي: إن الله تعالى لا يحب العقوق⁽⁴⁾..

24- عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله ﷺ: من كبر تكبيرة في سبيل الله تعالى، كان له بها صخرة في ميزانه يوم القيامة، أثقل من السموات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما بينهن وما تحتهن. ومن قال: في سبيل الله، لا إله إلا الله والله أكبر ورفع بها صوته، كتب الله تعالى له رضوانه الأكبر ومن كتب الله عز وجل له رضوانه الأكبر، جمع بينه وبين إبراهيم ومحمد عليهما السلام في دار الجلال. فقل: وما دار الجلال؟ قال: دار الله تعالى التى سمى بها نفسه، فينظر إلى ذى الجلال والإكرام بكرّة ومساءً، كما ترون الشمس لا تشكون في رؤيتها، وله من الكرامة والنعيم كما قال الله: للذين أحسنوا الحسنى وزيادة، وقال للذين أحسنوا: الذين قالوا لا إله إلا الله. والحسنى الجنة والزيادة

(1) صحيح البخاري ج 6 ص 2535 رقم 6522.

(2) مسند ابن أبي شيبة ج 2 ص 346 رقم 850.

(3) المحلى ج 10 ص 108.

(4) كنز العمال ج 16 ص 193 رقم 45459.

النظر إلى وجه الله عز وجل، وقد حرم ذلك على قاتل النفس المؤمنة، وعاق الوالدين. وهم منى براء وأنا منهم بريء⁽¹⁾..

25- عن عبد الله بن عمرو عن النبي قال: لا يدخل الجنة عاق، ولا منان ولا ولد زنية ولا مدمن خمر⁽²⁾..

26- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي قال: لا يدخل الجنة مدمن خمر، ولا قاطع رحم، ولا ولد زنية، ولا عاق والديه، ولا من أتى ذات محرم⁽³⁾.. وولد الزنى محمول على من عمل عمل أبويه. والله أعلم..

27- عن مجاهد قال: لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا من أتى ذات محرم ولا مرتد أعرايبا بعد هجرة⁽⁴⁾..

28- عن أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ قال: لا يدخل الجنة كاهن ولا مدمن خمر ولا مكذب بقدر ولا عاق لوالديه⁽⁵⁾..

29- عن أنس بن مالك، قال رسول الله ﷺ: لا يلج حائط القدس مدمن خمر ولا العاق لوالديه، ولا المنان عطاءه⁽⁶⁾..

30- عن عمرو بن خويلد الخزاعي قال رسول الله ﷺ: لا ينظر الله إلى مانع الزكاة يوم القيامة، ولا إلى آكل مال اليتيم، ولا إلى ساحر، ولا إلى عاق⁽⁷⁾..

(1) لمطالب العالية ج 9 ص 274 رقم 1944.

(2) مسند الطيالسي ج 1 ص 303 رقم 2295.

(3) شعب الإيمان ج 6 ص 36 رقم 7876.

(4) الجامع ج 11 ص 136 رقم 20129.

(5) مسند الشاميين ج 3 ص 190، (رواه أحمد 6 / 441 وابن عساكر في تاريخ دمشق 16 / 32 / 2 وروى ابن ماجه 3376 القضية الوسطى منه ولا مدمن خمر وإسناده حسن كما قال البوصيري في مصباح الزجاجة 2212).

(6) مسند أحمد ج 3 ص 226 رقم 13384.

(7) الإصابة ج 4 ص 629 رقم 5831.

- 31- وعن النبي قال: شيئان يعجلهما الله في الدنيا: البغى وعقوق الوالدين⁽¹⁾..
- 32- عن أبي بكرة عن النبي قال: اثنتان يعجلهما الله في الدنيا: البغى، وعقوق الوالدين⁽²⁾..
- 33- عن أنس قال ﷺ: بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا: البغى والعقوق⁽³⁾..
- 34- عن ثوبان رضي الله عنه مرفوعاً: ثلاثة لا ينفع معهن عمل: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف⁽⁴⁾..
- 35- روى معاذ أن النبي قال: ثلاث من فعلهن فهو مجرم: من عقد لواء بغير حق فهو مجرم، ومن مشى مع ظالم لينصره فهو مجرم، ومن عق والديه فهو مجرم⁽⁵⁾. ثم قرأ قوله تعالى: ﴿...إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾⁽⁶⁾
- 36- عن عبد الله [بن عمر رضي الله عنهما] قال رسول الله ﷺ: ثلاث لا يدخلن الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق والديه، والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال، والديوث. وثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق بوالديه، والمدمن الخمر، والمنان بما أعطى⁽⁷⁾..
- 37- عن أبي أمامة قال رسول الله ﷺ: ثلاثة لا يقبل الله منهم يوم القيامة صرف ولا عدل، عاق، ومنان، ومكذب بالقدر⁽⁸⁾..

(1) تخريج الأحاديث والآثار ج 2 ص 122 رقم 593.

(2) كنز العمال ج 16 ص 193 رقم 45458.

(3) كنز العمال ج 16 ص 200 رقم 45550.

(4) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ج 1 ص 292.

(5) تفسير السمعاني ج 4 ص 252.

(6) سورة السجدة آية 22.

(7) مسند أحمد ج 2 ص 134 رقم 6180.

(8) المعجم الكبير ج 8 ص 119 رقم 7547.

- 38- وقد ورد في هذا الباب عدة أخبار، من ذلك قوله ﷺ: ثلاث يطفين نور العبد: أن يقطع ود أبيه، ويبدل سنة صالحة، ويزنى ببصره في الحجرات⁽¹⁾..
- 39- وقال النبي: لا يرى وجهي ثلاثة أنفس: العاق لوالديه، والتارك لستتي، ومن لم يصل على إذا ذكرت بين يديه⁽²⁾..
- 40- عن ابن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: ثلاثة حرّم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق لوالديه، والديوث الذي يقر الخبث في أهله⁽³⁾.. رواه أحمد واللفظ له والنسائي والبزار والحاكم وقال صحيح الإسناد..
- 41- عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: ثلاثة لا تقبل لهم صلاة ولا تجاوز صلاتهم رؤوسهم شبرا: رجل بات ووالداه ساخطان عليه أو أحدهما في حق. وامرأة بلغت المحيض فصلّت بغير قناع. ورجل أمّ قوما وهم له كارهون⁽⁴⁾..
- 42- قال النبي: ثلاثة لا يجدون ريح الجنة وإن ريحها ليوجد [من] مسيرة خمسمائة عام: العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والبخیل المنان⁽⁵⁾..
- [وفي قول آخر] قال ﷺ: إن الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم⁽⁶⁾..
- 43- عن أبي هريرة يقول أربعة لا يلجون الجنة: عاق بوالديه، ومدمن خمر ومنان، وولد زنا.. وقد رواه عبد الكريم عن مجاهد قوله: وجعل بدل زنية المرتد أعرايا بعد هجرة⁽⁷⁾..

(1) غذاء الألباب ج 1 ص 303.

(2) تنقيح القول الحثيث ج 1 ص 58 .

(3) حسن الأسوة ج 1 ص 534.

(4) مسند الشاميين ج 3 ص 518 رقم 2073 .

(5) جامع الأحاديث ج 4 ص 179 رقم 10951.

(6) تنقيح القول الحثيث ج 1 ص 58.

(7) سنن النسائي ج 3 ص 176 رقم 4922.

44- عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمًا: مدمن خمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه⁽¹⁾..
[المعنى أى من داوم على شرب الخمر فأصبح مدمناً لها لا يتركها. وآكل الربا وموكله وآكل مال اليتيم بغير حق، قيد به فى مال اليتيم دون الربا، لأنّ أكل الربا يكون بغير حق بخلاف مال اليتيم، والعاق لوالديه، أى المستحل لغضبهما المتجاهل حقوقهما العاص لهما أو أحدهما، والله أعلم] ..

45- عن زيد بن ثابت قال رسول الله ﷺ: خمس يعجل الله لصاحبها العقوبة: البغى والغدر وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم ومعروف لا يشكر⁽²⁾ ..

46- عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: خمس هن قواصم الظهر: عقوق الوالدين، والمرأة يأتمنها زوجها وتخونه، والإمام يطيعه الناس ويعصى الله عز وجل، ورجل وعد عن نفسه خيراً فأخلف، واعتراض المرء فى أنساب الناس⁽³⁾ ..

47- عن على قال رسول الله ﷺ: إذا عملت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء: قيل: وما هى يا رسول الله؟ قال: إذا كان المغنم دولا، والأمانة مغنما والزكاة مغرما، وأطاع الرجل زوجته وعق والده، وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الأصوات فى المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الناس مخافة شرهم وشرب الخمر، ولبس الحرير، واتخذت القينات والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فلترتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفاً ومسحاً⁽⁴⁾ ..

48- عن أنس بن مالك ؓ عن النبى قال: سبعة لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة ولا يزيكهم ولا يجمعهم مع العالمين، يدخلهم النار أول الداخلين إلا أن يتوبوا إلا

(1) شعب الإيمان ج 4 ص 397 رقم 5530.

(2) الفتح الكبير ج 2 ص 88 رقم 6091.

(3) شعب الإيمان ج 4 ص 291 رقم 5144.

(4) المجروحين من المحدثين ج 2 ص 206.

أن يتوبوا إلا أن يتوبوا. فمن تاب تاب الله عليه: الناكح يده، والفاعل والمفعول به، والمدمن بالخمير، والضارب أبويه حتى يستغيثا، والمؤذى جيرانه حتى يلعنوه، والناكح حليلة جاره⁽¹⁾.. تفرد به هكذا مسلمة بن جعفر..

49- عن أبي هريرة عن النبي قال: لعن الله سبعة من خلقه من فوق سبع سماوات، فردد اللعنة على واحد منهم ثلاث مرات. ولعن كل واحد منهم لعنة لعنة. فقال: ملعون ملعون ملعون من عمل عمل قوم لوط، ملعون من جمع بين المرأة وبناتها، ملعون من سب شيئا من والديه، ملعون من أتى شيئا من البهائم، ملعون من غير حدود الأرض، ملعون من ذبح لغير الله، ملعون من تولى غير مواليه⁽²⁾..

[وفي شعب الإيمان ج 4 ص 378 رقم 5472 عن أبي هريرة عن النبي بلفظ ملعون من عقى والديه، بدلا من ملعون من سب شيئا من والديه]..

50- قال شاعر:

وَكَيْفَ بِأَطْرَافِي إِذَا مَا شَتَّمْتَنِي وَمَا بَعْدَ شَتْمِ الْوَالِدَيْنِ صَلُوحُ

51- عن أبي هريرة قال عليه السلام: لا تقبل صلاة الساخط عليه أبواه غير ظالمين له⁽³⁾.. [أخرجه أبو الحسن بن معروف في فضائل بني هاشم وفي إسناده الواقدي قال الحافظ في التقریب 194/2 متروك على سعة علمه]..

52- عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بر والديه من قال لابنه: فداك أبي وأمي⁽⁴⁾..

53- عن خلف بن أمية قال: رأيت نافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يدخل الجنة شيخ زان ولا مدمن خمر ولا عاص لوالديه ولا متكبر⁽⁵⁾..

(1) شعب الإيمان ج 4 ص 378.

(2) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ج 16 ص 39 رقم 44043.

(3) كنز العمال ج 16 ص 198 رقم 45525.

(4) التدوين في أخبار قزوين ج 3 ص 168.

(5) معجم الصحابة ج 3 ص 140.

54- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لعن الله من لعن والديه، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من غير منار الأرض⁽¹⁾..

55- عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: ما بر أباه من شد إليه الطرف⁽²⁾..

56- وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: من وضع طعاماً طيباً في بيته وأكله دون والديه، حرمه الله تعالى لذيذ طعام الجنة. وقال عليه الصلاة والسلام: من بات شبعاناً رياناً وأحد والديه جوعان أو عطشان، حشره الله يوم القيامة جوعاناً وعطشاناً، ولم يستح الله تعالى من عذابه يوم القيامة⁽³⁾..

57- عن علي قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: من أحزن والديه فقد عقهما⁽⁴⁾.. [أى فعل بهما ما يحزنهما فقد عقهما]..

58- عن أبي هريرة قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لم يتل القرآن من لم يعمل به، ولم يبر والديه من حد النظر إليهما في حال العقوق، أولئك براء منى، وأنا منهم بريء⁽⁵⁾..

59- وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: من آذى والديه أو آذى أحدهما يدخل النار⁽⁶⁾..

60- وفي مرفوع حديث أبي هريرة عند الطبرانى والحاكم وقال: صحيح الإسناد: ملعون من عق والديه. وفي مرفوع حديث ابن عباس عند ابن حبان فى صحيحه: ولعن الله من سب والديه⁽⁷⁾..

(1) كنز العمال ج 16 ص 200 رقم 45546.

(2) شعب الإيمان ج 6 ص 197 رقم 7891.

(3) تنقيح القول الحثيث ج 1 ص 58.

(4) كنز العمال ج 16 ص 200 رقم 45548.

(5) الفردوس ج 3 ص 450 رقم 5382.

(6) لباب الحديث ج 1 ص 59.

(7) غذاء الألباب ج 1 ص 182.

61- عن أبي هريرة قال ﷺ: رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة. أخرجه مسلم في كتاب البر⁽¹⁾..

62- عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: رغم أنف رجل دخل عليه رمضان، ثم انسلخ ولم يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك أبويه أو أحدهما وهما حي ولم يدخله الجنة، ورغم أنف رجل ذكرت عنده ولم يصل على⁽²⁾..

63- عن أبي بن مالك عن النبي أنه قال: من أدرك والديه أو أحدهما، ثم دخل النار من بعد ذلك، فأبعده الله وأسحقه⁽³⁾..

64- [شكا رجل إلى رسول الله] سوء خلق أمه فقال: لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر؟ قال: إنها سيئة الخلق. قال: لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين؟ قال: إنها سيئة الخلق. قال: لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها وأظمأت لك نهارها؟ قال: لقد جازيتها. قال: ما فعلت؟ قال: حججت بها على عنقي. قال: ما جازيتها. وقال: إياكم وعقوق الوالدين، فإن الجنة يوجد ريحها من مسيرة ألف عام، ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ عاص ولا جارّ إزاره خيلاء. إن الكبرياء لله رب العالمين⁽⁴⁾..

65- عن جابر بن عبد الله قال: لما بُني لرسول الله ﷺ المنبر جعل له ثلاث عتبات فلما صعد رسول الله ﷺ العتبة الأولى قال: آمين، ثم صعد العتبة الثانية فقال: آمين، حتى إذا صعد العتبة الثالثة قال: آمين.

فقال المسلمون: يا رسول الله، رأيناك تقول: آمين ولا يرد أحد؟! فقال النبي: إن جبريل عليه السلام صعد قبل العتبة الأولى، فقال: يا محمد. قلت: لبيك وسعديك. قال: من أدرك أبويه أو أحدهما فلم يغفر له فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين. فلما صعد الثانية

(1) كنز العمال ج 16 ص 193 رقم 45478.

(2) جامع الأصول ج 11 ص 702 رقم 9355.

(3) مسند أحمد بن حنبل ج 4 ص 344 رقم 19049.

(4) تحفة الحبيب على شرح الخطيب (البجيرمي على الخطيب) ج 3 ص 654.

قال: يا محمد. قلت: لبيك وسعديك، قال: من أدرك شهر رمضان فصام نهاره وقام ليله ثم مات ولم يغفر له فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين .

فلما صعد العتبة الثالثة قال: يا محمد. قلت: لبيك وسعديك، قال: من ذكرت عنده ولم يصلّ عليك فمات ولم يُغفر له فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين فقلت: آمين⁽¹⁾..

66- وقال النبي: رأيت أقواماً معلقين في جذوع النار، فقلت: يا مالك: ما كان ذنبهم؟ قال: كانوا عاقين لوالديهم. فيقول الله جلّ وعلا: لا أخرجهم إلا برضا والديهم، فأقول: يا رب أخرجهم معي ينظرون عذابهم لعل أن يرحمهم. فيأمر الله بخروج عشرة رجال، فيمشون مع النبي فيأتون إلى جهنم فيأمر الله مالكاً يفتح لهم، فإذا رأوا أولادهم يعذبون فيكون ويقولون: ما علمنا أنهم في هذا العذاب الشديد، فيصيح كل واحد منهم لولده، فإذا سمعوا صوت آبائهم وأمهاتهم بكوا وقالوا: النار أحرقت أكبادنا والعقوبة أهلكتنا. فيبكي الآباء والأمهات ويقولون: يا محمد اشفع فيهم: فيقول لهم: لا يخرجون إلا بشفاعتكم فيقولون: إلهنا وسيدنا تفضل علينا بخروجهم من النار إلى الجنة؟ فيقول لهم الله: أنتم رضيتم عن أولادكم؟ فيقولون: نعم، فيقول الله للمالك: أخرج كل من طلبه أبواه، وآخر من لم يطلبه. فيخرجهم فحماً فيغمسون في ماء الحياة فينبت عليهم اللحم والشعر والجلد ويدخلون بهم الجنة⁽²⁾..

* * *

(1) شعب الإيمان ج 3 ص 309 رقم 3622.

(2) تحفة الحبيب على شرح الخطيب (البجيرمي على الخطيب) ج 3 ص 653.

الفصل الرابع:

ما جاء في مَنْ لم ينطق بالشهادة عند الموت لغضب والديه عليه

67- عن علي بن أبي طالب قال: كنا جلوسا مع النبي، إذ أتاه رجل فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. يا رسول الله، إن عبد الله بن سلام يدعوك ليودعك، وإنه مريض وعلى خروج من الدنيا، فلما سمع ذلك رسول الله ﷺ استوى قائما، ثم قال: قوموا بنا نزور أخانا عبد الله ثم مضى رسول الله ﷺ هو ومن معه من أصحابه حتى أتوا إلى منزله فاستأذنوا عليه، فأذن لهم في الدخول فوجدوه في غمرات الموت، فوقف رسول الله ﷺ عند رأسه وقال: يا عبد الله قل أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، فقالت في أذنه ثلاثا فلم يقلها! فقال النبي: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، امض يا بلال إلى امرأته واسألها ما كان يعمل زوجها في الدنيا وما كان شغله؟ فسألها فقالت له: يا بلال وحق رسول الله ما أعرف من يوم تزوجني أنه ترك الصلاة خلف رسول الله ﷺ، ولا مضى عليه يوم إلا تصدق فيه بشيء لوجه الله تعالى، فقال ﷺ: إن الأمر لعجيب أسألها يا بلال هل له والدة؟ فقالت: يا رسول الله إنها غضبانة عليه.

فقال النبي: يا بلال امض لوالدته؟ فمضى إليها وقال: أجيبي النبي، فقالت: وما ذلك؟ فقال: يصلح بينك وبين ولدك عبد الله، وإنه على خروج من الدنيا. فقالت: وحق رسول الله لا أمضى ولا أجعلنه في حل مما آذاني، لا دنيا ولا أخرى، ثم إنها امتنعت! فأتى بلال إلى النبي وأعلمه فقال النبي: يا عمر ويا علي اذهبا فأتيا بها؟ فذهبا إليها، فلما دخلا عليها قال لهما: أيتها العجوز إن النبي يدعوك، فقالت:

وما يريد مني فهل له من حاجة؟ فقالا لها: لا بد أن تمشي معنا، فمشت معها حتى أتت إلى النبي فقال لها ﷺ: أيتها العجوز انظري إلى ولدك وما هو عليه؟

فلما نظرت إليه قالت: يا ولدي، لا أجعلك اليوم في حل من حقي لا في الدنيا ولا في الآخرة!! فقال النبي: أيتها العجوز خافي الله عز وجل واجعليه في حل؟ فقالت: يا

رسول الله كيف أجعله في حل وهو قدرني وضربني وطرمني من بيته لأجل امرأته. فقال النبي: اجعليه في حلٍ. فقالت العجوز: أشهدك يا رسول الله أنت ومن معك أنني جعلته في حل. فقال النبي: يا عبد الله، قل أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. فرفع صوته بالشهادة ثم توفي على ذلك ﷺ، فلما صلينا عليه ودفناه قال النبي: (يا معاشر المسلمين ألا من كان له والده ولم يبرها، خرج من الدنيا على غير شهادة)⁽¹⁾.. كذا في رياض الصالحين للعارف بالله يحيى النووي..

68- وقال أنس بن مالك ﷺ: كان على عهد رسول الله ﷺ رجل يُسمى علقمة كان كثير الاجتهاد عظيم الصدقة فمرض يوماً مرضاً شديداً واشتد مرضه، فبعثت زوجته إلى النبي فقالت: يا رسول الله إن زوجي في نزع روحه فأردت أن أعلمك بحاله، فقال النبي لأصحابه: انطلقوا بنا إليه، فلما دخلوا عليه قال له النبي: يا علقمة كيف ترى حالك؟ فلم ينطق، فعلم أنه هالك فلقنه النبي الشهادة فلم ينطق بها، فكرر عليه مراراً فلم ينطق، فعلم أنه هالك فقال ﷺ: أله أب؟ فقالوا له: يا رسول الله إن أباه قد مات، وإن له أمّاً كبيرة السن، فدعا بها النبي فأتوا بها إليه ﷺ فقال لها النبي: يا أم علقمة كيف كان حال علقمة؟ فقالت: يا رسول الله كان يصوم ويتصدق ويصلي وكان فاعلاً للخير، لكنني ساخطة عليه لأنه كان يؤثر زوجته على أمه. فقال ﷺ لبعض أصحابه: انطلق واجمع حطباً حتى أحرقه بالنار، فقالت: يا رسول الله لا تفعل بولدي وثمرة فؤادي. فقال النبي: فعذاب الله أشد، إن الله تعالى لم يرخص إلا برضائك، ولا يقبل صلاته وصيامه وصدقته ما دمت ساخطة عليه. فقالت: يا رسول الله أشهد الله وأشهدك أنني قد رضيت عليه. فتقدم النبي إلى علقمة ولقنه الشهادة فنطق بها ومات من ساعته. قال أنس: فغسلوه وصلوا عليه ودفنوه، فقام النبي على شفير قبره وقال: يا معاشر المهاجرين والأنصار، من فضل زوجته

(1) تنقيح القول الحثيث بشرح لباب الحديث ج 1 ص 58.

على والدته لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا، فالصرف هو النافلة، والعدل هو الفريضة⁽¹⁾..
كذا في الجواهر للسمرقندي..

69- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من رجل مات
ووالداه غير راضيين عليه، إلا أخرج الله روحه على غير شهادة، ولا يخرج من قبره إلا
وعلى وجهه مكتوب: هذا جزاء من عصى الله تعالى، هذا جزاء من عقى والديه⁽²⁾..

* * *

(1) تنقيح القول الحثيث بشرح لباب الحديث ج 1 ص 59.

(2) المرجع السابق، ج 1 ص 60 .

الفصل الخامس: ما جاء في مَنْ غزا بدون رضا والديه

70- روى أن النبي: سُئِلَ عن أصحاب الأعراف؟ فقال: هم رجال غزوا في سبيل الله، عصاة لأبائهم، (فقتلوا فعتقوا من النار بقتلهم في سبيل الله وحبسوا عن الجنة بمعصيتهم آبائهم . فهم آخر من يدخل الجنة⁽¹⁾ .. عزاه العراقي إلى البزاز عن طريق أبي معشر عن يحيى بن شبل عن يحيى بن عبد الرحمن المزني عن أبيه مرفوعاً..

71- وقد تكلم العلماء في أصحاب الأعراف على أقوال:

عن مجاهد قال: الأعراف: حجاب بين الجنة والنار، سور له باب. وقال عبدالله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وابن عباس والشعبي والضحاك وابن جبير: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم. قال ابن عطية: وفي مسند خيثمة بن سليمان (في آخر الجزء الخامس عشر) حديث عن جابر بن عبدالله، قال رسول الله: تُوضع الموازين يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صؤابة دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صؤابة دخل النار. قيل: يا رسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته؟ قال: أولئك أصحاب الأعراف ﴿.... لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [سورة الأعراف]. وقال شرحبيل بن سعد: هم المستشهدون في سبيل الله الذين خرجوا عصاة لأبائهم. وذكر الطبري في ذلك حديثاً عن النبي وأنه تعادل عقوبتهم واستشهادهم. وقيل: هم قوم كانت لهم صغائر لم تكفر عنهم بالآلام والمصائب في الدنيا، وليست لهم كبائر، فيحبسون عن الجنة لينالهم بذلك غم فيقع في مقابلة صغائرهم. وقيل: هم ملائكة موكلون بهذا السور، يميزون الكافرين من المؤمنين قبل إدخالهم الجنة والنار، فهؤلاء الملائكة يعرفون المؤمنين بعلاماتهم والكفار بعلاماتهم ﴿.... يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَانِهِمْ....﴾ [سورة الأعراف] وهى بياض الوجوه وحسنها في أهل الجنة، وسوادها وقبحها في أهل

(1) كتاب بر الوالدين ص 88.

النار. فيبشرون المؤمنين قبل دخولهم الجنة وهم لم يدخلوها بعد فيطمعون فيها. وإذا رأوا أهل النار دعوا لأنفسهم بالسلامة من العذاب⁽¹⁾..

72- عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما: أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فسأله عن أفضل الأعمال، فقال رسول الله ﷺ: الصلاة، قال: ثم مه؟ قال: ثم الصلاة، قال: ثم مه؟ قال: ثم الصلاة ثلاث مرات، قال: ثم مه؟ قال: الجهاد في سبيل الله، فقال: فإن لى والدين، فقال رسول الله ﷺ: أمرك بوالديك خيراً، فقال: والذى بعثك نبياً لأجاهدن ولا تُركنهنّ، فقال رسول الله ﷺ: فأنت أعلم⁽²⁾..

73- عن أبي أمامة قال رسول الله ﷺ: تجهزوا إلى هذه القرية الظالم أهلها فإن الله فاتحها عليكم إن شاء الله (يعنى خيبر) ولا يخرجن معى ضعيف ولا مضعف. فانطلق أبو هريرة إلى أمه فقال جهزيني فإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالجهاز للغزو فقالت: تنطلق وتتركنى وقد علمت أنى ما أدخل المرفق إلا وأنت معى؟ فقال ما كنت لأتخلف عن رسول الله ﷺ، فأخرجت ثديها فناشدته بما رضع من لبنها، [فلم يتراجع] فأنت رسول الله ﷺ سرا فأخبرته، فقال: انطلقى فقد كفيت فأتاه أبو هريرة فأعرض عنه رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرى إعراضك عنى لشيء بلغك، قال: أنت الذى تناشدك أمك وأخرجت ثديها تناشدك بما رضعت من لبنها فلم تفعل، أيجسب أحدكم إذا كان عند أبيه أو أحدهما أنه ليس فى سبيل الله، بل هو فى سبيل الله إذا برهما وأدى حقهما⁽³⁾.. رواه الطبرانى وفيه على ابن يزيد الألهانى وهو ضعيف..

74- هاجر كلاب بن أمية بن الأسكر إلى المدينة فى خلافة عمر بن الخطاب ؓ، فأقام بها مدة، ثم لقى ذات يوم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، فسألها أى الأعمال أفضل فى الإسلام؟ فقالا: الجهاد، فسأل عمر ؓ فأغزاه فى جيش [إلى العراق]، وكان

(1) تفسير القرطبي، وتفسير الطبرى.

(2) صحيح ابن حبان ج 5 ص 8 رقم 1722.

(3) المعجم الكبير ج 8 ص 228 رقم 7897.

أبوه قد كبر وضعف. فتعلق به أبوه وكان في ظل نخل له وقال: لا تدع أباك وأمك شيخين ضعيفين ريبك صغيرا حتى إذا احتاجا إليك تركتهما. فقال: نعم أتركهما لما هو خير لي، فخرج غازيا بعد أن رضى أباه، [وكان أمية بن الأسكر قديما، أى كبيرا في السن وعمر في الجاهلية عمرا طويلا وألفاه الإسلام هرما، وله شعر في الجاهلية وشعر في الإسلام، وكان ابنه كلاب وأخوه هاجرا إلى البصرة أيام عمر رضي الله عنه بعدما كبر الشيخ وكف بصره] فلما طالت غيبة كلاب عنه قال :

لَمَنْ شَيْخَانُ قَدْ نَشَدَا كِلَابًا	كَتَابَ اللَّهُ إِنْ قَبِلَ الْكِتَابَا
أُنَادِيهِ فَيُعْرِضُ فَيُإِيَاءُ	فَلَا وَأَبَى كِلَابٍ مَا أَصَابَا
إِذَا سَجَعَتْ حَمَامَةٌ بَطْنِ وَجْ	إِلَى بِيضَاتِهَا دَعَا كِلَابَا
أَتَاهُ مُهَاجِرَانِ تَكْنَفَاهُ	فَفَارَقَ شَيْخَهُ خَطَأً وَخَابَا
تَرَكْتَ أَبَاكَ مُرْعَشَةً يَدَاهُ	وَأَمَّكَ مَا تُسَيِّغُ لَهَا شَرَابَا
تَمْسُحُ مَهْدَهُ شَفَقًا عَلَيْهِ	وَتَجْنِبُهُ أَبَاعِرُهَا الصَّعَابَا
فَإِنَّكَ قَدْ تَرَكْتَ أَبَاكَ شَيْخًا	يُطَارِقُ أَيْنَقًا شَرِبًا طَرَابَا ⁽¹⁾
إِذَا ارْتَعَنَ أَرْقَالًا زَرَامَا	آثَرْنَ بِكُلِّ رَابِيَةٍ ثَرَابَا ⁽²⁾
طَوِيلًا شَوْقُهُ يُبْكِيكَ فَرْدَا	عَلَى حَزْنٍ وَلَا يَرْجُو الْإِيَابَا
فَإِنَّكَ وَالْتِمَاسُ الْأَجْرِ بَعْدِي	كَبَاغَى الْمَاءِ يَتْبَعُ السَّرَابَا

فبلغت أبياته عمر فلم يردد كلابا، وطال مقامه فاهتر أمية وخلط جزعا عليه، ثم أتاه يوما وهو في مسجد رسول الله ﷺ وحوله المهاجرون والأنصار فوقف عليه ثم أنشأ يقول:

أَعَاذَلُ قَدْ عَاذَلْتَ بَغِيرِ قَدْرِ	وَلَا تَدْرِيْنَ عَاذَلُ مَا أَلَاقَى
فَإِذَا كُنْتَ عَاذَلْتِي فَرُدِّي	كِلابَا إِذْ تَوَجَّاهُ لِلْعَرَاقِ

(1) يطارق: يضرب. أينقا: جمع ناقة. شربا: ضامرة.

(2) الأرقال: السريع السير.

ولم أقض اللبانة من كلابٍ غداة غدير وأذن بالفراقِ
فَتَى الفتیانِ فى عُسْرٍ ويُسْرٍ شديدُ الركنِ فى يومِ التَّلَاقِ
فَلَا وأبيكَ ما باليتَ وجدى ولا شَفَقى عليكَ ولا اشتِياقي
وَإِقَادى عليكَ إذا شَتَوْنَا وضَمُّكَ تحتَ نحرى واعتِناقِ
فلَوْ فَلَقَ الفؤادَ شديدُ وجدٍ لهمَّ سوادُ قلبى بانفِلاقِ
سَأَسْتَعْدِ على الفَاروقِ ربًّا لهُ دفعَ الحجيجُ إلى بساقِ⁽¹⁾
وَأَدْعُو اللهَ مُجْتَهِدًا عليه ببطنِ الأَخْشَبِينَ إلى دِقَاقِ⁽²⁾
إِنَّ الفَاروقَ لم يرددْ كِلَابًا على شيخينِ هَامَهُمَا زُواقِ⁽³⁾

قال: فبكى عمر بكاء شديداً، وكتب برد كلاب إلى المدينة، فلما قدم دخل على عمر فقال له: ما بلغ من برك بأبيك؟ قال: كنت أوثره وأكفيه أمره، وكنت أعتد إذا أردت أن أحلب له لبنا أغزر ناقة فى إبله وأسمنها، فأريحها وأتركها حتى تستقر ثم أغسل أخلافها حتى تبرد ثم أحتلب له فأسقيه.

فبعث عمر إلى أمية من جاء به إليه، فأدخله يتهدى وقد ضعف بصره وانحنى فقال له: كيف أنت يا أبا كلاب؟ قال: كما ترانى يا أمير المؤمنين .

فقال: يا أبا كلاب ما أحب الأشياء إليك اليوم؟ قال: ما أحب اليوم شيئاً، ما أفرح بخير ولا يسوؤنى شر !

قال: فهل لك من حاجة؟ قال: نعم، أشتهى أن أرى كلاباً فأشمه شمة وأضمه ضمة قبل أن أموت .

(1) بساق: جبل عرفات.

(2) الأخشين: جبلان بمكة. دقاق موضع.

(3) زقا: صاح، وصراخ الهام معروف وهو من خرافات العرب.

فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال: ستبلغ من هذا ما تحب إن شاء الله تعالى، ثم أمر كلاباً أن يحتلب لأبيه ناقة كما كان يفعل ويبعث إليه بلبنها، ففعل، فناوله عمر الإناء وقال: دونك هذا يا أبا كلاب .

فلما أخذه وأدناه إلى فمه قال لعمر: والله يا أمير المؤمنين إنني لأشم رائحة يدي كلاب من هذا الإناء؟ فبكى عمر وقال: هذا كلاب عندك حاضراً قد جئناك به، فوثب إلى ابنه وضمه إليه وقبّله، وجعل عمر يبكي ومن حضره، وقال لكلات: :

الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا، ثم شأنك بنفسك بعدهما، وأمر له بعتائه وصرفه مع أبيه، فلم يزل معه مقيماً حتى مات أبوه..

75- عن معن بن عبد الرحمن قال: غزا رجل نحو الشام يقال له: شيبان، وله أب شيخ كبير، فقال أبوه في ذلك:

أَشْيْبَانُ مَا يُدْرِيكَ أَنَّ رَبَّ لَيْلَةٍ عَنْقُتُكَ فِيهَا وَالْعُنُوقُ حَبِيبُ
أَأْمَهْلَتْنِي حَتَّى إِذَا مَا تَرَكْتَنِي أَرَى الشَّخْصَ كَالشَّخْصَيْنِ وَهُوَ قَرِيبُ
أَشْيْبَانُ إِنَّ بَاتَ الْجِيُوشُ تَحْدَهُمْ يُقَاسُونَ أَيَّاماً بِهِنَّ خُطُوبُ
قال فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فردّه..

76- عن هشام بن عروة عن أبيه: أن رجلين تركا أباهما شيخا كبيرا وغزوا فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فردهما إلى أبيهما وقال: لا تفارقه حتى يموت..

77- عن ابن عيينة: أراد محمد بن طلحة الغزو، فأتت أمه عمر رضي الله عنه، فأمره أن يقيم، فلما ولي عثمان أراد الغزو، فأتت أمه عثمان فأمره أن يقيم، فقال: إن عمر رضي الله عنه لم يجبرني أو يعزم عليّ! فقال: لكنى أجبرك..

* * *

الفصل السادس: أنت ومالك لأبيك

78- عن جابر بن عبد الله قال: جاء رجل [هو شاب من الأنصار] إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن أباي يريد أن يأخذ مالي، فدعا أباي، فهبط جبريل عليه السلام، فقال: إن الشيخ قد قال في نفسه شيئاً لم تسمعه أذناه.

فقال رسول الله ﷺ: قلت في نفسك شيئاً لم تسمعه أذنك؟ قال: لا يزال يزيدنا الله تعالى بك بصيرة و يقينا، نعم. قال: هات، فأنشأ يقول:

غَدُوْتُكَ مَوْلُوداً وَمَنْتُكَ يَافِعاً	تَعَلَّ بِمَا أَجْنَى عَلَيْكَ وَتَنَهَلُ ⁽¹⁾
إِذَا لَيْلَةٌ ضَافَتْكَ بِالسُّقْمِ لَمْ أَبْتَ	لَسُقْمِكَ إِلَّا سَاهِراً أَتَمَلَّمُ
كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالذِّى	طُرِقْتَ بِهِ دُونِي فَعَيْنَايْ تَهْمَلُ
تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنَّهَا	لَتَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ وَقْتَ مُؤْجَلُ
فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالْغَايَةَ الَّتِي	إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيكَ أَوْمَلُ
جَعَلْتَ جَزَائِي غُلْظَةً وَفُظَازَةً	كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعَمُ الْمُتَفَضَّلُ
وَسَمَّيْتَنِي بِاسْمِ الْمُفْنَدِ رَأْيُهُ	وَفِي رَأْيِكَ التَّفْنِيدُ لَوْ كُنْتُ تَعْقِلُ ⁽²⁾
تَرَاهُ مُعَدَّاً لِلْخِلَافِ كَأَنَّهُ	بَرْدٌ عَلَى أَهْلِ الصَّوَابِ مُوَكَّلُ
فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُوتِي	فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ
فَأَوْلَيْتَنِي حَقَّ الْجَوَارِ وَلَمْ تَكُنْ	عَلَى بِمَالٍ دُونَ مَالِكَ تَبْخُلُ

فبكى رسول الله ﷺ وأخذ بتأنيب ابنه وقال: أنت ومالك لأبيك⁽³⁾..

79- وروى أن رجلاً شكاً إلى النبي أباه وأنه يأخذ ماله، فدعاه فإذا هو بشيخ يتوكأ على عصا، فسأله فقال: إنه كان ضعيفاً وأنا قوى، وفقيراً وأنا غنى، فكنت لا أمنعه شيئاً

(1) تعل وتنهل: تشرب المرة بعد المرة لأن النهل أول الشرب.

(2) المفند أى المكذب والتفنيذ التكذيب.

(3) سبل الهدى والرشاد ج 10 ص 53.

من مالي. واليوم أنا ضعيف وهو قوى، وأنا فقير وهو غنى، ويبخل على بهاله! فبكى رسول الله وقال: ما من حجر ولا مدر يسمع بهذا إلا بكى ثم قال للولد: أنت ومالك إلى أبيك. أنت ومالك إلى أبيك⁽¹⁾..

80- عن محمد بن المنكدر قال: أتى النبي رجل فقال: إن لأبي مالا وعيالا ولى مال وعيال، وإنه يريد أن يأخذ مالى فينفقه على عياله، فقال: أنت ومالك لأبيك⁽²⁾..

81- عن المطلب بن عبد الله بن حنطب: أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إن لى مالا وولدا ولأبى مال وولد، يريد أن يذهب بهالى إلى ماله وولده، فقال: أنت ومالك لأبيك⁽³⁾..

82- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن رجلا أتى النبي فقال: يا رسول الله، إن أبى اجتاح مالى، فقال: أنت ومالك لأبيك⁽⁴⁾..

83- عن الشعبي أن رجلاً من الأنصار خاصم أباه إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أبى يأخذ مالى، فقال رسول الله ﷺ: أنت ومالك لأبيك⁽⁵⁾..

84- عن الشعبي قال: جاء رجل من الأنصار إلى النبي فقال: يا رسول الله، إن أبى غصبنى مالى، قال: أنت ومالك لأبيك⁽⁶⁾..

85- عن عبد الكريم أن رجلا قال: يا رسول الله، إن أبى يسألنى مالى؟

قال: فأعطه إياه، قال: فإنه يريد أن أخرج له منه؟! قال: فأخرج له منه⁽⁷⁾..

(1) تحفة الحبيب على شرح الخطيب ج 3 ص 653.

(2) سنن سعيد بن منصور ج 2 ص 145 رقم 2290.

(3) سنن سعيد بن منصور ج 2 ص 145 رقم 2292.

(4) مصنف ابن أبي شيبة ج 4 ص 517 رقم 22708.

(5) سنن سعيد بن منصور ج 2 ص 145 رقم 2219.

(6) مصنف ابن أبي شيبة ج 4 ص 517 رقم 22700.

(7) مصنف عبد الرزاق ج 9 ص 131 رقم 16636.

86- عن عائشة رضى الله عنها: أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ يخاصم أباه في دين عليه، فقال نبي الله ﷺ: أنت ومالك لأبيك⁽¹⁾.. قال أبو حاتم: معناه أنه ﷺ زجر عن معاملته أباه بما يعامل به الأجنيبين، وأمر ببره والرفق به في القول والفعل معاً، إلى أن يصل إليه ماله، فقال له: أنت ومالك لأبيك، لا أن مال الابن يملكه الأب في حياته عن غير طيب نفس من الابن به..

87- عن ابن عمر قال: جاء رجل إلى النبي يتعدى على والده، قال: إنه أخذ مني مالى، فقال له رسول الله ﷺ: أما علمت أنك ومالك من كسب أبيك⁽²⁾.. رواه الطبراني..

88- عن ابن عمرو قال ﷺ: أنت ومالك لوالدك. إن أولادكم من أطيب كسبكم فكلوا مما كسب أولادكم⁽³⁾..

89- عن عائشة قالت: تفوت رجل بهال من مال نفسه عن أبيه، فجاء أبوه إلى رسول الله ﷺ فأعلمه ذلك، فأرسل إليه رسول الله ﷺ أن رد على أبيك ما حبست عنه، فإنك ومالك كسهم من كنانته.. قال أبي هذا حديث منكر⁽⁴⁾..

90- عن هشام بن عروة عن أبيه قال: صنع رجل في ماله شيئاً ولم يستأذن أباه، قال هشام: قال أبي: فسأل النبي أو أبا بكر أو عمر فقال: اردد عليه فإنها هو سهم من كنانتك⁽⁵⁾..

91- عن عمرو بن دينار أن رجلاً أتى أبا الشعثاء فقال: إن ابني يمنعني ماله فقال: خذ من ماله ما يكفيك بالمعروف⁽⁶⁾..

(1) صحيح ابن حبان ج 2 ص 142 رقم 410.

(2) البدر المنير ج 7 ص 671.

(3) كنز العمال ج 16 ص 193 رقم 45451.

(4) علل الحديث ج 1 ص 470 رقم 1411.

(5) مصنف ابن أبي شيبة ج 4 ص 517 رقم 22705.

(6) سنن سعيد بن منصور ج 2 ص 146.

- 92- عن عمرو قال رجل لجابر بن زيد: إن أبي يحرمني ماله يقول: لا أعطيك منه شيئاً، قال: كل من مال أبيك بالمعروف⁽¹⁾..
- 93- وذكر وهب بن منبه اليماني: أصل العقوق أن تقى مالك بهما وتوفر مالك وتأكل ماله..

* * *

(1) مصنف ابن أبي شيبة ج 4 ص 518.

الفصل السابع: ما جاء فى من تبرأ من أحد والديه

94- عن سهل بن معاذ عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: من العباد عباد لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا يطهرهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم، قالوا: من أولئك يا رسول الله؟ قال: المتبرئ من والديه رغبة عنهما، والمتبرئ من ولده، ورجل أنعم عليه قوم فكفر نعمتهم⁽¹⁾.. ابن جرير والخرائطى فى مساوئ الأخلاق.

95- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعته أذناى ووعاه قلبى من رسول الله ﷺ قال: من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام⁽²⁾.. [المراد من هذا التحذير الشديد والطرء من الجنة، من تحول عن نسبته لأبيه الشرعى، إلى آخر غير أبيه، لأى أمر أو سبب كان، وهو عالم غير جاهل، عامد مختار مفضل هذا الأب الزائف عن الأب الحقيقى]..

96- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ثلاثة يلعنهم الله تعالى يوم القيامة: رجل رغب عن والديه، وآخر سعى فى تفريق بين رجل وامرأة ليخلف عليها بعده، وآخر سعى بالأحاديث بين المؤمنين ليتعادوا ويتباغضوا⁽³⁾..

97- عن عدى بن عدى عن أبيه أو عمه: أن مملوكا كان يقال له: كيسان فسمى نفسه قيسا وادعى إلى مولاه، ولحق بالكوفة! فركب أبوه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، ابنى ولد على فراشى ثم رغب عني وادعى إلى مولاه ومولاى! فقال عمر لزيد بن ثابت: أما تعلم إنا كنا نقرأ، لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم؟ فقال زيد: بلى، فقال له عمر: انطلق فاقرن ابنك إلى بعيرك، فانطلق فاضرب بعيرك سوطا وابنك سوطا حتى تأتى به أهلك⁽⁴⁾..

(1) كنز العمال ج 16 ص 106 رقم 44343.

(2) مسند الطيالسي ج 1 ص 28 رقم 199.

(3) المطالب العالية ج 11 ص 704 رقم 2664.

(4) المعجم الكبير ج 5 ص 121.

- قال ﷺ: من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه، لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة سبعين عاماً⁽¹⁾..

- عن جعفر بن ربيعة القرشي أن عراك بن مالك أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول: سمعت النبي يقول: لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فإنه كفر⁽²⁾..

- عن ربيعة بن يزيد قال: سمعت واثلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أعظم الفري ثلاثة: أن يفترى الرجل على عينيه يقول رأيت ولم ير. أو يفترى على والديه فيدعى إلى غير أبيه. أو يقول سمعني ولم يسمع مني⁽³⁾..

* * *

(1) كنز العمال ج 6 ص 79 رقم 15320.

(2) مسند أحمد بن حنبل ج 2 ص 526 رقم 10825.

(3) العلل ومعرفة الرجال ج 2 ص 287 رقم 2281.

الفصل الثامن

ما جاء في مَنْ ضرب أو سبَّ أحد الوالدين

98- إن النعمة كلما عظمت كان كفرانها أعظم فيما يستحق به من العقاب، إذ كان استحقاق العقاب على حسب كفران النعمة، ألا ترى أن من لطم أباه استحق من العقوبة أكثر مما يستحقه من لطم أجنبيًّا، لعظم نعمة أبيه عليه وكفرانه لها بلطمته، ويدل على هذا التأويل قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُمْسِكُ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ...﴾ (٣٤) (١).. فدل على أن تضعيف العذاب عليهن بالمعصية لأجل عظم النعمة عليهن بتلاوة آيات الله في بيوتهن، ومن أجل ذلك عظمت طاعاتهن أيضا بقوله: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ...﴾ (٣١) (٢).. لأن الطاعة في استحقاق الثواب بها بإزاء المعصية في استحقاق العقاب..

99- وعقوق الوالدين كبيرة، فإن كان مع العقوق سب أو شتم أو ضرب فهو فاحشة، وإن كان العقوق بالاستئصال لأمرهما ونهيهما والعبوس في وجوههما والتبرم بهما، مع بذل الطاعة ولزوم الصمت فهذا من الصغائر، فإن كان ما يأتيه من ذلك يلجئهما إلى أن ينقبضا عنه فلا يأمرانه ولا ينهيانه ويلحقهما من ذلك ضرر. فهذا كبيرة من الكبائر..

100- والله در القائل:

سَلَا عَنْ حُبِّكَ الْقَلْبُ الْمَشُوقُ فَمَا يَصْبُو إِلَيْكَ وَلَا يَثُوقُ
جَفَاؤُكَ كَانَ عَنْكَ لَنَا عَزَاءٌ وَقَدْ يَسْلَى عَنِ الْوَلَدِ الْعُفُوقُ

101- قال ﷺ: أربعة لعنهم الله من فوق عرشه وأمنت عليهم الملائكة: مضل المساكين. قال خالد: الذي يهوى بيده إلى المسكين فيقول: هل أعطيك فإذا جاءه قال ليس

(1) سورة الأحزاب آية 34.

(2) سورة الأحزاب آية 31.

معى شيء، والذي يقول للمكفوف: اتق البئر، اتق الدابة وليس بين يديه شيء. والرجل يسأل عن دار القوم فيدلونه على غيرها، والرجل يضرب الوالدين حتى يستغيثا⁽¹⁾..

102- وقال ﷺ: من رفع يده ليعضد أحد والديه غلت يده يوم القيامة إلى عنقه مشلولاً. قالوا: يا رسول الله: وإن ضربهما؟ قال: تقطع يده قبل أن يجوز على الصراط وتضربه الملائكة⁽²⁾..

103- عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال ﷺ: من ضرب أباه فاقتلوه⁽³⁾.. الخرائطى فى مساوى الأخلاق..

104- وعن ثابت البناني قال: رأيت رجلاً يضرب أباه فى موضع! فقيل له: ما هذا؟! فقال الأب: خلوا عنه فإنى كنت أضرب أبى فى هذا الموضع، فابتليت بابنى يضربنى فى هذا الموضع..

105- عن أبى بكر بن أبى مريم قال: قرأت فى التوراة: من ضرب أباه فاقتلوه [وفى قول آخر]: ومن ضرب أباه وأمه فليقتل قتلاً..

106- وقال أبو بكر بن أبى مريم: قرأت فى التوراة، أن من يضرب أباه يقتل. وقال وهب: فى التوراة، على من صك والديه الرجم..

107- جاء فى التوراة: أكرم أباك وأمك ليطول عمرك فى الأرض التى يعطيكها الرب إلهك. وأى رجل شتم والديه يقتل قتلاً ودمه فى عنقه..

108- عن أبى هريرة: من سب والديه فاضربوه ومن ضربهما فاقتلوه..

109- [عن عبدالله بن أحمد بن حنبل قال]: قلت [لأبى: هل يحسد رجل قذف ابنه؟ قال: لا يحسد. قلت: إن قذف [الابن] أباه؟ قال: يُحسد ويقاد منه..

(1) جامع الأحاديث ج 12 ص 202 رقم 30.

(2) تنقيح القول الحثيث بشرح لباب الحديث ج 1 ص 58.

(3) كنز العمال ج 16 ص 200 رقم 45554.

110- وأجمعوا على أنه إذا قذف الرجل أباه أو جده أو أحداً من أجداده أو جداته بالزنا، أن عليه الحد..

111- كان يونس بن الحياط عاقاً لأبيه، فقال أبوه فيه:

يُونُسُ قَلْبِي عَلَيْكَ يَلْتَمِسُهُ عَبْرِي دُمُوعُهَا تَكْرِفُ
تُلْحِفُنِي كُسُوءَ الْعُقُوقِ فَلَا بَرَحَتْ مِنْهَا مَا عَشْتِ تَلْتَحِفُ
أُمِرْتُ بِالْخَفْضِ لِلْجَنَاحِ وَبِالرَّفْقِ فَأَمَسَى يِعُوقُكَ الْأَنْفُ
وَتَلُوكَ وَاللَّهِ مِنْ زِيَانِيَةٍ إِنْ سُلِّطُوا فِي عَذَابِهِمْ عَنُفُوا
فأجابه ابنه يونس فقال :

أَصْبَحَ شَيْخِي يُزْرِي بِهِ الْخَرْفُ مَا إِنَّ لَهُ حَرَمَةً وَلَا نَصْفُ
صِفَاتُنَا فِي الْعُقُوقِ وَاحِدَةٌ مَا خَلَّتْنَا فِي الْعُقُوقِ نَخْتَلِفُ
لَحَفَّتْهُ سَالِفًا أَبَاكَ فَقَدْ أَصْبَحْتَ مِنِّي كَذَاكَ تَلْتَحِفُ

112- قال ابن حيان: كان باديس بن حبوس من أبطال الحروب وشجعانها، يُضرب به المثل في شدة القسوة وسفك الدماء وعظم ملكه، وكان على ما فيه من القسوة، حسن السياسة منصفاً حتى من أقاربه، [وافته] يوماً عجوز فشكت عقوق ابنها وأنه مد يده إليها وضربها، فأحضره وأمر بضرب عنقه، فقالت له: يا مولاي ما أردت إلا ضربة بالسوط. فقال: لست بمعلم صبيان، وضرب عنقه..

113- قال أبو مسهر: كان جليس لسعيد بن عبد العزيز يقال له: هشام بن يحيى الغساني، فقال: كان عندنا صاحب شرطة يقال له: عبدة بن رباح فجاءته امرأة فقالت: إن ابني يعقني ويظلمني، فأرسل [الشرط] معها يطلبه، فقالت الشرط لها: إن أخذ ابنك ضربه أو قتله، قالت: كذا! قالوا: نعم. [فخافت على ابنها أن يصيبه أذى رغم قسوته عليها وأرادت الحيلة] فمرت بكنيسة على بابها شماس (خادم الكنيسة) فقالت: هذا ابني، فقالوا: أجب الأمير، فلما حضر قال له: تضرب أمك وتعقها؟ قال: ما هي أُمي، قال: وتجندها أيضاً! فضربه ضرباً شديداً..

114 - استعدى المنازل⁽¹⁾. عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ابنه جليح وشكى عقوقه

ووثوبه عليه وأنشأ يقول:

تَظَلَّمَنِي مَالِي جُلَيْحٍ وَعَقْنِي عَلَى حِينِ صَارَتْ كَالْحِنَى عِظَامِي

وَجَاءَ نَعْوُلُ مَنْ حَرَامٍ كَأَنَّمَا يَسْعُرُ فِي أَهْلِي حَرِيقُ ضَرَامٍ

لَعَمْرِي لَقَدْ رَبَّيْتُهُ فَرِحًا بِهِ فَلَا يَفْرَحَنَّ بَعْدِي أَبُ بَغْلَامٍ

فغضب عمر ودعى بالدرّة، فقال له جليح: يا أمير المؤمنين إن أباي قد عَقَّ أباه ووثب

عليه ولو يده! وكان قد كبر فأعطى عطاءه يوما ففك يده ابنه منازل وأخذته ولجدي فيه

شعر، قال: أنشدني؟ [فأنشده]:

جَزَتْ رَحْمَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنَازِلٍ جَزَاءَ مَسِيءٍ لَا يَفْتَرُ طَالِبُهُ

تَرْبِيَّتُهُ حَتَّى إِذَا تَمَّ وَاسْتَوَى وَكَأَدُ يُوَاوِزِي غَارِبَ الْفَحْلِ غَارِبُهُ

وَقَدْ كَانَ يَأْتِيهِ إِذَا جَاعَ أَوْ بَكَى مِنَ الزَّادِ عِنْدِي حَلْوُهُ وَأَطَايِبُهُ

فَلَمَّا رَأَى أَبْصَرَ الشَّخْصَ أَشْخَصًا بَعِيدًا وَذُو الْقُرْبِ الْقَرِيبُ أَقَارِبُهُ

تَهَضَّمَنِي مَالِي كَذَا وَلَوْ يَدِي لَوَى يَدَهُ اللَّهُ الَّذِي هُوَ غَالِبُهُ

فأصبح يا أمير المؤمنين ملوى اليد. فقال عمر رضي الله عنه: الله أكبر، هذا دعاء آبائكم في

الجاهلية فكيف في الإسلام؟! وقال: لا أرى لكما مثلاً إلا قول الهذلي:

تَعَاوَرْتُمَا ثَوْبَ الْعُقُوقِ كَلَاكُمَا أَبَّ غَيْرُ بَرٍّ وَابْنٌ غَيْرُ وَاصِلٍ

فقال منازل: يا أمير المؤمنين خذ لي بحقي منه؟ فقال عمر:

فَلَا تَجْزَعَنَّ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سَنَنْتُهَا وَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يُسَيِّرُهَا

[وفي قول آخر: أثبتته لاختلاف كلمات ومعاني الشعر]:

(1) [المنازل بن فرعان السعدى شاعر ابن شاعر كان من سهل الكوفة اشتهر بخلافه مع أبيه أيام أمير المؤمنين

عمر رضي الله عنه].

عن جابر بن عمار قال: إن أبا منازل تزوج على أم منازل، فغار منازل لأمه فعمد إلى أبيه فلوى يده وضرب به الأرض وقعد على صدره وقال له: ما أنا بتاركك حتى تجعل لي كل مال هو لك! وحتى تطلق هذه المرأة، ففعل فخلى عنه فأنشأ يقول:

جَزَتْ رَحْمٌ بَيْنِي وَبَيْنَ مُنَازِلٍ	جَزَاءٌ كَمَا يَسْتَنْجِزُ الدِّينَ طَالِبُهُ
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ يَكُونَ مُنَازِلُ	عِدْوِي وَأَدْنَى شَأْنِي أَنَا رَاهِبُهُ
حَمَلْتُ عَلَى ظَهْرِي وَقَرَّبْتُ صَغِيرًا	إِلَى أَنْ أَمْكَنَ الْمَطَرُ شَارِبُهُ
وَأَطْعَمْتُهُ حَتَّى إِذَا آضَ مَقْرَمًا طَوَالًا	يُسَامِي غَارِبَ الْفَحْلِ غَارِبُهُ
فَلَمَّا رَأَى أَحْسَبُ الشَّخْصِ أَشْخَصًا	بَعِيدًا وَذُو الرِّأْيِ الْبَصِيرِ يَقَارِبُهُ
تَظَلَّمَنِي مَالِي كَذَا وَلَوَى يَدِي	لَوَى يَدَهُ اللَّهُ الَّذِي لَا يُغَالِبُهُ

[ووجدت قولاً لوالد منازل عندما عصاه منازل فقال الأب: والله لأحجن إلى بيت الله الحرام وأدعو عليك هناك. فحج الأب إلى بيت الله الحرام وتعلق بأستار الكعبة ثم رفع يديه وقال:

يَا مَنْ إِلَيْهِ أَتَى الْحَجَّاجُ قَدْ قَطَعُوا	أَرْضًا فَلَاةً مِنْ قُرْبٍ وَمِنْ بُعْدٍ
إِنِّي أَتَيْتُكَ يَا مَنْ لَا يَخِيبُ مَنْ	يَدْعُوهُ مِبْتَهَلًا بِالْوَاحِدِ الصَّمَدِ
هَذَا مُنَازِلُ لَا يَرْتَدُّ عَنْ عَقْقَى	فَخَذَ بِحَقِّي يَا رَحْمَنُ مِنْ وَلَدِي
وَشَلَّ مِنْهُ بِحَوْلٍ مِنْكَ بَارِحَةٍ	يَا لَيْتَ ابْنِي لَمْ يُوَلَدْ وَلَمْ أَلِدْ

فما أنزل الوالد يديه إلا وقد شل الله الابن، وأصبح مشلولاً إلى أن مات والعياذ

بالله..]

* * *

الفصل التاسع

ما جاء فى مَنْ قتل أحد والديه

115- عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة، من قتل نبياً أو قتله نبي، أو قتل أحد والديه، والمصورون، وعالم لم ينتفع بعلمه⁽¹⁾..

116- [روى أن أمير المؤمنين المنتصر بالله] جلس فى بعض الأيام للهو وقد استخرج من خزائن أبيه فرشاً فأمر بفرشها فى المجالس، فرأى فى بعض البسط دائرة فيها فارس وعليه تاج وحوله كتابة فارسية! فقال لبغا: إيش هذه الكتابة؟ فقال: لا أعلم يا سيدي، فسأل من حضر من الندماء فلم يحسن أحد أن يقرأه، فالتفت إلى وصيف وقال: أحضر لى من يقرأ هذا؟ فأحضر رجلاً فقرأ الكتابة فقطب وعبس عند ذلك فقال له المنتصر: ما هو؟ فقال: يا أمير المؤمنين بعض حماقات الفرس، قال: أخبرنى ما هو؟ قال: يا أمير المؤمنين ليس له معنى، فألح عليه وغضب، قال يقول: أنا شيرويه بن كسرى بن هرمز، قتلت أبى فلم أمتع بالملك إلا ستة أشهر، فتغير وجه المنتصر وأمر بإحراق البساط وكان منسوجاً بالذهب. وقام عن مجلسه وترك اللهو الذى أراده وبات مغتماً وتوعك ثم رأى فى ليلته أباه فانتبه فزغاً يبكى، فقالت له أمه: ما يبكيك؟ فقال: أفسدت دينى ودنياى رأيت أبى الساعة يقول لى: ويحك يا محمد ظلمتنى وقتلتنى لأجل الخلافة، والله لا تمتعت فى الدنيا بعدى إلا أياماً يسيرة ومصيرك إلى النار فانتبهت فزغاً فاستمر موهوماً من هذا المنام، فما عاش بعد ذلك إلا أياماً قلائل.

قال جعفر بن عبد الواحد: دخلت على المنتصر بالله فقال لى: يا جعفر، لقد عجلت فما أسمع بأذنى ولا أبصر بعينى.

(1) الدر المنثور ج 5 ص 266.

وقال ابن الأهدل: إن أمه جاءت عائدة، فبكى وقال: يا أماه، ذهبت منى الدنيا والآخرة. عاجلت أبى فعوجلته، ثم أنشأ يقول :

فما فرحتُ نفسى بدنيا أخذتها ولكنْ إلى الملكِ القديرِ أصيرُ
ومالى شيءٌ غيرَ أننى مسلمٌ بتوحيدِ ربي مؤمنٌ وخبيرُ
فلم يمتع بالخلافة إلا أشهر معدودة دون ستة أشهر..

117- لما تولى ألوغ بك بن شاه رخ صاحب سمرقند [وجده] الطاغية تيمورلنك، [وآل الأمر إليه، ولى ابنه عبد اللطيف على] بلخ، فحكمها نيفاً وثلاثين سنة، واستمر إلى أن خرج عن طاعته! وسببه أنه لما ملك [الأب] طمع عبد اللطيف أن يوليه هراة فلم يفعل وولاه بلخ ولم يعطه من مال جده شاه رخ شيئاً، وكان ألوغ بك هذا مع فضله وغزير علمه [بخيلاً] فسأمته أمراؤه لذلك وكاتبوا ولده عبد اللطيف فى الخروج عن طاعته، وكان فى نفسه ذلك! فانتهاز الفرصة وخرج عن الطاعة، وبلغ أباه الخبر فتجرد لقتاله والتقى معه وفى ظنه أن ولده لا يثبت لقتاله، فلما التقى الفريقان وتقابلا هرب جماعة من أمراء ألوغ بك إلى ابنه، فانكسر وهرب على وجهه، وملك ولده سمرقند وجلس على كرسى والده أشهر، ثم بدا لألوغ بك العودة إلى سمرقند ويكون الملك لولده ويكون هو كآحاد الناس واستأذن ولده فى ذلك، فأذن له ودخل سمرقند وأقام بها إلى أن قبض عبد اللطيف على أخيه عبد العزيز وقتله صبراً فى حضرة والده ألوغ بك، فعظم ذلك عليه ولم يمكنه الكلام، فاستأذن ولده عبد اللطيف فى الحج فأذن له، فخرج قاصداً للحج إلى أن كان عن سمرقند مسافة يوم أو يومين، حذر بعض الأمراء ابنه منه وحسن له قتله، فأرسل إليه بعض أمرائه ليقتله، فدخل عليه مخيمه ففطن ألوغ بك وقال له: لقد علمت بما جئت به، ثم طلب الوضوء وصلى ثم قال: والله لا يعيش بعدى إلا خمسة أشهر ثم يقتل أشركته. [فقتل] عبد اللطيف بعد خمسة أشهر!

118- لما ملك شيرويه بن أبرويز وأمه مريم ابنة موريق ملك الروم، دخل عليه العظماء والأشراف فقالوا: لا يستقيم أن يكون لنا ملكان، فإما أن تقتل كسرى ونحن

عبيدك، وإما أن نخلعك ونطيعه؟ فانكسر شيرويه من هذه المقالة ونقل أباه من دار الملك إلى موضع آخر حبسه فيه، ثم جمع العظماء وقال: قد رأينا الإرسال إلى كسرى بما كان من إساءته، فأرسل إليه رجلا يقال له: أسباد خشنش كان يلي تدبير المملكة وقال له:

قل لأبينا الملك [قبل أن نقتله] إن سوء أعمالك فعل بك ما ترى منها جرأتك على أبيك وسملك عينيه. وقتلك إياه!! وسوء صنيعك إلينا معشر أبنائك في منعنا من مجالسة الناس، وكل ما لنا فيه دعة، وإساءتك إلى من خلدت في السجون، وإساءتك إلى النساء تأخذهن لنفسك وتركك العطف عليهن، ومنعهن ممن يعاشرهن ويرزقن منه الولد [أى أن يتزوجن]، وما أتيت إلى رعيك عامة من العنف والغلظة والفظاظة، وجمع الأموال في شدة وعنف، وتجميرك⁽¹⁾ الجنود في ثغور الروم وغيرها، وتفريقك بينهم وبين أهلهم، وغدرك بموريق ملك الروم مع إحسانه إليك وحسن بلائه عندك وتزويجه إياك بابتته. ثم انتدب لقتله رجلا ممن وترهم كسرى أبرويز!

وفيه يقول الشاعر عدى بن زيد:

وكسرى إذ تقسَّمه بنوهُ بأسيا فِ كما اقتَسَم اللِّحَامُ
تمخَّضَت المنونُ له بيوم أتى ولكلَّ حاملَةٍ تَمَامُ

وكان الذى باشر قتله شاب يقال له: مهر هرمز، فلما قتل شق شيرويه ثيابه وبكى ولطم وجهه وحملت جنازته وتبعها العظماء وأشراف الناس، فلما دفن أمر شيرويه بقتل مهر هرمز قاتل أبيه! ثم إن شيرويه قتل إخوته فهلك منهم سبعة عشر أخا ذوى شجاعة وأدب بمشورة وزيره فيروز، وابتلى شيرويه بالأمراض ولم يلتذ بشيء من الدنيا ولم يزل مهموما مدنفا، ويقال إنه: أباد من قدر عليه من أهل بيته، وفشا الطاعون فى أيامه فهلك من الفرس أكثرهم، ثم هلك هو وكان ملكه ثمانية أشهر [فقط]..

119 - كتب ابن عبد عن أحمد بن طولون إلى ابنه العباس حين عصى عليه بالإسكندرية

منذرا له وموبخا له على فعله: من أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين إلى الظالم لنفسه

(1) تجميرك: [إبقاؤك].

العاصي لربه الملم بذنبه المفسد لكسبه العادى لظوره الجاهل لقدره الناكص على عقبة المركوس فى فتنته المبخوس من حظ دنياه وآخرفته. سلام على كل منيب مستجيب تائب من قريب قبل الأخذ بالكظم وحلول الفوت والندم. وأحمد الله الذى لا إله إلا هو، حمد معترف له بالبلاء الجميل والطول الجليل وأسأله مسألة مخلص فى رجائه مجتهد فى دعائه، أن يصلى على محمد المصطفى وأمينه المرتضى ورسوله المجتبى ﷺ.

أما بعد فإن مثلك مثل البقرة تثير المديّة بقرنيها والنملة يكون حتفها فى جناحيها وستعلم هبلتك الهوابل أيها الأحمق الجاهل أى موردة هلكة بإذن الله توردت، إذ على الله جل وعز تمردت وشردت، فإنه تبارك وتعالى قد ضرب لك فى كتابه مثلاً: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ١١٢﴾ (١).. وإنا كنا نقربك إلينا طمعاً فى إنابتك، فلما طال فى الغى انهماكك وفى غمرة الجهل ارتباكك ولم نر الموعدة تلين كبذك ولا التذكير يقيم أودك، ولم تكن لهذه النسبة أهلاً ولا لإضافتك إلينا موضعاً ومحلاً، بل لا نكنى بأبى العباس إلا تكرهاً وطمعاً، بأن يهب الله منك خلفاً نقلده اسمك ونكنى به دونك، ونعدك نسياً منسياً ولم تك شيئاً مقضياً.

واعلم أن البلاء بإذن الله قد أظلك، والمكروه إن شاء الله قد أحاط بك، والعساكر بحمد الله قد أنتك كالسيل فى الليل تؤذتك بحرب وويل، فإننا نقسم ونرجو أن لا نجور ونظلم، أن لا نثنى عنك عنانا ولا نؤثر على شانك شاناً، ولا تتوقل ذروة جبل ولا تلج بطن واد إلا جعلناك بحول الله وقوته فيها وطلبناك حيث أمت منها، منفقين فى كل مال خطير ومستصغرين بسببك كل خطب جليل، حتى تستمر من طعم العيش ما استحلّيت وتستدفع من البلاء ما استدعيت حين لا دافع بحول الله عنك ولا مزحزح لنا عن ساحتك، وتعرف من قدر الرخاء ما جهلت، وتود أنك هبلت ولم تكن بالمعصية عجلت، وتعلم أنك كنت متمسكاً بحبال غرور متهادياً فى مقابح أمور من عقوق لا ينال

(١) سورة النحل آية ١١٢.

طالبه وبغى لا ينجو هاربه وغدر لا ينتعش صريعه وكفران لا يودى قتيله، وتقف على سوء رويتك وعظم جريرتك فى تركك قبول الأمان إذ هو لك مبذول وأنت عليه محمول وإذ السيف عنك مغمود وباب التوبة إليك مفتوح لأنك إن شاء الله لا تقصد موضعاً إلا تلوتك ولا تأتى بلداً إلا قفوتك، ولا تلوذ بعصمة تظن أنها تنجيك إلا استعنت بالله عز وجل فى جد حبلها وفصم عروتها، فإن أحداً لا يؤوى مثلك ولا ينصره إلا لأحد أمرين من دين أو دنيا. فأما الدين فأنت خارج من جملته لمقامك على العقوق ومخالفة ربك وإسقاطه. وأما الدنيا فما أراه بقى معك من الحطام الذى سرقته وحملت نفسك على الإيثار به، ما يتهياً لك مكاثرتنا بمثله مع ما وهب الله لنا من جزيل النعمة التى نستودعه تبارك وتعالى إياها ونرغب إليه فى إنائها إلى ما أنت مقيم عليه من البغى الذى هو صارعك، والعقوق الذى هو طالبك، وأما ما منيتناه من مصيرك إلينا فى حشودك وجوعك ومن دخل فى طاعتك لإصلاح عملنا ومكافحة أعدائنا بأمر أظهروا فيه الشماعة بنا، فما كان إلا بسببك فأصلح أيها الصبى الأخرق أمر نفسك قبل إصلاحك عملنا، واحزم فى أمرك قبل استعمالك الحزم لنا فما أحوجنا الله وله الحمد إلى نصرتك ومؤازرتك ولا اضطررنا إلى التكثر بك على شقاقك ومعصيتك، وما كنت متخذ المضلين عضداً.

فما دعانى إلى الإرجاء لك والتسهيل من خناقك والإطالة من عنانك طول هذه المدة إلا أمران أغلبهما كان على احتقار أمرك واستصغاره وقلة الاحتفال والاكتراث به، وإنى اقتصرت من عقوبتك على ما أخلقته بنفسك من الإباق إلى أقاصى بلاد المغرب شريداً عن منزلك وبلدك فريداً من أهلك وولدك، والآخر أنى علمت أن الوحشة دعتك إلى الانحياز إلى حيث انحزت إليه فأردت التسكين من نفارك والطمأنينة من جأشك وعملت على أنك تحن إلينا حنين الولد وتتوق إلى قربنا توقان ذى الرحم والنسب، فإن فى رفقتنا بك ما يعطفك إلينا وفى تأخينا إياك ما يردك علينا، ولم يسمع منا سامع فى خلاء ولا ملأ انتقاصاً بك ولا غضا منك ولا قدحاً فيك، رقة عليك واستتماماً للبد عندك، وتأميلاً لأن تكون الراجع من تلقاء نفسك والموفق بذلك لرشدك وحظك فأما الآن مع

اضطرارك إياي إلى ما اضطرتني إليه من الانزعاج نحوك وحبسك رسلي النافذين بعهد كثير إلى ما قبلك واستعمالك الموارد والخداع فيما يجري عليه تدبيرك فما أنت بموضع للصيانة ولا أهل للإبقاء والمحافظة بل اللعنة عليك حالة والذمة منك برية والله طالبك ومؤاخذك بما استعملت من العقوق والقطيعة والإضاعة لرحم الأبوة، فعليك من ولد عاق شاق لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين، ولا قبل الله لك صرفا ولا عدلا ولا ترك لك منقلبا ترجع إليه وخذلك خذلان من لا يؤبه له وأثكلك ولا أمهلك ولا حاطك ولا حفظك. فوالله لأستعملن لعنك في دبر كل صلاة والدعاء عليك في آناء الليل والنهار والغدو والآصال، ولأكتبن إلى مصر وأجناد الشام والثغور وقنسرين والعواصم والجزيرة والحجاز ومكة والمدينة كتبنا تقرأ على منابرها باللعن لك والبراءة منك والدلالة على عقوقك وقطيعتك، يتناقلها آخر عن أول ويأثرها غابر عن ماض وتخلد في بطون الصحائف وتحملها الركبان ويتحدث بها في الآفاق وتلحق بها وبأعقابك عارا ما اطرده الليل والنهار، فحيث تعلم أيها المخالف أمر أبيه القاطع رحمه العاصي ربه، أي جناية على نفسك جنيت وأي كبيرة اقترفت، تتمنى لو كانت فيك مسكة أو فيك فضل إنسانية أنك لم تكن ولدت ولا في الخلق عرفت، إلا أن تراجع من طاعتنا والإسراع إلى ما قبلنا خاضعا ذليلا، فنقيم الاستغفار مقام اللعنة والرقعة مقام الغلظة والسلام على من سمع الموعدة فوعاها وذكر الله فاتقاه إن شاء الله تعالى.

[جاء في تاريخ الطبري: لحق العباس بن أحمد بن طولون مع من تبعه ببرقة مخالفا لأبيه أحمد وكان أبوه أحمد استخلفه فيما ذكر على عمله بمصر لما توجه إلى الشام فلما انصرف أحمد عن الشام راجعا إلى مصر حمل العباس ما في بيت مال مصر من الأموال وما كان لأبيه هناك من الأثاث وغير ذلك ثم مضى إلى برقة فوجه إليه أحمد جيشا فظفروا به وردوه إلى أبيه أحمد فحبسه عنده وقتل جماعة كانوا شايعوا ابنه على ذلك].

120- روى أن قابوس بن وشمكير: كان أصحابه قد تغيروا عليه حين سطا بهم وترك الرفق وقتل خواصه، فاجتمع جماعة منهم إلى ابنه منوهر وأعلموه أنهم قد عزموا

على قتل قابوس، وأنه إن لم يقبض عليه قرنوه به، فقبض عليه ورقاه القلعة ومنعه ما يتدثر به في شدة البرد، فهلك، وكان قد حكم على نفسه في النجوم أن منيته على يد ولده، فأبعد ولده داراً لما كان يرى من عقوقه، وقرب منوجهر لما كان يرى من طاعته، وكانت منيته بسببه. ومن شعر قابوس:

خَطَرَاتُ ذِكْرِكَ تَسْتَثِيرُ مَوَدَّتِي فَأَحْسُ مِنْهَا فِي الضَّوَادِ دَبِيباً
لَا عِضْوُ لِي إِلَّا وَفِيهِ صَبَابُهُ فَكَأَنَّ أَعْضَائِي خُلِقْنَ قُلُوباً

121- قال محمد بن حرب: كانت رقاش امرأة من أياد، وكان أبوها يجيها حباً شديداً، فخطبها رجل من قومها فأعجبت به ووقع من قلبها، وامتنع أبوها من تزويجه فسقت أباهاً شربة [بها سُم]، فلما وجد حس الموت قال: يا رقاش قتلتيني لمن هو أبعد مني وسوف ينالك وبال النقمة. فلما هلك أبوها، تزوجت بذلك الرجل فلم ينشب أن ضربها، فقبل لها: يا رقاش ضربك زوجك؟! فقالت: من قل ناصرته اعترف بالذل. ثم لم ينشب أن تزوج عليها، فقبل لها: يا رقاش تزوج عليك فلو سألتيه الطلاق؟ فقالت: لا أبغى الشر بالشر..

122- عن جعفر بن سليمان الضبعي عن مالك بن دينار قال: بينما أنا أطوف بالبيت الحرام وقد أعجبنى كثرة الحجاج والمعتمرين، فقلت: يا ليت شعري من المقبول منهم فأهنيه ومن المردود عنهم فأعزيه، فلما كان الليل رأيت في منامي كأن قائلاً يقول: مالك بن دينار تتفكر في الحجاج والمعتمرين قد والله غفر للقوم أجمعين الصغير والكبير والذكر والأنثى الأسود والأبيض العربي والعجمي، ما خلا رجلاً واحداً فإن الله تعالى غضبان عليه وقد رد عليه حجه وضرب به وجهه!

فنمت ليلة لا يعلمها إلا الله جل وعز، وخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل، فلما كان في الليلة الثانية، رأيت في منامي مثل ذلك غير أنه قيل لي: ولست ذلك الرجل، بل هو رجل من أهل خراسان من مدينة بلخ، يقال له: محمد بن هارون البلخي. فلما أصبحت

أتيت قبائل خراسان فقلت: أفيكم البلخيون؟ قالوا: نعم. فأتيتهم فسلمت وقلت: أفيكم رجل يقال له: محمد بن هارون؟

قالوا: بَخٍ بَخٍ يا مالك، تسأل عن رجل ليس بخراسان أعبد ولا أزهد ولا أقرأ منه فعجبت من جميل الثناء عليه وما رأيت في منامي، فقلت: أرشدوني إليه؟ فقالوا: إنه منذ أربعين سنة يصوم النهار ويقوم الليل ولا يأوى إلا إلى الخراب، نظنه في خراب مكة، فجعلت أجول في الخرابات وإذا به قائم خلف جدار وإذا يده اليمنى مقطوعة معلقة في عنقه، وقد نقب ترقوته وشدها إلى قيدين غليظين في قدمه وهو راكع وساجد، فلما أحس بهمس قدمي انفتل وقال: من تكون؟ قلت: مالك بن دينار، قال: يا مالك ماذا جاء بك رأيت رؤيا، اقصصها علي؟ قلت: أستحي أن أستقبلك بها، قال: لا تستح، فقصصتها عليه.

فبكى طويلاً وقال: يا مالك هذه الرؤيا ترى لي منذ أربعين سنة، يراها كل سنة رجل زاهد مثلك إني من أهل النار، قلت: بينك وبين الله ذنب عظيم؟

قال: نعم ذنبي أعظم من السماوات والأرض والجبال، قلت: حدثني أحذر الناس لا يعملون به، قال: يا مالك كنت رجلاً أكثر شراب المسكر فشربت يوماً عند خدن لي حتى إذا ثملت وزال عقلي أتيت منزلي فدخلت فإذا والدتي تحصب تنوراً لنا قد ابيض جوفه، فلما رأته أتمايل بسكرى أقبلت تعظني تقول: هذا آخر يوم من شعبان وأول ليلة من رمضان يصبح الناس غدا صواماً وتصبح أنت سكراناً؟! أما تستحي من الله؟

فرفعت يدي فلكزتها، فقالت: تعست. فغضبت من قولها فحملتها بسكرى فألقيت بها في التنور، فلما رأته امرأتى حملتني فأدخلتني بيتاً وأجافت الباب في وجهي فلما كان آخر الليل وذهب سكرى دعوت زوجتي لتفتح الباب، فأجابتنى بجواب فيه جفاء، فقلت: ويلك ما هذا الجفاء الذي لم أعرفه منك؟! قالت: تستاهل ألا أرحمك، قلت: ولم؟ قالت: قد قتلت أمك رميت بها في التنور [حتى] احترقت فلما سمعت ذلك لم أتمالك أن قلعت الباب وخرجت إلى التنور، فإذا هي فيه كالرغيف المحترق. فالتفت فإذا قدوم

فوضعت يدي على عتبة الباب فقطعتها بيدي الشمال، ونقبت ترقوتي فأدخلت فيها هذه السلسلة، وقيدت قدمي بهذين القيدتين، وكان [في] ملكي ثمانية آلاف دينار فتصدقت بها قبل مغيب الشمس وأعتقت ستا وعشرين جارية، وثلاثة وعشرين عبدا، ووقفت ضياعي في سبيل الله، وأنا منذ أربعين سنة أصوم النهار وأقوم الليل لا أفطر إلا على قبضة حمص وأحج البيت في كل سنة، ويرى لي في كل سنة رجل عالم مثل هذه الرؤيا وأنى من أهل النار .

قال مالك: فنفضت يدي وقلت: يا مشؤوم كدت تحرق الأرض ومن عليها بنارك وغبت عنه بحيث أسمع حسه ولا أرى شخصه. فرفع يده إلى السماء وجعل يقول: يا فارح الهم وكاشف الغم، محيب دعوة المضطرين، أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، لا تقطع رجائي ولا تخيب دعائي.

قال مالك: فأتيت منزلي فنمت فرأيت النبي في منامي وهو يقول: يا مالك، لا تقنط الناس من رحمة الله ولا تؤيسهم من عفوهِ، إن الله قد اطلع من الملاء الأعلى على محمد ابن هارون فاستجاب دعوته وأقاله عشرته، اغدُ إليه فقلْ له: إن الله يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة وينتصر للجماة من القرناء، ويجمع بينك يا محمد بن هارون وبين أمك فيحكم لها عليك، ويأمر الملائكة أن يقيدوك بسلاسل غلاظ إلى النار، فإذا وجدت طعمها بمقدار ثلاثة أيام من أيام الدنيا ولياليها، لأنى آليت على نفسى لا يشرب المسكر عبد من عبيدى ويقتل النفس التى حرمت إلا أذقته طعم النار، ولو كان خليلي إبراهيم، ثم أطرح في قلب أمك الرحمة، فألهمها أن تستوهبك منى، فأهبك لها فتدخلان الجنة.

فلما أصبحت غدوت إليه فأخبرته برؤياي، فكأنما كانت حياته حصاة طرحت في طست ماءٍ [فسقط] فمات، فكنت في من صلى عليه..

* * *

الفصل العاشر

ما جاء عن العقوق من أقوال

123- عن ابن عمر رضي الله عنهما، ثلاثة لا ينفع معهن عمل: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف.. قال الحافظ: المراد به صدور ما يتأذى به الوالد من ولده، من قول أو فعل ما لم يتعنت الوالد. وضبطه ابن عطية بوجوب طاعتها في المباح فعلاً وتركاً، وندها في المندوب وفرض الكفاية كذلك والفرار من الزحف أى حين لا يجوز الفرار..

124- [جاء في التوراة]: أيما ابن عصى أباه ولم يطعه ولم يقبل أمره، فليخرجه أبوه إلى شيوخ سبعة فيرجمونه، حتى يذهب الشر والفضيحة منكم، ويحذر أمثاله من بنى إسرائيل..

125- روى سعيد بن المسيب: أن العاق يموت ميتة سوء..

126- عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: يغفر لكل مؤمن إلا العاق أو المشاحن⁽¹⁾..

127- قال إبراهيم بن العباس الكاتب: القلم الرديء كالولد العاق..

128- عن مجاهد قال: لا ينبغي للولد أن يدفع يد والده عنه إذا ضربه. قال: ومن شد النظر إلى والديه لم يبرهما، ومن أدخل عليهما حزناً فقد عقهما..

129- قيل: العقوق كيف يكون في درجة الإشراك، وهو كفر؟ وأجيب: إنها أدخل في سلكه تعظيماً لأمر الوالدين وتغليظاً على العاق. والمراد: أن أكبر الكبائر فيما يتعلق بحق الله الإشراك، وفيما يتعلق بحق [الوالدين] العقوق..

130- عن أنس رضي الله عنه: لا تطفأ ناره، ولا يموت ديدانه، ولا يخفف عذابه: الذي يشرك بالله عز وجل. ورجل جر رجلاً إلى سلطان بغير ذنب فقتله، ورجل عق والديه..

(1) شعب الإيمان ج 3 ص 381 رقم 38829.

131- عن عمارة أبي سعيد قال: قلت للحسن [البصري]: إلى ما ينتهي العقوق؟

قال: أن تحرّمهما وتهجرهما وتحد النظر إلى وجه والديك..

132- وسئل أبو محمد: عن الصلاة خلف عاق والديه، فأجاب: الصلاة خلف

غيره أولى، ولا يعيد من صلى خلفه..

133- وعن أبي موسى رفعه: إذا أصبح إبليس بث جنوده فيقول: من أضلّ اليوم

مسلمًا ألبسته التاج! فيجيء أحدهم فيقول: لم أزل به حتى عاق والديه. فيقول: يوشك أن

يبرهما. ويجيء الآخر فيقول: لم أزل به حتى طلق زوجته. فيقول: يوشك أن يتزوج.

ويقول الآخر: لم أزل به حتى قتل، فيقول: أنت أنت ويلبسه التاج.. أخرجه الحاكم وقد

ذكر في تخريج الكشاف من طرق أخرى لذلك..

134- عن كعب الأحبار أنه سئل عن العقوق فقال: إذا أمرك أبواك فلم تطعهما فقد

عققتهما، وإذا دعوا عليك فقد عققتهما العقوق كله..

135- قال ابن الصلاح وأقره النووي: عقوق الوالدين المحرم، كل فعل يتأذى به

الوالد أو نحوه تأذيًا ليس بالهين..

136- وقيل: عقوق الوالدين لا يقتضيه العقل لسبق إحسانهما إلى الولد بكل

طريق..

137- وقيل: من أقبح العقوق أن يتمنى الولد زوال أبيه ليرثه إن كان غنيًا، أو

ليتخلص منه إن كان فقيرًا، أو لينجو من مراقبته ومحاسبته إن كان مؤدبًا، كأن أباه وباء

عليه..

138- وقيل: المصيبة في الولد العاق موهبة، والتعزية عنه تهنة !!

139- قيل: الولد العاق إن مات نغصك، وإن عاش نقصك. الولد العاق

كالإصبع الزائدة، إن تركت شانتك، وإن قطعت آذتك .

قيل لأعرابي [وكان ولده شديد العقوق]: كيف ابنك؟ قال: هو عذاب رصف به الدهر، وبلاء لا يقاومه الصبر، وفائدة لا يجب عليها الشكر..

140- وقيل: عاق والديه في منزلة من النار لا ينظر الله فيها إليه..

141- قال بعض الحكماء: من عصى والديه لم ينل السرور من ولده..

142- وقيل: من لم يبر والديه مع وفور حقهما عليه كان لغيرهما أقل برا..

143- قال الذهبي: إن عقوق الأمهات من الكبائر وهو إجماع..

144- قال عمر [بن عبد العزيز رحمه الله] ناصحاً لميمون بن مهران: يا ميمون لا تدخل

على هؤلاء الأمراء وإن قلت: أمرهم بالمعروف، ولا تخلون بامرأة وإن قلت: أقرئها القرآن. ولا تصلن عاقاً ولا تودن عاقاً، فإنه لن يصلك وقد قطع أباه، كيف يودك [من] عَقَّ أباه..

قال أبو العتاهية:

مَنْ ذَا الَّذِي تَرْتَجِي الْأَقَاصِي إِنْ لَمْ تَنْلِ خَيْرَهُ الْأَذَانِي

145- وعن الحسن [البصري] قال: منتهى القطيعة أن يجافي⁽¹⁾. الرجل أباه عند

السلطان..

146- عن يزيد بن أبي حبيب قال: إيجاب الحجة على الوالد عقوق..

147- قال مالك بن مقول: اشتكى أبو معشر ابنه إلى طلحة بن مصرف،

فقال: استعن عليه بهذه الآية، وتلا: ﴿... قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيَّتِي إِنَّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ١٥﴾⁽²⁾.. [أي أكثر الدعاء له بالصلاح لعل الله أن يهديه لك بعد عقوقه]..

(1) [الجفاء: ترك الصلة والبرّ والبعد وغلظ الطبع].

(2) سورة الأحقاف آية 15.

148- قال بعض العلماء: لا تجد العاق إلا جباراً شقيماً وتلا قوله: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيماً﴾ (٣٢) (١) ..

149- وقيل: في المثل أعق من ضب..

150- قال أبو عبيد: من أمثالهم: العقوق شكل من لم يشكل. أى إذا عقه ولده فقد ثكلهم وإن كانوا أحياء..

151- قيل لبعض الفلاسفة: لم تعق والديك؟ قال: لأنهما أخرجاني إلى الكون والفساد.!

152- قيل لأبى العلاء المعرّى: ماذا تكتب على قبرك؟ فقال اكتبوا عليه:

هَذَا جَنَاهُ أَبِي عَلَى وَمَا جَنَيْتُ عَلَى أَحَدٍ

153- عن عطاء بن يسار أن كعباً سئل عن العقوق فقال: إذا أقسم عليه لم يفعل، وسأله فلم يعطه، وشكى إلى الله ما يلقى منه، فذلك العقوق..

154- عن سعيد بن أبى سعيد قال: سأل رجل كعباً عن العقوق، ما تجدونه في كتاب الله من عقوق الوالد؟

قال: إذا أقسم عليه لم يبرره، وإن سأله لم يعطه، وإذا ائتمنه خانه، فذلك العقوق..

155- وقال أحمد التمار: مات لى أخ في الله تعالى، فرأيته في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال لى: منعنى بعقوق الوالدين أن أشم رائحة الجنة وأنا منتظر قدومهما لعلهما يرضيان عني فيرضى الله عليّ..

156- قال بطرس: لقد كتب في ناموس الله في كتاب موسى: أكرم أباك لتعيش طويلاً على الأرض. ليكن ملعوناً الابن الذى لا يطيع أباه وأمه. ولذلك أمر الله بأن يرحم مثل هذا الابن العقوق أمام باب المدينة وجوباً بغضب الشعب..

(1) سورة مريم آية 32.

157- وقيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود، قلّ لبنى إسرائيل: إياكم وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وأكل الربا، والإصرار على الزنا..

158- وعن كعب قال موسى عليه السلام حين ناجاه ربه تعالى: يا رب، ما جزاء من عَقَّ والديه؟ قال: النار مصيره وحسبه..

159- وعن كعب الأحبار قال: اجتمع ثلاثة من بنى إسرائيل فقالوا: تعالوا يذكر كل منا أعظم ذنب عمله .

فقال أحدهم: أما أنا فلا أذكر من ذنب أعظم من أنى كنت إذا أصاب أحدنا بول من ثوبه قطعه، فأصابني بول فقطعته ولم أبالغ في قطعه، فهذا أعظم ذنب عملته. وقال الآخر: كنت مع صاحبى لى فعرضت لنا شجرة، فخرجت عليه ففرغ منى فقال: الله بينى وبينك . وقال الثالث: كانت لى والدة فدعتنى من قبل شمال الريح، فأجبته فلم تسمع، فجاءتنى مغضبة فجعلت ترمينى بالحجارة، فأخذت عصا وجئت لأقعد بين يديها لتضربنى بها، ففرغت منى فأصابت وجهها شجرة فشجتها، فهذا أعظم ذنب عملته..

160- وقال عليه الصلاة والسلام: أخبرنى جبريل عليه السلام أن فى النار كهوفاً ومضائر أعدت لقاطع الرحم، والعاق لوالديه ⁽¹⁾..

161- قال الله سبحانه وتعالى: يا بنى آدم: أتعصونى وأنتم تخافون من حر الشمس والرمضاء، وجهنم لها سبع طباقات يأكل بعضها بعضا. والطور وكتاب مسطور فى رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع .

يا ابن آدم: ما خلقت هذه النيران إلا لكل عاق والديه، ولكل بخيل ونمام ومراء ومانع للزكاة من ماله، والزانى وأكل الربا وشارب الخمر، وظالم اليتيم والأجير والغادر والنائحة، وجامع الحرام وناسى القرآن، وكل فاجر ومؤذى الجيران، إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً..

(1) الزهر الفائح فى ذكر من تنزه عن الذنوب و القبائح ج 1 ص 6.

162 - ذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل: أن عبد الملك بن صالح كان له ابن يقال له: عبد الرحمن، فسعى [وكاتب أبيه قمامة] إلى الرشيد وقال له: إنه يطلب الخلافة ويطمع فيها! فأخذه وحبسه عند الفضل بن الربيع، فذكر أن عبد الملك بن صالح أدخل على الرشيد حين سخط عليه فقال له الرشيد: أكفراً بالنعمة وجحوداً لجليل المنة والتكرمة؟

فقال: يا أمير المؤمنين، لقد بؤت إذاً بالندم وتعرضت لاستحلال النقم وما ذاك إلا بغى حاسد نافسنى فيك مودة القرابة وتقديم الولاية، إنك يا أمير المؤمنين خليفة رسول الله ﷺ فى أمته وأمينه على عترته لك فيها فرض الطاعة وأداء النصيحة ولها عليك العدل فى حكمها والتثبت فى حادثها والغفران لذنوبها.

فقال له الرشيد: أتضع لى من لسانك وترفع لى من جنانك، هذا كاتبك قمامة يخبر بغلّك وفساد نيتك، فاسمع كلامه، فقال عبد الملك: أعطاك ما ليس فى عقده ولعله لا يقدر أن يعضهنى ولا يبهتنى⁽¹⁾. بما لم يعرفه منى! وأحضر قمامة فقال له الرشيد: تكلم غير هائب ولا خائف، قال: أقول إنه عازم على الغدر بك والخلاف عليك. فقال عبد الملك: أهو كذاك يا قمامة؟! قال قمامة: نعم، لقد أردت ختل⁽²⁾ أمير المؤمنين، فقال عبد الملك: كيف لا يكذب على من خلفى وهو يبهتنى فى وجهى!

فقال له الرشيد: وهذا ابنك عبد الرحمن يخبرنى بعثوك وفساد نيتك، ولو أردت أن أحتج عليك بحجة لم أجد أعدل من هذين لك [كاتبك وابنك]. فبم تدفعهما عنك؟!

فقال عبد الملك بن صالح: هو مأمور أو عاق مجبور، فإن كان مأموراً فمعذور [انظر كيف يجد منفساً لحسن ظنه بابنه]. وإن كان عاقاً ففاجر كفور، أخبر الله عز وجل بعداوته وحذر منه بقوله: ﴿..... إِنَّكَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوَّلَدِكُمْ عَدُوٌّ لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ.....﴾⁽³⁾.. فنهض الرشيد وهو يقول: أما أمرك فقد وضح ولكنى لا

(1) [العضاء: كل شجر يعظم وله شوك واحدها عَصَاهَةٌ. هَتَّةٌ: أخذه بغتة].

(2) [الختل: التخادع عن غفلة].

(3) سورة التغابن آية 14.

أعجل حتى أعلم الذى يرضى الله فيك فإنه الحكم بينى وبينك. فقال عبد الملك: رضيت بالله حكماً وبأمر المؤمنين حاكماً، فإننى أعلم أنه يؤثر كتاب الله على هواه وأمر الله على رضاه. فلما كان بعد ذلك جلس مجلساً آخر فسلم لما دخل، فلم يرد عليه، فقال عبد الملك: ليس هذا يوماً أحتج فيه ولا أجاذب منازعاً وخصماً، قال [الرشيد] ولم؟ قال: لأنه أوله جرى على غير السنة فأنا أخاف آخره، قال [الرشيد] وما ذاك؟ قال: لم ترد على السلام، أنصف نصفه العوام؟

قال: السلام عليكم اقتداء بالسنة وإيثارا للعدل واستعمالاً للتحية، ثم التفت نحو سليمان بن أبى جعفر فقال وهو يخاطب بكلامه عبد الملك: أريد حياته ويريد قتلى البيت. فقال عبد الملك: اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك وفى رعيته التى استرعاك ولا تجعل الكفر مكان الشكر ولا العقاب موضع الثواب، فقد نخلت لك النصيحة ومحضت لك الطاعة وشددت أواخى ملكك بأثقل من ركنى يلملم⁽¹⁾. وتركت عدوك مشتغلاً فالله الله فى ذى رحمك أن تقطعه ببغى باغ ينهس اللحم ويلغ الدم. فقال له الرشيد: أما والله لولا الإبقاء على بنى هاشم لضربت عنقك فلم يزل محبوباً [بسعى ولده] حتى توفى الرشيد..

163- زعموا أنه كان رجل نجار يعمل بيده، فيصيب كل يوم درهما يتفق نصفه على أب له شيخ كبير وامرأة له وابن وبنت، ويدخر لنفسه نصفه، فعمل زماناً وعاش بخير، فنظر يوماً فإذا هو قد استفضل مائة دينار فقال: لو عملت سفينة واشتغلت بتجارة البحر رجوت أن أتمول، فقال له أبوه: لا تفعل فإن رجلاً من المنجمين أخبرنى أيام ولدت أنك تموت غريقاً. قال: فما أخبرك أنى أصيب مالا؟ قال: بلى، لذلك نهيتك عن التجارة والتمست لك عملاً تعيش فيه يوماً بيوم، قال: أتجر وإن عشت عشت بخير وإن مت تركت أولادى بخير، قال: يا ولدى لا يكونن ولدك أثر عندك من نفسك. فعمل سفينة وركب فيها بتجارة فغاب سنة ثم قدم بقنطار ذهب، فحمد الله والده وقال: يا بنى، إنى كنت نذرت لله تعالى إن ردك سالماً أن أحرق السفينة، قال: لقد أردت هلاكى، قال: إنما

(1) [جبل يَلْمَلَم: هو مِمَقَاتُ أَهْلِ الْيَمَنِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ لَيْلَتَان].

أردت حياتك. فأقبل على الشكر فقد أصبت غنى الدهر، فلم يقبل وخرج فغاب سنة
وقدم بأضعاف ما قدم به أو مرة فقال لأبيه: لو كنت أطعتك لم أصب هذا المال، قال:
يا بنى، إنما أراك تعمل لغيرك وسيجرعك ما ترى غصة فتتمنى لو كان بينك وبين هذه
البلدة جبال المشرق، قال: يا أبت أرجو أن يكون المنجم أصاب في الغنى وأخطأ في
الغرق. ثم صنع سفينة أخرى، فبكى أبوه، فرق لذلك وقال: يا أبت والله لئن ردنى الله
سالمًا لا ركبت بحراً ما عشت، قال: يا بنى، اليوم أيقنت فقدك. فمضى فلما توسط البحر
أصابه موج فضربت إحدى سفينتيه الأخرى فانصدعتا فغرقتا، فجعل يتأسف على
عصيان أبيه وهلاك من معه، فبلغ الخبر أباه فكمده حتى هلك، وقسم الميراث على امرأة
التاجر وابنه وابنته فتزوجوا وصار ذلك المال إلى أزواجهن، فكل ما يجمع الأشقياء إلى
ذلك يصير !!

164- الخطيئة الشاعر: لقب بالخطيئة لقصره، أدرك الجاهلية وأسلم في زمن
الصديق ﷺ وكان كثير الهجاء حتى يقال إنه: هجا أباه وأمه وخاله وعمه ونفسه وعرسه
فمما قال في أمه قوله:

تَنَحَّى فاقْعَدِي عَنِّي بَعِيداً	أَرَاكَ اللهُ مِنْكَ الْعَالَمِينَ
أَغْرِبَالاً إِذَا اسْتَوْدَعْتَ سِرّاً	وَكَانُونَ أَعْلَى الْمُتَحَدِّثِينَ
جَزَاكَ اللهُ شَرّاً مِنْ عَجُوزٍ	وَلَقَاكَ الْعَقُوقُ مِنَ الْبَنِينَ

وقال في أبيه وعمه وخاله:

لِحَاكَ اللهُ ثُمَّ لِحَاكَ حَقّاً	أَبَا وَلِحَاكَ مِنْ عَمٍّ وَخَالٍ
فَنَعَمَ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَى الْمُخَاوِزِ	وَبُئْسَ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَى الْمَعَالِي

ومما قال في نفسه بدمها :

أَبْتُ شَفَتَايَ الْيَوْمَ أَنْ تَتَكَلَّمَا	بَشَرِّمَا أَدْرَى لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ
أَرَى لِي وَجْهًا شَوْهَ اللهِ خَلَقَهُ	فَقَبِّحْ مِنْ وَجْهِهِ وَقَبِّحْ حَامِلُهُ

وشكاه ناس إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأحضره وحبسه، وكان سبب ذلك أن الزبرقان ابن بدر شكاه لعمر رضي الله عنه أنه قال له يهجوه :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
فقال له عمر رضي الله عنه: [ما] أراه هجاك، أما ترضى أن تكون طاعما كاسيا؟! فقال:
يا أمير المؤمنين، إنه لا يكون هجاء أشد من هذا، فبعث عمر إلى حسان بن ثابت رضي الله عنه فسأله
عن ذلك فقال: يا أمير المؤمنين، ما هجاء ولكن سلح عليه!! فعند ذلك حبسه عمر وقال:
يا خبيث لأشغلنك عن أعراض المسلمين، ثم شفع فيه عمرو بن العاص رضي الله عنه وأخذ عليه
العهد أن لا يهجو الناس واستتابه، ويقال إن [عمر رضي الله عنه]: أراد أن يقطع لسانه، فشفعوا فيه
حتى أطلقه.

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: أمر عمر رضي الله عنه بإخراج الخطيئة من الحبس وقد كلمه
فيه عمرو بن العاص وغيره، فأخرج وأنا حاضر فأنشأ يقول :

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ	زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
غادرت كاسبهم في قعر مظلمة	فأرحم هداك مليك الناس يا عمر
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه	ألقى إليك مقاليد النهي البشر
لم يؤثروك بها إذ قدموك لها	لكن لأنفسهم كانت بك الأثر
فامنن على صبية بالرمل مسكنهم	بين الأباطح يغشاهم بها القدر
نفسى فداؤك كم بينى وبينهم	من عرض وادية يعمى بها الخبر

قال: فلما قال الخطيئة: ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ بكى عمر رضي الله عنه، فقال عمرو بن
العاص: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أعدل من رجل يبكى على تركه الخطيئة، ثم
ذكروا أنه أراد قطع لسان الخطيئة لثلا يهجو به الناس، فأجلسه على كرسى وجىء
بالموسى، فقال الناس: لا يعود يا أمير المؤمنين، وأشاروا إليه قل لا أعود، فقال له عمر:
النجا..

165- وأخرج ابن الجوزى فى كتاب عيون الحكايات بسنده عن محمد بن العباس الوراق قال: خرج رجل مع ابنه حتى إذا كانا ببعض الطريق مات الأب، فدفنه [الابن] بشجر الدوم ومضى فى سفره، ثم مر بذلك الموضع ليلاً فلم ينزل إلى قبر أبيه، فإذا هاتف يهتف ويقول شعراً:

أجْدَكَ تَطْوَى الدومَ لَيْلاً وَلَا تَرَى عَلَيْكَ لِأَهْلِ الدومِ أَنْ تَتَكَلَّمَ
وبالدومِ ثَأْوِ لَوْ ثَوِيَتْ مَكَانَهُ فَمَرَّ بِأَهْلِ الدومِ عَاجَ فَسَلَّمَ

166- اشتغل أبو القاسم بن أبى بكر محمد بن الملح، أول أمره بالزهد وكتب التصوف، فقال له أبوه: يا بنى، هذا الأمر ينبغي أن يكون آخر العمر، وأما الآن فينبغى أن تعاشر الأدباء والظرفاء وتأخذ نفسك بقول الشعر ومطالعة كتب الأدب، فلما عاشرهم، زينوا له الراح فتهتك فى الخلاعة وفر إلى إشبيلية وتزوج بامرأة لا تليق بحاله، وصار يضرب معها بالدف! فكتب إليه أبوه:

يَا سَخْنَةَ الْعَيْنِ يَا بَنِيَا لَيْتَكَ مَا كُنْتَ لِي بَنِيَا
أَبْكَيْتَ عَيْنِي أَطْلَيْتَ حُزْنِي أَمَتَ ذِكْرِي وَكَانَ حَيَا
حَطَّطْتَ قَدْرِي وَكَانَ أَعْلَى فَي كُلِّ حَالٍ مِنَ الثُّرَيَّا
أَمَا كَفَاكَ الزَّنا ارْتِكَاباً وَشَرِبُ مَشْمُولَةِ الْحَمِيَّا
حَتَّى ضَرَبْتَ الدَّفوفَ جَهْرًا وَقُلْتَ لِلشَّرِّ جِئَ إِلَيَّا
فَالْيَوْمَ أَبْكِيكَ مَلَأَ عَيْنِي إِنْ كَانَ يُغْنِي الْبُكَاءُ شَيْئًا

167- [وروى أن شاباً عاقاً كان] مجاهراً بالشراب متهتكاً فيه، نهاه والداه فلم ينته وأنشد:

أَمِنْ شَرِيَّةٍ مِنْ مَاءِ كَرَمٍ شَرِبْتُهَا غَضِبْتَ عَلَيَّ؟ الْآنَ طَابَ لِي السُّكْرُ
سَأَشْرَبُ فَاغْضَبْ لَا رَضِيَتْ كِلَاهُمَا حَبِيبُ إِلَى قَلْبِي عَقُوقُكَ وَالْخَمْرُ

168- وقيل: أعدى عدو لك ولدك الذى خرج من صلبك. فمن الأولاد أولاد يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص. ومنهم من يحمل أباه على اكتساب المال من غير حله ليبلغ به شهوته ولذته..

169- روى أن رجلاً كان له ابن، ولما أسنَّ وعجز عن العمل أخذه ابنه ذاك وذهب به إلى فلاة من الأرض، فطرحه تحت شجرة وتركه هناك حتى هلك! فلما كبر هذا الابن وبلغ مبلغ أبيه، كان له ابن لا يعلم بالقصة، فأخذه أيضاً وذهب به إلى الفلاة وطرحه تحت شجرة كما فعل هو [سابقاً] بأبيه.

فلما تولى عنه التفت إليه فرآه يبتسم. فتعجب من ذلك ورجع إليه وقال له: مم تضحك وقد أيقنت بالهلاك؟! فقال له: والله ما ضحكت إلا أنني تذكرت ما فعلت بأبي، وقص عليه القصة. فقال الولد حينئذ: لئن أنا تركته حتى مات ليفعلن بى عقبي مثل هذا. فردّه إلى بيته..

170- قال أبو هريرة: قال النبي: كل الأعاجيب كانت فى بنى إسرائيل حدثوا عنهم ولا حرج، فلو حدثتكم حديث العجوزين لعجبتم، قالوا: يا رسول الله وما العجوزان؟ قال: كان فى بنى إسرائيل رجل له امرأة يحبها، ومعها أم كبيرة أم سوء، وكانت تغرى ابنتها بأم زوجها، وكان زوجها يسمع منها وكان يحبها، فقالت لزوجها: لا أرضى عنك أبداً حتى تخرج عنك أمك؟ وكلتا العجوزين قد ذهب بصرهما، فلم تدعه امرأته حتى خرج بأمه فوضعها فى فلاة من الأرض ليس معها طعام ولا شراب ليأكلها السباع ثم انصرف عنها!

فلما أمست غشيها السباع، فجاءها ملك من الملائكة فقال لها: ما هذا الصوت الذى أسمع حولك؟ قالت: خير، هذه أصوات إبل وبقر وغنم، قال: خير فليكن ثم انصرف عنها فلما أصبحت أصبح الوادى ممتلئاً إبلًا وبقرًا وغنماً، فقال ابنها:

جئت أُمى فنظرت ما فعلت، فإذا الوادى ممتلئ إبلًا وبقرًا وغنماً! قال: أى أُمى ما هذا؟! قالت: أى بنى رزق الله هذا وعطاؤه إذ عقتنى وأطعت امرأتك في. فاحتمل أمه

وساق معها ما أعطاها [الله] من الإبل والبقر والغنم. فلما رجع بها إلى امرأته وبها لها، قالت له امرأته: والله لا أرضى عنك أو تذهب بأمي فتضعها حيث وضعت أمك فيصيبها مثل ما أصاب أمك.

فانطلق بالعجوز فوضعها حيث وضع أمه ثم انصرف عنها، فلما أمست غشيها السباع وجاءها الملك الذى أرسله الله عز وجل إلى العجوز قبلها فقال: أيتها العجوز ما هذه الأصوات التى أسمع حولك؟ قالت: شر والله وغر هذه سباعة تريد أن تأكلنى، قال: فشر فليكن وعراً ثم انصرف عنها. فأتاها سبع فأكلها فلما أصبح قالت له امرأته: اذهب فانظر ما فعلت أُمى؟

فذهب لينظر فلم يجد منها إلا فضل ما ترك السبع، فرجع إلى امرأته فأخبرها فحزنت على أمها حزناً شديداً، وحمل عظامها فى كساء حتى وضعها بين يدي ابنتها فماتت كمداً⁽¹⁾ ..

171- عن أبى هريرة عن النبى قال: لم يتكلم فى المهدي إلا ثلاثة عيسى ابن مريم عليه السلام وصاحب جريج وصاحب يوسف، عن النبى أنه قال: كان جريج يتعبد فى صومعته فجاءت أمه فقالت: يا جريج أنا أمك كلمنى، فصادفته يصلى فقال: اللهم أُمى وصلاتى فاختر صلاته، فرجعت ثم عادت فى الثانية فقالت: يا جريج أنا أمك فكلمنى، فقال: اللهم أُمى وصلاتى فاختر صلاته فلم يجبه، فقالت: ابتلاك الله بالمومسات يعنى الزوانى، وكانت امرأة فى تلك البلدة خرجت لحاجتها فأخذها راعى الغنم فواقعها عند صومعة جريج فحملت منه وكان أهل تلك البلدة يعظمون أمر الزنا، فظهر أمر تلك المرأة فى البلد، فلما وضعت حملها أخبر الملك أن امرأة قد ولدت من الزنا، فدعاها فقال: من أين لك هذا الولد؟ قالت: من جريج الراهب قد واقعنى، فبعث الملك أعوانه إليه وهو فى الصلاة فنادوه فلم يجبههم حتى جاءوا إليه بالمرور وهدموا صومعته وجعلوا فى عنقه حبلاً وجاؤوا به إلى الملك.

(1) فنون العجائب ج 1 ص 195.

فقال له الملك: إنك قد جعلت نفسك عابدا ثم تهتك حريم الناس وتتعاطى ما لا يحل لك، قال: أى شيء فعلت؟ قال: إنك قد زנית بامرأة كذا، فقال: لم أفعل فلم يصدقوه، وحلف على ذلك ولم يصدقوه، فقال: ردونى إلى أمى؟ فردوه إلى أمه فقال لها: يا أماه، إنك قد دعوت الله على فاستجاب الله دعائك، فادعى الله أن يكشف عني بدعائك؟ فقالت أمه: اللهم إن كان جريج إنما أخذته بدعوتى فاكشف عنه. فرجع جريج إلى الملك فقال: أين هذه المرأة وأين الصبى؟ فجاءوا بالمرأة والصبى فسألوها؟ فقالت: بلى هذا الذى فعل بى، فوضع جريج يده على رأس الصبى وقال: بحق الذى خلقك أن تخبرنى من أبوك؟ فتكلم الصبى بإذن الله تعالى وقال: إن أبى فلان الراعى. فلما سمعت المرأة بذلك اعترفت وقالت: كنت كاذبة وإنما فعل بى فلان الراعى .

وفى رواية: أن المرأة كانت حاملا لم تضع بعد، فقال لها: أين أصبتك؟ قالت: تحت شجرة، وكانت الشجرة بجانب صومعته. قال جريج: اخرجوا إلى تلك الشجرة، ثم قال: يا شجرة أسألك بالذى خلقك أن تخبرينى من زنا بهذه المرأة؟ فقال كل غصن منها: راعى الغنم، ثم طعن بإصبعه فى بطنها وقال: يا غلام من أبوك؟ فنادى من بطنها، أبى راعى الضأن، فاعتذر الملك إلى جريج الراهب وقال ائذن لى أبنى صومعتك بالذهب؟ قال: لا. قال: بالفضة؟ قال: لا. ولكن بالطين كما كانت. فبنوها بالطين⁽¹⁾. ذكر ما يستفاد منه: فأما الآن فلا يجوز للمصلى إذا دعت أمه أو غيرها أن يقطع صلاته لقوله ﷺ: (لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق) وحق الله عز وجل الذى شرع فيه أكد من حق الأبوين حتى يفرغ منه لكن العلماء يستحبون أن يخفف صلاته ويحجب أبويه، وقال صاحب التوضيح: صرح أصحابنا فقالوا: من خصائص النبی أنه لو دعا إنسانا وهو فى الصلاة وجب عليه الإجابة ولا تبطل صلاته..

172- [وقيل إن فى دعاء أم جريج] عليه وهو فى الصلاة، دليل أن دعاء الوالدين إذا كان بنية خالصة أنه قد يجاب، وإن كان فى حال ضجر وحرص ولم يكونا على صواب،

(1) تفسير البغوى ج 4 ص 325 عمدة القارى ج 7 ص 280 رقم 229.

لأنه قد أجيب دعاء أمه بأن امتحن مع المرأة التي كذبت عليه إلا أنه تعالى استنقذه بمراعاته لأمر ربه، فابتلاه وعافاه [وأثبت براءته ورفع شأنه]، وكذلك يجب للإنسان أن يراعى أمر ربه ودينه، ويقدمه على أمور دنياه فتحمد عاقبته⁽¹⁾..

173- قال عبد الله بن صفوان لابنه: يا لكع. فقال: أما يشبه الرجل أباه فمهما كان من حسن وقبيح فمَنك تولده وفعلك جالبه.!

174- قال الأصمعي: كان في بني تميم [رجل يدعى] حنظلة، وكان معروفاً بسرعة الجواب المسكت، حتى لا يكاد أحد يقهره. فتزوج امرأة منهم، تسمى علقمة، فجاءته بعدة أولاد، ولم يسلم له منهم غير ولد اسمه مرة. وكان أسرع من أبيه جواباً، مع بشاعة منظره فصدر منه أمر، وجب سبه من أبيه في قومه.

فقال له: أنت خبيث كاسمك يا مرة.

فقال: أخبث مني من سماني به.!

قال: إنك لمر يا مرة.

قال: أعجبتني حلاوتك يا حنظلة.!

قال: تالله لست من الناس.

قال: من أشبه أباه فما ظلم.

فقال: لا رضى الله عن بطن تقلبت فيه.

قال: أجل، ولا عن ظهر نزلت منه.!

فقال: ويلك، ما تزداد إلا سوء أدب.

قال: أتجتني من الشوك العنب.؟!

قال: لقد كنت شؤماً على إخوتك، حتى ماتوا وبقيت.

قال: أعجبتني كثرة عمومى يا مبارك.!

(1) شرح صحيح البخارى لابن بطال ج 6 ص 611.

فقال: لا أفلحت أبدا.

قال: كيف يفلح من أنت أبوه ؟!

قال: ما أحوجك إلى تأديب .

قال: الذى نشأت على يده أحوج منى إليه .

فقال: أراحني الله منك كما أراح إخوتك.

قال: اختنق بحبل حتى تموت فتستريح من وجهي !.

قال: لأدعون الله عليك.

قال: الذى تدعوه عالم بك !.

فقال: ما يعلم منى إلا خيرا .

فقال: شاكر نفسه يقرئك السلام.

فقال: ما أجد لى خيرا من السكوت.

قال: يمنعك سوء خلقك الذميم [من ذلك].

فقال: لولا فتورى عنك ما تجرأت على .

قال: إذن نفسك فُلم .

فقال: إن قمت إليك لأوجعneck ضربا.

قال: ما أنت بأشد بطشا منى .

قال: أوتضربنى إذا ضربتك ؟!

قال: وأنت فى شك من ذلك ؟!

فقال: سود الله وجهك.

قال: إلا أنت، بيض الله عينيك.

فقال له: ورم الله منك الأرض.

قال: إذا، فرق الله بينك وبين العافية.

فقال: يا رب ترزق الناس أولادا حسانا، وأنا ترزقني شيطانا.

قال: أما علمت أن العصا من العصية، وأن الحية لا تلد إلا حية .

قيل: فانقطع جواب أبيه، ولم يعيش بعدها إلا يوما وليلة..

175- [ما جاء في عقوق كنعان بن نوح عليه السلام: لما كان ابتداء الحال في تفجر الأرض

كلها عيونا، وانهار الماء من السماء انهارا، مرشداً إلى أن الحال سيصير إلى ما أخبر الله به،

من كون الموج كالجبال لا ينجو ولا يستعصم منه أحد إلا ما شاء الله].

قال تعالى: ﴿.... وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ

مَعَ الْكَافِرِينَ ۚ﴾ (٤٢) قَالَ سَاوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَّعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ

إِلَّا مَنْ رَحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ۝ (١) ..

اختلف في أن [الابن واسمه كنعان كان ابناً لنوح عليه السلام]. نقل الرمانى عن ابن عباس

وسعيد بن جبير والضحاك [أنه] ابنه لصلبه. وقيل: كان ابنه حقيقة لنص القرآن، وصرف

هذا اللفظ إلى أنه ربه، فأطلق عليه اسم الابن لهذا السبب صرف للكلام عن حقيقته إلى مجازه

من غير ضرورة، والمخالف لهذا الظاهر إنما خالفه استبعاداً لأن يكون ولد الرسول كافراً.

وهذا ليس ببعيد، فإنه قد ثبت بنص القرآن أن والد الرسول كان كافراً، فكذلك هاهنا. فإن

قيل: لما دعا وقال: ﴿.... رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (٦٦) ۝ (٢) .. فكيف نادى

ابنه مع كفره؟ فالجواب من وجوه:

الأول: أنه كان ينافق أباه، فظن نوح أنه مؤمن فلذلك ناداه، ولولا ذلك لما أحب

نجاته.

(1) سورة هود الآيات 42 / 43.

(2) سورة نوح آية 26.

الثاني: أنه ﷺ كان يعلم أنه كافر لكن ظن أنه لما شاهد الغرق والأهوال العظيمة فإنه يقبل الإيمان، فكان قوله: (يَا بُنَيَّ اركب معنا) كالدلائل على أنه طالب منه الإيمان، وتأكد هذا بقوله: (وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ) أى: تابعهم في الكفر، واركب مع المؤمنين.

الثالث: أن شفقة الأبوة حملته على ذلك النداء، والذي تقدم من قوله: ﴿... إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ...﴾ (٤٠) (١).. كان كالمجمل، فلعله جوز ألا يكون هو داخلا فيه.

وقيل: كان ابن امرأته، ويدل عليه ما تقدم من القراءة. وقال قتادة: سألت الحسن [البصري] عنه فقال: والله ما كان ابنه، فقلت: إن الله تعالى حكى عنه أنه قال: ﴿... إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي...﴾ (٤٥) (٢).. وأنت تقول: ما كان ابنا له؟! فقال: لم يقل: إن ابني مني، وإنما قال: من أهلي، وهذا يدل على قولي. وكان أى الابن فى معزل عن أبيه فى مكانه وفى دينه، لأنه كان كافرا، وقوله: يا بنى، صغره تحننا وتعطفاً اركب كائناً معنا أى فى السفينة لتكون من الناجين ولا تكن بوجه من الوجوه مع الكافرين. انظر إلى استعطاف نوح ﷺ بقوله: يا بنى، مذكراً له بالبنوة مع تصغير التحنن والتراؤف وفضاظة الابن مع عدم سماحه بأن يقول: يا أبت، ولم يلن مع ما رأى من الآيات العظام، ولا تنهى لشيء منها عن تقحم الجهل بدلاً من العلم وتعسف الشبهة بدلاً من الحجة. ولما كان الحال حال دهش واختلال، كان السامع جديراً بأن لا يصبر بل يبادر إلى قول من ليس له عقل تبعاً لمراد الله، ساوياً إلى جبل يعصمنى أى بعلوه من الماء فلا أغرق. قال أى نوح ﷺ: لا عاصم لأحد من أمر الله، فلم يسمع ابنه ذلك منه، بل عصى أباه كما عصى الله، فأوى إلى الجبل الذى أراده [لنجاته فكان قبره]، فعلا الماء عليه ولم يمكنه بعد ذلك اللحاق بأبيه ولا الوصول إليه وحال بينهما (بين الابن وبين أبيه) الموج فغرق (٣)..

(1) سورة هود آية 40.

(2) سورة هود آية 45.

(3) نظم الدرر في تناسب الآيات والسورج 3 ص 532، اللباب في علوم الكتاب ج 10 ص 206.

176- عن وهب بن منبه قال: لما نضب الماء ونبت الشجر وخرج أهل السفينة وتفرقوا في أعمالهم، جاء إبليس إلى نوح فقال له: إن لي عندك يدا عظيمة! فسلني عما شئت واستنصحنى؟ فوالله لا أخونك ولا أغشك ولا أكذبك!! فأوحى الله إليه أن كلمه وسله فإنى سأنطقه بحجة عليه وموعظة لك .

قال نوح: أى عدو الله أخبرنى أى أخلاق بنى آدم أعون لك ولجنودك على ضلالتهم وهلاكهم؟ قال له إبليس: نعم الخير سألت، إنا إذا وجدنا ابن آدم شحيحا حريصا حسودا جبارا عجولا تلقفناه تلقف الأكرة، فإذا اجتمعت لنا فيه هذه الأخلاق سميناه فينا شيطاننا مريدا، لأن هذه الأخلاق رؤوس أخلاق الشياطين وسأخبرك عن هذه الأخلاق بما تعرف، ألم تعلم أن الله أسكن أباك آدم الجنة ثم فوضها إليه بجميع ما فيها وحرم عليه فيها شجرة واحدة، فحملة الحرص على أن تناولها، فخرج بالحرص من جميع الجنة.

أولم تعلم أن الله عرضنى بالسجود لآدم فأدركنى الحسد والبغى، فخرجت بالحسد والبغى من ملكوت السموات وصرت بذلك شيطاننا لعينا .

أولم تعلم أن قابيل بن آدم شح بأخته رغبة عن سنة أبيه، فحملة الشح بها على أن قتل أخاه فصيره الشح إلى القتل والعقوق إلى النار .

أو لم تعلم أنه هلك من هلك من قومك بالتكبر والتجبر عليك وصاروا بذلك إلى النار .

أو لم تعلم أن العجلة والحدة حملتك على أن دعوت الله على ابنك، فغيرت دعوتك ألوان ولدك وأولاد ولدك من بعده وورثتهم الذل والهلكة إلى يوم القيامة، ولم يكن ذنبه إليك بقدر ذلك إن ضحك مما ضحك منه .

قال له نوح: أخبرنى ما اليد العظيمة التى زعمت أنى اصطنعتها إليك، فوالله إنى لأبغضك وأبغض مسرتك وموافقتك ورضاك واصطناع الأيدى عندك.

قال له إبليس لعنه الله: سأخبرك عن تلك اليد. إنك دعوت على جميع أهل الأرض فألحقتهم دعوتك في ساعة واحدة بالنار، وفرغتني فصرت فارغا مترفها ولولا دعوتك لشغلت فيهم دهرًا طويلًا! فأنا أعد ذلك منك يدا!

قال له نوح: أفلا تتعظ بهم؟!

قال له إبليس: فأين ما سبق في علم الله .

وكان من شأن دعوة نوح عليه السلام على ابنه، أن نوحا لما هبط من السفينة وعمّر الأرض فنام ذات يوم فبدت عورته، فنظر إليه حام ابنه فضحك، [ونظر يافث إلى عورة أبيه فلم يغر عليه ويستر ما ظهر منه أثناء نومه]، ورأى ذلك سام فزبرهما وغطى عورة أبيه، فلما استيقظ أخبره بذلك، فدعا نوح حام فقال: يا بني، غير الله ماء صلبك فلا تلد إلا السودان. ودعا يافث فقال: يا بني، جعل الله ذريتك عبيدًا لولد سام. وقال لسام: يا بني، جعل الله منك الأنبياء والمرسلين والصالحين والملوك، فولد حام الهند والسند والحبش والزنج والزلط والنوبة وفزان وجميع السودان، وولد يافث الترك والصين والبربر والصقالبة ويأجوج ومأجوج ومنسك وثارس وفارس، وولد سام العرب والروم⁽¹⁾..

177- وجاء في كتاب المبتدا قال عبد الله بن سلام: إن حامًا لم يظأ زوجته لأن أباه [نوح عليه السلام] قال في دعائه: اللهم غيّر ما في صلب حام حتى لا يولد له إلا السودان، مدة حياة نوح خوفًا من دعوته حتى مات، فطال ذلك عليه، ثم إنه جامع زوجته فلما حملت ولدت له غلامًا أسود ومعه جارية سوداء، فلما رأى سوادهما فزع وجاء أخواه وقال: إني رأيت خلقًا لم أر مثله، فسألت زوجتي لا يكون قربها الشيطان فقالت: ما قربني أحد غيرك، فقالا له: هذه دعوة أبيك نوح فاغتم لذلك ثم أمسك عن وطئها دهرًا طويلًا ثم واقعها فحملت وولدت ولدين أسودين فهم حام أن يجب نفسه فمناه، ثم طال عليه الأمر ثم واقعها فولدت غلامًا وجارية أسودين، فسمى الغلام كنعان، ثم مات حام

(1) تاريخ مدينة دمشق ج 62 ص 269.

وأوصى إلى سام فدفنه إلى جانب أخيه يافث، وكان عمره حينئذ خمسمائة وسبعين سنة، ومن ذرية حام جميع السودان والحبش، والهند والسند وهما ابنا يرقن بن يقضن بن حام..

178- عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ

.....﴾ (٣١) ⁽¹⁾ قال: الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو عذاب أو لعنة .

وقال: أكبر الكبائر الشرك بالله، لأن الله يقول: ﴿..... إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ

اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ.....﴾ (٧٢) ⁽²⁾ ..

والياس من روح الله، لأن الله تعالى يقول: ﴿..... إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا

الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧) ⁽³⁾ ..

والأمن من مكر الله، لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿..... فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا

الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٩٩) ⁽⁴⁾ ..

ومنها عقوق الوالدين، لأن الله تعالى جعل العاق: ﴿..... جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ (١٤) ⁽⁵⁾ ..

[وجعله أيضاً] ﴿..... جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (٣٢) ⁽⁶⁾ ..

وقتل النفس التى حرم الله بغير حق، لأن الله سبحانه يقول: ﴿..... فَجَزَّأُوهُ

جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا.....﴾ (١٣) ⁽⁷⁾ ..

(1) سورة النساء آية 31.

(2) سورة المائدة آية 72.

(3) سورة يوسف آية 87.

(4) سورة الأعراف آية 99.

(5) سورة مريم آية 14.

(6) سورة مريم آية 32.

(7) سورة النساء آية 93.

وقذف المحصنات، لأن الله تعالى يقول: ﴿.... لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٣) ..⁽¹⁾

وأكل مال اليتيم، لأن الله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (١٠) ..⁽²⁾

والفرار من الزحف، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَ ذُبُرِهِ إِذَا مُتَحَرِّفًا لِقُنَالٍ أَوْ مُتَحَرِّفًا إِلَى الْخَبَا فَمَا كَانَ يُدْرِكُهُمْ نَارٌ فَقَدْ كُفِّرَتْ عَنْهُمْ أَسْمَاءُ اللَّهِ....﴾ (١٦) ..⁽³⁾

وأكل الربا، لأن الله يقول: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ....﴾ (٢٧٥) ..⁽⁴⁾

والسحر، لأن الله يقول: ﴿.... وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ....﴾ (١٠٢) ..⁽⁵⁾

والزنا، لأن الله يقول: ﴿.... وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْمَكَذِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُخْلَدُ فِيهِ مِهَنًا ۖ﴾ (٢٤) ..⁽⁶⁾

واليمين الغموس الفاجرة، لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ....﴾ (٧٧) ..⁽⁷⁾

(1) سورة النور آية 23.

(2) سورة النساء آية 10.

(3) سورة الأنفال آية 16.

(4) سورة البقرة آية 275.

(5) سورة البقرة آية 102.

(6) سورة الفرقان آية 68 / 69.

(7) سورة آل عمران آية 77.

والغلول، لأن الله يقول: ﴿...وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ...﴾ (١٦١) (١) ..

ومنع الزكاة المفروضة: لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿... فَتُكَوِّفُ بِهَا جِهَاهُمْ
وَجُوبَهُمْ وَيُظْهِرُهُمْ...﴾ (٣٥) (٢) ..

وشهادة الزور وكتمان الشهادة، فإن الله جل وعلا يقول ﴿... وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ
ءَاثِمٌ قَلْبُهُ...﴾ (٦٨٣) (٣) ..

وشرب الخمر، لأن الله عدل بها الأوثان وترك الصلاة متعمداً أو أشياء مما فرض الله
تعالى لأن رسول الله قال: ومن ترك الصلاة متعمداً فقد برئ من ذمة الله ورسوله ونقض
العهد، وقطيعة الرحم، لأن الله تعالى يقول: ﴿... لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ...﴾ (٢٥) (٤) ..

* * *

(1) سورة آل عمران آية 161 .

(2) سورة التوبة آية 35 .

(3) سورة البقرة آية 283 .

(4) سورة الرعد آية 25 .

الباب الثاني

البر وما جاء فيه

الفصل الأول: تعريف البر لغة

179- البرُّ: الصَّدْقُ والطاعة، وفي التنزيل: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ...﴾ [البقرة]، أراد ولكن البرُّ مَنْ آمَنَ بالله وقال: عليكم بالصَّدْقِ فإنه يَهْدِي إلى البرِّ، واختلف العلماء في تفسير البر فقال بعضهم: البر الصلاح، وقال بعضهم: البر الخير. [ونحن نقول: هي كلمة جامعة لكل خير] وجعل لبيدُ البرِّ التَّقَى حيث يقول: وما البرُّ إِلَّا مُضْمَرَاتٌ مِنَ التَّقَى، قال الشاعر: تُحْزِرُ رؤوسهم في غيرِ برٍّ معناه في غير طاعة وخير وقوله عز وجل: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ...﴾ [آل عمران]، قال الزجاج: قال بعضهم كُلُّ مَا تُقَرِّبُ بِهِ إِلَى الله عز وجل من عمل خير، فهو إنفاق. قال أبو منصور: والبرُّ خير الدنيا والآخرة، فخير الدنيا ما يسره الله تبارك وتعالى للعبد من الهدى والنَّعْمَةِ والخيرات، وخيرُ الآخرةِ الفَوْزُ بالنعيم الدائم في الجنة، جمع الله لنا بينهما بكرمه ورحمته.

وَبَرٌّ يَبْرُ إِذَا صَلَحَ. وَبَرٌّ فِي يَمِينِهِ يَبْرُ إِذَا صَدَقَهُ وَلَمْ يَخْثُ. وَبَرٌّ رَحْمَةً يَبْرُ إِذَا وصله. ويقال: فلان يَبْرُ رَبَّهُ أَنْ يطيعه، ورجلٌ بَرٌّ بذى قرابته، وبارٌّ من قوم بَرَّةٍ وأبرارٍ. وقال الله عز وجل: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ...﴾ [البقرة]، أراد ولكن البرُّ مَنْ آمَنَ بالله، وَتَبَارَّوا تفاعلوا: من البرِّ. وفي حديث الاعتكاف: أَلْبَرُّ تَرْدُنْ، أى الطاعة والعبادة، ومنه الحديث: ليس من البر الصيام في السفر. وإنَّ البرَّ دون الإثم أى أَنَّ الوفاء بما جعل على نفسه دون الغدر والنكث. وَبَرَّةٌ: اسمٌ عَلَمٌ بمعنى البرِّ، وَبَرٌّ رَبَّهُ. وَبَرَّتْ يَمِينُهُ تَبَرَّتْ وَتَبَرَّتْ بَرًّا وَبَرًّا وَبُرُورًا: صَدَقَتْ. وَأَبْرَهَا: أَمْضَاهَا عَلَى الصَّدْقِ وَالْبَرِّ: الصادق. وفي التنزيل العزيز: إنه هو البرُّ الرحيم. والبرُّ من صفات الله تعالى. قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى البرُّ دون البار وهو العَطُوف على عباده بِرِّهٍ ولطفه. والبرُّ والبارُّ بمعنى، وإنما جاء في أسماء الله تعالى البرُّ دون البار، وَبَرٌّ عَمَلُهُ وَبَرٌّ

بَرًّا وَبُرُورًا وَأَبْرًا وَأَبْرَهُ اللهُ، قال الفراء: بُرَّ حَجُّهُ، فإذا قالوا: أَبْرَ اللهُ حَجَّكَ أَى قَبْلَهُ، قال: والبرُّ في اليمين مثله. وقالوا في الدعاء: مَبْرُورٌ مَأْجُورٌ وَمَبْرُورًا مَأْجُورًا، الذى لا يخالطه شيء من المآثم، والبيعُ المبرورُ: الذى لا شبهة فيه ولا كذب ولا خيانة. ويقال: بَرَّ فلانُ ذا قرابته يَبْرُ بَرًّا، وقد بَرَزْتُهُ أَبْرُهُ، وَبَرَّ حَجَّكَ يَبْرُ بُرُورًا، وَبَرَّ الْحَجَّ يَبْرُ بَرًّا، وَبَرَّ اللهُ حَجَّه وَبَرَّ حَجَّه وقال رسول الله: الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جِزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ، وروى عن جابر قالوا: يا رسول الله ما بُرُّ الْحَجِّ؟ قال: إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَطِيبُ الْكَلَامِ. ورجل بُرٌّ من قوم أَبْرَارٍ، وَبَارٌّ من قوم بَرَرَةٍ، وروى عن ابن عمر أنه قال: إِنَّمَا سَإ�َهُمُ اللهُ أَبْرَارًا لِأَنَّهُمْ بُرُّوا الْآبَاءَ وَالْأَبْنَآءَ.

ويقال: قد تَبَرَّرْتُ فى أَمْرنا أَى تَحَرَّجْتُ، ويقال صَدَقْتُ وَبَرَرْتُ، وكذلك بَرَزْتُ والذى أَبْرُهُ. وَبَرَزْتُ فى قَسَمِى وَأَبْرَ اللهُ قَسَمِى، وقال غيره: أَبْرَ فلانٌ قَسَمَ فلانٍ وَأَحْنَثُهُ، فأما أَبْرُهُ فمعناه أَنَّهُ أَجابه إِلى ما أَقَسَمَ عَلَيْهِ وَأَحْنَثُهُ إِذا لم يجبه. وفى الحديث: بَرَّ اللهُ قَسَمَهُ وَأَبْرَهُ بَرًّا، وَإِبْرارًا أَى صَدَقَةً، ومنه الحديث: أُمِرْنَا بِسَبْعٍ مِنْها إِبرارُ الْقَسَمِ. أَبُو سَعِيدٍ: بَرَّتْ سِلْعَتُهُ إِذا نَفَقَتْ، والبرُّ: ضِدُّ الْعُقُوقِ، وَالْمَبْرَةُ مثله. وَبَرَرْتُ والذى، أَبْرُهُ بَرًّا وقد بَرَّ والده يَبْرُهُ وَيَبْرُهُ بَرًّا، فَيَبْرُ على بَرَرْتُ، وَيَبْرُ على بَرَرْتُ على حَدِّ ما تَقَدَّمَ فى اليمين، وهو بَرُّ به وَبَارٌّ وفى الحديث: تَمَسَّحُوا بِالْأَرْضِ فَإِنَّها بَرَّةٌ بِكُمْ أَى تكون بيوتكم عليها وتُدْفَنون فيها. قال ابن الأثير: أَى مشفقة عليكم كالوالدة البرَّة بأولادها يعنى أَن منها خلقكم وفيها معاشكم وإليها بعد الموت معادكم، وفى حديث زمزم أَنَّهُ آتَتْ فَقَالَ: اخْفِزْ بَرَّةٌ سَإ�َها بَرَّةٌ لكثرة منافعها وسعة مائها. وفى الحديث: أَنَّهُ غَيَّرَ اسْمَ امْرَأَةٍ كَانَتْ تُسَمَّى بَرَّةً فساها زينب، وقال: تزكى نفسها، كَأَنَّهُ كره ذلك. وفى حديث حكيم بن حزام: أَرَأَيْتَ أُمُورًا كُنْتُ أَبْرَرْتُها أَى أَطْلُبُ بها البرَّ والإحسان إِلى الناس والتقرب إِلى الله تعالى. وجمع البرَّ الأَبْرارُ، وجمع البارِّ البرَرَةُ. وفلانٌ يَبْرُ خالِقَهُ وَيَتَبَرَّرُهُ أَى يطيعه، وامْرَأَةٌ بَرَّةٌ بولدها وَبَارَّةٌ. وفى الحديث، فى بَرِّ الوالدين: وهو فى حقها وحق الأَقْرَبِينَ من الأهل ضِدُّ الْعُقُوقِ وهو

الإساءة إليهم والتضييع لحقهم. وجمع البرِّ أبرارٌ، وهو كثيراً ما يُخصُّ بالأولياء والزهاد
والعباد. وفي الحديث: الماهرُ بالقرآن مع السَّفَرَةِ الكرامِ البرَّةِ أى مع الملائكة، ويبرُّ عباده:
يرحمهم، وهو البرُّ. وبرَّزته برًّا: وصلَّته. وفي التنزيل العزيز: ﴿... أَنْ تَبْرُوهُمْ وَنُقَسِّطُوا إِلَيْهِمْ
...﴾ [الممتحنة]. ومن كلام العرب السَّائِر: فلانٌ ما يعرف هراً من برٍّ، معناه ما
يعرف من يكرهه ممن يبرُّه..

* * *

الفصل الثاني: ما جاء عن البر في القرآن الكريم

قال هلال العيسى: ذكر الوالد في القرآن الكريم بالأسماء التالية:

أبا- أباكم- أبانا- أباه- أباهم- أبت- لأبيه- أبوك- أبونا- أبوهم- أبوهما- أبي-
أبيكم- أينا- أبيه- أبيهم- أبوه- أبوا- والد- والده- والدى..

وذكرت الأم في القرآن الكريم بالأسماء الآتية:

والدة- والدتك- والدتي- الوالدات- أم- أمك- أمه- أُمي- أمهات- أمهاتكم-
أمهاتهم..

ثم جمعهم سبحانه وتعالى فأسماهم:

والديك- والديه- والدان- الوالدان- الوالدين- والدى- أبواه- أبويك-
أبويكم- أبويه- آباء- آباءكم- آباءنا- آباءهم- آباؤكم- آباؤنا- آبائك- آبائكم- آبائنا-
آبائهم- آبائهن- آبائي..

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٨) ﴿١﴾..

180- قال الترمذي: نزلت في سعد بن أبي وقاص، قالت أم سعد [وهي حمنة بنت أبي سفيان بن أمية]: حلفت، أن لا تأكل ولا تشرب حتى يتحول سعد عن دينه فأبى عليها. فلم تزل كذلك حتى غشى عليها فاتاها بنوها فسقوها. فلما أفاقت دعت الله عليه، فنزلت هذه الآية (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ) [فقال له]: أليس قد أمر الله بالبر، والله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أموت أو تكفر. قال: فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاه. فنزلت هذه الآية (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ) فيما أنزلنا إلى رسولنا (بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا). أى ووصيناه حسنا [ووصيناه بالحسن، حتى يفعلوه فيؤجر عليه].

(1) سورة العنكبوت آية 8.

وروى عن سعد أنه قال: كنت باراً بأُمي فأسلمت فقالت: لتدعن دينك أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بى ويقال: يا قاتل أمه، قال سعد: فناشدتها أول يوم، فأبت وصبرت، فلما كان اليوم الثانى ناشدتها، فأبت، فلما كان اليوم الثالث ناشدتها فأبت، فقلت: يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت دينى هذا، فإن شئت فكلى وإن شئت فلا تأكل. فلما رأت ذلك وعرفت أنى لست فاعلا أكلت. ونزلت: (وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا). يقول تعالى: ووصينا الإنسان، فقلنا له: إن جاهدك والدك لتشرك بى ما ليس لك به علم أنه ليس لى شريك، فلا تطعها فتشرك بى ما ليس لك به علم ابتغاء مرضاتها، ولكن خالفها فى ذلك ولا تطعها فى الشرك. (إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ) وإلى معادكم ومصيركم يوم القيامة (فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فأخبركم بما كنتم تعملون فى الدنيا من صالح الأعمال وسيئاتها، ثم أجازيكم عليها المحسن بالإحسان، والمسيء بما هو أهله [أى أن الله تبارك وتعالى] أمر عباده بالإحسان إلى الوالدين بعد الحث على التمسك بتوحيده، فإن الوالدين هما سبب وجود الإنسان ولهما عليه غاية الإحسان، فالوالد بالإنفاق والوالدة بالإشفاق. ومع هذه الوصية بالرفقة والرحمة والإحسان إليهما فى مقابلة إحسانهما المتقدم. وإن حرصا عليك أن تتابعهما على دينهما إذا كانا مشركين فيأياك وإياهما فلا تطعها فى ذلك، فإن مرجعكم إلى يوم القيامة فأجزيك بإحسانك إليهما وصبرك على دينك، وأحشرك مع الصالحين لا فى زمرة والديك، وإن كنت أقرب الناس إليهما فى الدنيا، فإن المرء إنما يحشر يوم القيامة مع من أحب أى حبا دينيا. [سبحان الله، الآيات تحض على الرفقة بالوالدين المشركين وإن كانا كافرين برب العالمين وبما أنزل على نبيه، وتحض على معاملتهما بالرفقة واللين والقول والفعل الحسن، فما بالك إن كانا مؤمنين كيف يجب التعامل معهما]؟!

181- قال أبو حنيفة: بلغنى عن النبى: أن رجلا أتاه بارا بوالديه فقال: أبايحك على الإسلام، فقال النبى: إن أمرك أن تقتل والديك فعلت؟ قال: لا ثم أتاه الثانية فقال: مثل ذلك، فقال: لا. ثم أتاه الثالثة فقال له مثل ذلك، فقال: نعم. فبايعه، فقال له النبى:

فإننا لا نأمرُك أن تقتل والدك⁽¹⁾.. [قوله تعالى ووصينا الإنسان بوالديه حسنا، والخبر أن يدلان معا على أنه لا يجوز للرجل أن يقتل أباه وإن كان مشركا. وقد نهى رسول الله حنظلة بن أبي عامر، عن قتل أبيه وكان مشركا. ويدل أيضا على عدم جواز أن يقتص الولد من الوالد. ما جاء في المغازي للواقدي ج 1 ص 356 في قصة عبد الله بن عبد الله بن أبي عندما بلغته مقالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرسول الله في أبيه وقوله: مر محمد بن مسلمة يأتك برأسه. فجاء إلى النبي فقال: يا رسول الله، إن كنت تريد أن تقتل أبي فيما بلغك عنه فمرني، فوالله لأحملن إليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا. والله، لقد علمت الخزرج ما كان فيها رجل أبر بوالد مني، وما يأكل طعاماً منذ كذا وكذا من الدهر، ولا يشرب شراباً إلا بيدى، وإنى لأخشى يا رسول الله أن تأمر غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشى في الناس، فأقتله فأدخل النار، وعفوك أفضل ومثك أعظم. فقال رسول الله: يا عبد الله، ما أردت قتله وما أمرت به، ولنحسنن صحبتته ما كان بين أظهرنا]. فلما انصرف من عند النبي قال:

فَقُلْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ فَاعِلاً كَفَيْتُكَ عَبْدَ اللَّهِ لَمْحَكَ بِالْبَصَرِ
تُسَاعِدُنِي كَفُّ وَنَفْسٌ سَخِيَّةٌ وَقَلْبٌ عَلَى الْبُلُوَى أَشَدُّ مِنَ الْحَجَرِ
وَفِي ذَاكَ مَا فِيهِ وَالْأُخْرَى غَضَاظَةٌ وَفِي الْعَيْنِ مَنَى نَحْوَ صَاحِبِهَا عَوْرُ
فَقَالَ أَلَا لَا يَقْتُلُ الْمَرْءُ طَائِعاً أَبَاهُ وَقَدْ كَادَتْ تَطِيرُ بِهَا مُضَرُ

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ (١٤) وَإِنْ جَهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) (٢) ..

(1) كتاب الآثار ج 1 ص 198 رقم 895.

(2) سورة لقمان الآيات 14 / 15.

182- فى صحبته إياهما أيام حياتهما، والبر بهما فى حياتهما وبعد مماتهما. بين اختلاف حال الإنسان مع أبويه، فقد يطيعهما وقد يخالفهما، وأمرنا الإنسان ببر والديه، وجملة هذا الباب أن طاعة الأبوين لا تراعى فى ركوب كبيرة ولا فى ترك فريضة على الأعيان، وتلزم طاعتها فى المباحات، ويستحسن فى ترك الطاعات الندب، ومنه أمر الجهاد الكفائية، وخص تعالى الأم بدرجة ذكر الحمل وبدرجة ذكر الرضاع حصل لها بذلك ثلاث مراتب وللأب واحدة.

(وَهُنَا عَلَى وَهْنٍ) أى حملته فى بطنها وهى تزداد كل يوم ضعفا على ضعف وجهدا على جهد. وقيل: المرأة ضعيفة الخلقة ثم يضعفها الحمل. (أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا دَيْكَ) المعنى: قلنا له أن اشكر لى ولوالديك. قيل: الشكر لله على نعمة الإيمان وللوالدين على نعمة التربية وعلاجهما فيك ما عاجل من المشقة حتى استحکم قواك. وقال سفيان بن عيينة: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى، ومن دعا لوالديه فى أذبار الصلوات فقد شكرهما. (وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا) أى إن حرصا عليك كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما فلا تقبل منهما ذلك ولا يمنعك ذلك من أن تصاحبهما فى الدنيا معروفا أى محسنا إليهما (وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ) يعنى المؤمنين (ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ). (وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) أى ما يحسن. والآية دليل على [وجوب حسن] صلة الأبوين الكافرين بما أمكن من المال إن كانا فقيرين، وإلانة القول والدعاء إلى الإسلام برفق. وقال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بنى: والديك صاحبهما فى الدنيا معروفا فإن الله وصى بهما. (وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ) وصية لجميع العالم كأن المأمور الإنسان. و(أَنَابَ) معناه مال ورجع إلى الشيء وهذه سبيل الأنبياء والصالحين..

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصْلَاهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي

أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَلَدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴿١﴾ ..

183- (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ) والتوصية الأمر . ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا وبراهما، لما كان منهما إليه حملا ووليدا وناشئا، وقد مضى القول في هذا وفيمن نزلت. ثم وصف جل ثناؤه ما لاقاه من نعمة أمه، وما لاقى منه في حال حملة ووضعه، ونبهه على الواجب لها عليه من البر، واستحقاقها عليه من الكرامة وجميل الصحبة، فقال تعالى (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا) أى بكره ومشقة وقاست بسببه في حال حملة مشقة وتعبا من وحم وغثيان وثقل وكرب إلى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة، [وقد وصل الأمر ببعضهن أنها لا تستطيع أخذ دواء مع شدة حاجتها له لتخفيف آلامها خوفا من ضرر أو تشوة يصيب الجنين. ووضعتة] بمشقة أيضا من الطلق وشدته (وَحَمَلُهُ وَفَصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) وحمل أمه إياه جنينا في بطنها، وفصالها إياه من الرضاع وفطمها إياه، من شرب اللبن ثلاثون شهرا.

(حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ) اختلف أهل التأويل فى مبلغ حد ذلك من السنين، فقال بعضهم: هو ثلاث وثلاثون سنة واستواؤه أربعون سنة، والعذر الذى أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون. وفي رواية عطاء: إن أبا بكر صحب وهو ابن ثمانى عشرة سنة النبى وهو ابن عشرين سنة، وهم يريدون الشام للتجارة فنزلوا منزلا فيه سدره، فقع النبى فى ظلها، ومضى أبو بكر إلى راهب هناك فسأله عن الدين. فقال الراهب: من الرجل الذى فى ظل الشجرة؟ فقال: ذاك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب.

فقال: هذا والله نبى، وما استظل أحد تحتها بعد عيسى فوق فى قلب أبى بكر اليقين والتصديق، وكان لا يكاد يفارق رسول الله فى أسفاره وحضره. فلما نبى رسول الله وهو ابن أربعين سنة، صدق أبو بكر ﷺ رسول الله وهو ابن ثمانية وثلاثين سنة. فلما بلغ أربعين

(1) سورة الأحقاف آية 15.

سنة قال: (رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ). وقال الحسن [البصري]: (الْأَشَدُّ) هو بلوغ الأربعين. وعنه قيام الحجة عليه والله أعلم. (وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً) أى قوى وشب وارتجل وتناهى عقله وكمل فهمه وحلمه وقد مضى من سبى عمله ما مضى. ذلك حين تكاملت حجة الله عليه، وسير عنه جهالة شبابه وعرف الواجب لله من الحق فى بر والديه. ويقال: إنه لا يتغير غالبا عما يكون عليه ابن الأربعين.

[جاء فى تفسير ابن كثير عن عثمان ؓ عن النبى قال: العبد المسلم إذا بلغ أربعين سنة خفف الله تعالى حسابه، وإذا بلغ ستين سنة رزقه الله تعالى الإنابة إليه، وإذا بلغ سبعين سنة أحبه أهل السماء، وإذا بلغ ثمانين سنة ثبت الله تعالى حسناته ومحاسناته وإذا بلغ تسعين سنة غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفعه الله تعالى فى أهل بيته وكتب فى السماء أسير الله فى أرضه. وقد روى هذا من غير هذا الوجه وهو فى مسند الإمام أحمد 3/ 218]. يقول تعالى ذكره: قال هذا الإنسان الذى هداه الله لرشده وعرف حق الله عليه فيما ألزمه من بر والديه (قَالَ رَبِّ أَوْزَعْنِي) أى ألهمنى واجعلنى (أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ) أغرنى بشكر نعمتك التى أنعمت على فى تعريفك إياى توحيدك وهدايتك لى للإقرار بذلك، والعمل بطاعتك على ما أنعمت به على من الهداية (وَعَلَى وَالِدَيَّ) بالتحنن والشفقة حتى ربيانى صغيرا وغير ذلك من نعمك علينا. وقيل: أنعمت على بالصحة والعافية وعلى والدى بالغنى والثروة. وهذه الآية نزلت فى أبى بكر الصديق ؓ، أسلم أبواه جميعا ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غيره، فأوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده. (وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ) فأجابه الله فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون فى الله منهم بلال وعامر بن فهيرة، ولم يدع شيئا من الخير إلا أعانه الله عليه. (وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي) أى: اجعل ذريتى صالحين بأن تجعلهم هداة للإيمان بك واتباع مرضاتك والعمل بطاعتك أى اجعلهم أبرارا لى مطيعين لك. فلم يبق له ولد ولا والد ولا والدته إلا آمنوا بالله وحده. ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله أسلم هو وأبواه وأولاده وبناته كلهم

إلا أبوبكر رضي الله عنه. وهذا فيه إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدد التوبة والإنابة إلى الله عز وجل ويعزم عليها (إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ) تبت من ذنوبي التي سلفت مني في سالف أيامي إليك ورجعت [بالأمر إليك] عن الأمر الذي كنت عليه (وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) الخاضعين لك بالطاعة، المستسلمين لأمرك ونهيك، المنقادين لحكمك، المخلصين [لك] بالتوحيد..

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ٢٥﴾ ^(١)..

184- (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) أى أمر وألزم وأوجب وأوصى وليس هذا قضاء حكم بل هو قضاء أمر. أمر الله سبحانه بعبادته وتوحيده وجعل بر الوالدين مقرونا بذلك كما قرن شكرهما بشكره. فمن البر بهما والإحسان إليهما ألا يتعرض لسبهما ولا يعقهما، وعقوق الوالدين مخالفتها في أغراضهما الجائزة لهما، كما أن برهما موافقتها على أغراضهما. وعلى هذا إذا أمرا أو أحدهما ولدهما بأمر وجبت طاعتها فيه إذا لم يكن ذلك الأمر معصية. ولا يختص بر الوالدين بأن يكونا مسلمين، بل إن كانا كافرين يبرهما ويحسن إليهما إذا كان لهما عهد.

روى عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: أتتني أمي رغبة [رغبة، أى: كارهة للإسلام ساخطة علي] في عهد النبي فسألت النبي: أأصلها؟ قال: نعم. قال ابن عيينة: فأنزل الله عز وجل قوله فيها ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِينِكُمْ أَنَّ تَبْرُوهُمْ وَنُقَسِّطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ٨﴾ ^(٢).. (إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا) خص حالة الكبر لأنها الحالة التي يحتاجان فيها إلى بر [الأبناء] لتغير

(1) سورة الإسراء الآيات 23 / 25.

(2) سورة الممتحنة آية 8.

الحال عليهما بالضعف والكبر فالزم في هذه الحالة مراعاة أحوالهما أكثر مما ألزمه من قبل، لأنهما قد صارا كلاً عليه، فيحتاجان أن يلى منهما في الكبر ما كان يحتاج في صغره أن يلىا منه فلذلك خص هذه الحالة بالذكر. وأيضاً فطول المكث للمرء يوجب الاستئصال للمرء عادة ويحصل الملل ويكثر الضجر فيظهر غضبه على أبويه وتنفخ لهما أوداجه، ويستطيل عليهما بدالة البنوة وقلة الديانة، وأقل المكروه ما يظهره بتنفسه المتردد من الضجر. وقد أمر أن يقابلهما بالقول الموصوف بالكرامة السالم عن كل عيب، فالسعيد الذى يبادر اغتنام فرصة برهما لئلا تفوته بموتها فيندم على ذلك. والشقى من عقهما لا سيما من بلغه الأمر ببرهما. (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفُّ) أى لا تقل لهما ما يكون فيه أدنى تبرم ولكن اصبر على ذلك منهما، واحتسب أجر صبرك عليهما، كما صبرا عليك فى صغرك. (الْأُفُّ) الكلام القذع الرديء الخفى، [والأُفُّ تدل على أدنى قول فيه إظهار التبرم أو الزهق ونفاذ الصبر والتضجر من شئ وتدل أيضاً على] كل ما غلظ من الكلام وقبح. ويقال: لكل ما يضجر ويستثقل: أف له. والآية أعم من هذا. قال رسول الله: لو علم الله من العقوق شيئاً أردأ (من أف) لذكره. فليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار. وليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة. قال علماؤنا: وإنما صارت قولة "أف" للأبوين أردأ شيئاً لأنه رفضهما رفض كفر النعمة، وجحد التربية ورد الوصية التى أوصاه فى التنزيل. و"أف" كلمة مقولة لكل شئ مرفوض [والخلاصة أن الله أمر أن] لا تسمعهما قولاً سيئاً حتى ولا التأفف الذى هو أدنى مراتب القول السيئ. (وَلَا تَنْهَرُهُمَا) النهر: الزجر والغلظة [فى القول مع عبوس الوجه وإظهار الغضب والتأفف]. أى ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح، ولما نهاه عن القول القبيح والفعل القبيح أمره بالقول الحسن والفعل. (وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) أى أحسن ما تجد من القول [كلام] لينا لطيفاً، مثل: يا أبتاه ويا أماه، من غير أن يسميها ويكنيها.

قال ابن البداح التجيبي: قلت لسعيد بن المسيب كل ما في القرآن من بر الوالدين قد عرفته إلا قوله (وَقُلْ لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) ما هذا القول الكريم؟ قال ابن المسيب: قول العبد المذنب للسيد اللفظ الغليظ. (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) هذه استعارة في الشفقة والرحمة بهما، أى تواضع لهما بفعلك وتذلل لهما تذلل الرعية للأمر والعبيد للسادة، وضرب خفض الجناح ونصبه مثلاً لجناح الطائر حين ينتصب بجناحه لولده، إذا أراد ضم فرخه إليه للتربية خفض له جناحيه فلماذا صار خفض الجناح كناية عن حسن التدبير فكأنه قال للولد: اكفل والديك بأن تضمهما إلى نفسك كما فعلا ذلك في حال صغرك. والثانى أن الطائر إذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحه، وإذا أراد النزول خفض جناحه، فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع وترك الارتفاع. والذل: هو اللين أى كن لهما ذليلاً لا تكن لهما ذلولاً. فكن لهما ذليلاً رحمة منك بهما تطيعهما فيما أمراك به مما لم يكن لله معصية، ولا تخالفهما فيما أحبا. ولا تمتنع من شيء يحبانه ويريدانه (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا) أمر [من الله تعالى] لعباده بالترحم على آبائهم والدعاء لهم عند وفاتهم، وأن ترحمهما كما رحماك وترفق بهما كما رفق بك، إذ ولياك صغيراً جاهلاً محتاجاً فأثراك على أنفسهما، وأسهرها ليلهما، وجاعاً وأشبعاك، وتعرياً وكسواك فلا تجزهما إلا أن يبلغا من الكبر الحد الذى كنت فيه من الصغر فتلى منهما ما وليا منك [ورغم هذا] يكون لهما حينئذ فضل التقدم. (كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا) خص التربية بالذكر ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما في التربية فيزيده ذلك إشفاقاً لهما وحناناً عليهما وهذا كله في الأبوين المؤمنين.

وقد نهى القرآن عن الاستغفار للمشركين الأموات ولو كانوا أولى قربى، كما تقدم. فإذا كان والد المسلم ذميّن استعمل معها ما أمره الله به هاهنا، إلا الترحم لهما بعد موتها على الكفر. وقال جماعة من أهل العلم: إن قول الله جل ثناؤه (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا) منسوخ بقوله تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (١١٣) .. وقد تحتل

(1) سورة التوبة آية 113.

هذه الآية أن تكون وإن كان ظاهرها عاما في كل الآباء بغير معنى النسخ، بأن يكون تأويلها على الخصوص، فيكون معنى الكلام: وقل رب ارحمهما إذا كانا مؤمنين، وتعطف عليهما بمغفرتك ورحمتك كما تعطفنا على في صغري فرحاني وربياني صغيرا حتى استقللت بنفسى واستغنيت عنهما، فتكون مرادا بها الخصوص على ما قلنا غير منسوخ منها شيء .

(رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ) من تعظيمكم أمر آبائكم وأمهاتكم وتكريمتهم، والبر بهما والرحمة بهما والحنو عليهما أو من غير ذلك من العقوق والاستخفاف بحقوقهما أو من جعل ظاهر برهما رياء فلا يخفى عليه شيء من ذلك. مجازيكم على حسن ذلك وسيئته، فاحذروا أن تضمروا لهم سوءا وتعقدوا لهم عقوقا. عن سعيد بن جبير قال: البادرة تكون من الرجل إلى أبويه لا يريد بذلك إلا الخير. (إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ) أى صادقين في نية البر بالوالدين فإن الله يغفر البادرة. إن أنتم أصلحتم نياتكم فيهم، وأطعتم الله فيما أمركم به من البر بهم، والقيام بحقوقهم عليكم، بعد هفوة كانت منكم، أو زلة في واجب لهم عليكم مع القيام بما ألزمكم في غير ذلك من فرائضه.

[فإنه ليس لأحدٍ من الخلق نعمةٌ وفضلٌ وحبٌ للابن مثل ما للوالدين، فإن الولد جزء من جسد الوالدين، لذا، فأحسانها إليك وشفقتها عليك وحرصهما على إيصالهما الخير لك، وخوفهما واحترازهما أن يصيبك ضرر، هى أكثر من أى نعمة تصل من إنسان إلى إنسان. قد بلغوا الغاية في سبيلك على قدر جهدهما وإمكانياتهما، لذا فقد وجب أن يكون إحسانك إليهما كذلك، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان].

(فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا) بعد الزلة، والتائبين بعد الهفوة غفورا لهم. واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا) فقال سعيد بن المسيب: إنه الذى يصيب الذنب ثم يتوب ثم يصيب الذنب ثم يتوب. وعن سعيد بن جبير في هذه قال: الراجعين إلى الخير. عن حبيب بن أبى ثابت قال: هو الرجل تكون منه البادرة إلى أبويه

وفى نيته وقلبه أنه لا يؤاخذ به. وعن عبيد بن عمير قال: الذى يذكر ذنوبه فى الخلاء فيستغفر الله منها [ثم يتوب، فالأواب هو] التائب من الذنب، الراجع من معصية الله إلى طاعته، ومما يكرهه إلى ما يرضاه وعد بالغفران مع شرط الصلاح والأوبة بعد الأوبة إلى طاعة الله سبحانه وتعالى. وقيل فى معنى هذه الآية: إن الله سبحانه وتعالى بالغ فى الوصية بهما حيث افتتحها بالأمر بتوحيده وعبادته، ثم شفعه بالإحسان إليهما، ثم ضيق الأمر فى مراعاتهما، حتى لم يرخص فى أدنى كلمة تسوؤهما، وأن يذل ويخضع لهما. ثم ختمها بالأمر بالدعاء لهما والترحم عليهما [فى الحياة وفى الممات] ..

قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا.....﴾ (٨٣) (١) ..

185- [إن] عبادة الله إثبات توحيده وتصديق رسله، والعمل بما أنزل فى كتبه وقرأ أبى وابن مسعود (لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ) على النهى، وقال الفراء والزجاج وجماعة: المعنى أخذنا ميثاقهم ألا يعبدوا إلا الله. [عن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله: فى بعض ما أنزل الله على أنبيائه: ابن آدم أخلقك وأرزقك وتعبد غيري. إلى آخر الحديث]] (٢). وهذا هو أعلى الحقوق وأعظمها وهو حق الله تبارك وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له، ثم بعده حق المخلوقين، وأكدهم وأولاهم بذلك حق الوالدين. ولهذا يقرن تبارك وتعالى بين حقه وحق الوالدين وبأن يحسنوا للوالدين، أى وأمرناهم بالوالدين إحسانا. وقرن الله عز وجل فى هذه الآية حق الوالدين بالتوحيد، لأن النشأة الأولى من عند الله، والنشء الثانى هو التربية من جهة الوالدين، ولهذا قرن تعالى الشكر لهما بشكره. والإحسان إلى الوالدين: بمعاشرتهما بالمعروف، والتواضع لهما وامتنال أمرهما، والدعاء بالمغفرة بعد مماتهما، وصلة أهل ودهما..

(1) سورة البقرة آية 83.

(2) الإرشاد فى معرفة علماء الحديث ج3 ص950.

قال تبارك وتعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاللَّوْلَدِينَ إِحْسَنًا
.....﴾ (٣٦) (١) ..

186- يأمر تبارك وتعالى بعبادته وحده لا شريك له فإنه هو الخالق الرزاق المنعم
المتفضل على خلقه في جميع الآفات والحالات [الراحم لهم في الدنيا والرحيم بهم في
الآخرة لذا] فهو المستحق منهم أن يوحده ولا يشركوا به شيئا من مخلوقاته فذلوا الله
بالطاعة واخضعوا له بها، وأفردوه بالربوبية وأخلصوا له الخضوع بالانتهاء إلى أمره
والانزجار عن نبيه ولا تحملوا له في الربوبية والعبادة شريكا تعظمونه تعظيمكم إياه.

أجمع العلماء على أن هذه الآية من المحكم المتفق عليه، ليس منها شيء منسوخ
وكذلك هي في جميع الكتب. العبودية هي التذلل والافتقار لمن له الحكم والاختيار [وهو
الله] فأمر الله تعالى عباده بالتذلل له والإخلاص له، وخلوص الأعمال لله تعالى وتصفياتها
من شوائب الرياء وغيره.

روى الدارقطني عن أنس بن مالك رضي الله عنه: قال رسول الله: يجاء يوم القيامة بصحف
مختمة فتنصب بين يدي الله تعالى فيقول الله تعالى للملائكة: ألقوا هذا واقبلوا هذا. فتقول
الملائكة: وعزتك ما رأينا إلا خيرا، فيقول الله عز وجل وهو أعلم: إن هذا كان لغيري ولا
أقبل اليوم من العمل إلا ما كان ابتغى به وجهي .

وروى أيضا عن الضحاك بن قيس الفهري قال رسول الله: إن الله تعالى يقول: أنا
خير شريك فمن أشرك معي شريكا فهو لشريكي، يا أيها الناس أخلصوا أعمالكم لله تعالى
فإن الله لا يقبل إلا ما خلص له، ولا تقولوا: هذا لله وللرحم، فإنها للرحم وليس لله منها
شيء، ولا تقولوا: هذا لله ولو جوهكم، فإنها لوجوهكم وليس لله تعالى منها شيء.

(1) سورة النساء آية 36.

فاعلم أن علماءنا [أهل السنة والجماعة العاملين البعيدين عن الغلو والعلو والمناسب في الدنيا الزاهدين فيها الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم] رضى الله عنهم قالوا: الشرك على ثلاث مراتب وكله محرم:

وأصله اعتقاد شريك لله في ألوهيته، وهو الشرك الأعظم وهو شرك الجاهلية وهو المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (٤٨) .. (1)

ويليه في الرتبة: اعتقاد شريك لله تعالى في الفعل، وهو قول من قال: إن موجودا ما غير الله تعالى يستقل بإحداث فعل وإيجاده وإن لم يعتقد كونه إلهًا كالقدرية مجوس هذه الأمة، وقد تبرأ منهم ابن عمر رضي الله عنه كما في حديث جبريل عليه السلام.

ويلي هذه الرتبة: الإشراف في العبادة وهو الرياء، وهو أن يفعل شيئا من العبادات التي أمر الله بفعلها له لغيره.

يقول هلال العيسى: [أو يفعل كما تفعل الروافض فقد جعلوا لله ندا وهو خلقهم، وأشركوا بالله شيئا من خلقه، وذلك بالدعاء والتضرع والاستغاثة والندرة لأموال اعتقدوا فيهم النفع والضرر من دون الله سبحانه، وأطلقوا عليهم صفات وأسماء، وخصوهم بعصمة وعلم لا يليق بمخلوق، ولجؤوا إليهم بدعائهم وطلباتهم، وندروا لهم النذور وتقربوا إليهم استجلابا لشفاعتهم. والله أعلم بهم أفي جنة نعموا أم في نار خلدوا. فسبحان القائل: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ (٧٣) .. (2)

(1) سورة النساء آية 48.

(2) سورة الحج آية 73.

﴿.... وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يُنِيتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴿١٤﴾﴾ (1) ..

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ....﴾ (2) ..
 ﴿.... وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى....﴾ (3) .. أى اتخذناهم أولياء ليشفعوا لنا عند الله! وقولهم ﴿.... وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (4) .. والعجيب الغريب أنهم يقسمون بالله المطلق على شركهم بأنهم لم يشركوا! رأيتم جراءة ووقاحة أكثر من ذلك ﴿.... وَحَسَبُوا أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ...﴾ (5) ..

قال رسول الله: إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة، ليوم لا ريب فيه نادى مناد: من كان أشرك فى عمل عمله لله عز وجل أحدا فليطلب ثوابه من عند غير الله فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك. (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) أوصى بالإحسان إلى الوالدين، فإن الله سبحانه جعلهما سببا لخروجك من العدم إلى الوجود. قال العلماء: أحق الناس بعد الخالق المنان بالشكر والإحسان والبر والطاعة له والإذعان من قرن الله الإحسان إليه بعبادته وطاعته وشكره بشكره وهما الوالدان..

قال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾ (151) (6) ..

(1) سورة فاطر الآيات 13/ 14.

(2) سورة الأحقاف آية 5.

(3) سورة الزمر آية 3.

(4) سورة الأنعام آية 23.

(5) سورة المجادلة آية 18.

(6) سورة الأنعام آية 151.

187- تعالوا أقرأ عليكم ما حرم ربكم حقاً يقينا، لا الباطل، تخرصا كخرصكم على الله الكذب والفرية ظناً، ولكن وحياً من الله أوحاه إلي، وتنزيلاً أنزله على ألا تشركوا بالله شيئاً من خلقه ولا تعدلوا به الأوثان والأصنام ولا تعبدوا شيئاً سواه. هذه الآية أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ بأن يدعو جميع الخلق إلى سماع تلاوة ما حرم الله. وهكذا يجب على من بعده من العلماء أن يبلغوا الناس ويبينوا لهم ما حرم الله عليهم مما حل. عن أبي إدريس عن عبادة بن الصامت قال رسول الله: أيكم يباعدني على ثلاث: ثم تلا (تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ) حتى فرغ من هذه الآيات فمن وفى فأجره على الله، ومن انتقص منها شيئاً فأدركه الله به في الدنيا كانت عقوبته، ومن أخر إلى الآخرة فأمره إلى الله، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه. (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) الإحسان إلى الوالدين برهما وحفظهما وصيانتها وامتنال أمرهما وإزالة الرق عنها وترك السلطنة عليهما..

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ٢١٥﴾ (1) ..

188- نزلت الآية في عمرو بن الجموح، وكان شيخاً كبيراً فقال: يا رسول الله إن مالى كثير فبماذا أتصدق وعلى من أنفق؟ فقال جل ثناؤه: فقل لهم: ما أنفقتم من أموالكم وتصدقتم به اجعلوه لأبائكم وأمهاتكم وأقربكم ولليتامى منكم والمساكين وابن السبيل، فإنكم ما تأتوا من خير وتصنعوه هو محصيه لكم حتى يوفىكم أجوركم عليه يوم القيامة ويشيكم بإحسانكم عليه. وقال ابن زيد: بدأ بالوالدين، فلما فرغ من الوالدين وحقهما، ذكر هؤلاء. ولا تعط في معاصي الله وقال مجاهد: سألوها فأفتاهم في ذلك ما أنفقتم من خير [وبدأ] بالوالدين والأقربين وما ذكر معها. عن السدى قال: يوم نزلت هذه الآية لم تكن [قد فرضت] الزكاة وإنما هى النفقة ينفقها الرجل على أهله، والصدقة يتصدق بها فنسختها الزكاة..

(1) سورة البقرة آية 215.

189- عن مورق العجلي عن رسول الله ﷺ قال: هل تعلمون نفقة أفضل من نفقة في سبيل الله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: نعم نفقة على الوالدين فإن دعاءهما بالخير ينبت الأصل وينبت الفرع، وإن دعاءهما بالشر يبس الأصل⁽¹⁾..

190- قال حماد: يجبر الرجل على نفقة والديه وإن كانا مشركين وعلى نفقة جده أبي أبيه، وعلى نفقة ولده ما كانوا صغاراً، فإذا بلغوا الحلم لم يجبر على نفقتهم، والأم لا تجبر على نفقة ولدها صغاراً كانوا أم كباراً وإن كانت غنية..

191- عن أنس بن مالك [قال]: ألا أخبركم بخمسة دنائير أفضلها وأخسها؟ أفضلها دينار أنفقته على والديك، ودينار أنفقته على نفسك، ودينار أنفقته على ذي قرابتك. وأخسها وأقلها أجرا دينار أنفقته في غير سبيل الله عز وجل..

يقول تعالى ذكره: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾⁽²⁾..

192- [وصف الله تعالى يحيى ﷺ بأنه كان] كثير البر بوالديه. مسارعاً في طاعتها ومحبتهما بلين الجانب وخفض الجناح غير عاقٍ بهما. ولما ذكر تعالى طاعته لربه وأنه خلقه ذا رحمة وزكاة وتقى، عطف بذكر طاعته لوالديه وبره بهما ومجانبته عقوقهما قولاً وفعلاً أمراً ونهياً، ولهذا قال تعالى (وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا) لم يكن مستكبراً عن طاعة ربه وطاعة والديه، ولكنه كان لله ولوالديه متواضعاً متذللاً يأتمر لما أمر به وينتهى عما نهى عنه لا يعصى ربه ولا والديه. [روى أنه ﷺ] أدخل رجله في بحر الأردن وقد كاد العطش أن يذبحه وهو يقول: [مخاطباً لربه جل وعلا] وعزتك، لا أذوق بارد الشراب حتى أعلم أين مكانى منك؟ فسأله أبوه أن يأكل قرصاً من شعير كان معه ويشرب من الماء ففعل، وكفر عن يمينه، فمدحه الله بالبر. لأنه لما سأله أبوه أن يفطر بعد أن أقسم بالله أن لا يشرب الماء فأحنت نفسه [رجع في يمينه ولم يبرها] فأكل وشرب..

(1) الجامع في الحديث ج 1 ص 196.

(2) سورة مريم آية 14.

قال تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (٣٢) (١) ..

193 - [الكلام هنا على لسان نبي الله ورسوله عيسى ابن مريم عليهما السلام يقول إن الله] جعلني برا بوالدي. والبر هو البار، يقال: هو بر بوالده، وبار به. (وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا) ولم يجعلني [الله تعالى] مستكبرا على الله فيما أمرني به ونهاني عنه، أى متعظما متكبرا. وقيل: الجبار الذى لا يرى لأحد عليه حقا قط (شَقِيًّا) أى خائبا من الخير عاقا عاصيا لربه [متباعدا عن الحق]. ولكن ذللتني لطاعته وجعلني متواضعا. ذكر أن امرأة رأت ابن مريم عليه السلام يحيى الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص فى آيات سلطه الله عليهن وأذن له فيهن، فقالت: طوبى للبطن الذى حملك والثدى الذى أرضعت به، فقال نبي الله عيسى ابن مريم يحيبها: طوبى لمن تلا كتاب الله، واتبع ما فيه ولم يكن جبارا شقيا..

194 - قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١٤٥) (٢) .. عن وهب يقول: كتب له [أى لموسى عليه السلام] لا تشرك بى شيئا من أهل السماء ولا من أهل الأرض فإن كل ذلك خلقى، ولا تحلف باسمى كاذبا، فإن من حلف باسمى كاذبا فلا أزيهه، ووقر والدك..

* * *

(1) سورة مريم آية 32.

(2) سورة الأعراف آية 145.

الفصل الثالث

ما جاء فى أحاديث رسول الله ﷺ عن بر الوالدين

195- عن محمد بن على قال رسول الله ﷺ: القرآن أفضل من كل شيء دون الله تعالى، وفصل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه، فمن قر القرآن فقد قر الله ومن لم يقر القرآن لم يقر الله، وحرمة القرآن عند الله تعالى كحرمة الوالد [إلى آخر الحديث] ⁽¹⁾..

196- قَالَ ﷺ: بر الوالدين كفارة للكبائر ⁽²⁾.. [أى الإحسان والبر إليهما قولاً وعملاً يؤدى إلى كفارة الكبائر]..

197- عن منير بن الزبير أنه سمع مكحولاً يقول: بر الوالدين كفارة للكبائر، ولا يزال الرجل قادماً على البر ما دام فى فصيلته من هو أكبر منه..

198- عن أبى هريرة، قال رسول الله ﷺ: بر الوالدين يزيد فى العمر، والكذب ينقص فى الرزق، والدعاء يرد القضاء. والله فى خلقه قضاء: قضاء نافذ، وقضاء محدث، يحدث فيه ما شاء، وللأنبياء على العلماء فضل درجتين، وللعلماء على الشهداء فضل درجة ⁽³⁾..

199- عن ثوبان يرفعه: لا يزيد فى العمر إلا بر الوالدين، ولا يزيد فى الرزق إلا صلة الرحم ⁽⁴⁾..

200- عن الكلبي عن أبى صالح عن جابر ؓ، عن رسول الله ﷺ قال: إن الله تعالى يزيد فى عمر الرجل ببره والده ⁽⁵⁾.. الكلبي: متروك..

(1) نواذر الأصول ج 3 ص 260.

(2) لباب الحديث ج 1 ص 403.

(3) الأمالي ج 1 ص 69.

(4) عمدة القاري ج 22 ص 92.

(5) المطالب العلية ج 11 ص 332 رقم 2539.

201- عن أبي أمامة قال: أمرنا رسول الله ﷺ بتعليم القرآن وحثنا عليه، وقال: القرآن يأتي أهله يوم القيامة أحوج ما كانوا إليه، فيقول للمسلم: أتعرفني؟ فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا الذي كنت تحبه وتكره أن يفارقك، الذي كان يسحبك ويدينك، فيقول: لعلك القرآن، فيقدم به على ربه عز وجل فيعطى الملك يمينه والخلد بشماله، ويوضع على رأسه السكينة وينشر على أبويه حلتان لا تقوم لهما الدنيا أضعافا، فيقولان: لأى شيء كسينا هذا ولم تبلغه أعمالنا؟! فيقول: هذا بأخذ ولدكما القرآن⁽¹⁾..

202- عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كنت جالسا عند النبي ﷺ فسمعتة يقول: إن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاب فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك. فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك من وراء كل تجارة، فيعطى الملك يمينه والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا، فيقولان: بما كسينا هذا؟ فيقال لهما: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيبا⁽²⁾..

203- عن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: من قرأ القرآن وعمل بما فيه، ألبس والداه تاجا يوم القيامة، ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت أهل الدنيا، لو كانت فيكم، فما ظنكم بالذي عمل هذا⁽³⁾..

204- عن علي بن أبي طالب قال رسول الله ﷺ: ما من كتاب يلقي بمضيعة من الأرض فيه اسم من أسماء الله، إلا بعث الله إليه سبعين ألف ملك يحفونه بأجنحتهم ويقدسونه، حتى يبعث الله إليه وليا من أوليائه فيرفعه من الأرض، ومن رفع كتابا فيه اسم الله رفعه الله في عليين وخفف عن أبويه العذاب وإن كانا مشركين⁽⁴⁾..

(1) المعجم الكبير ج 8 ص 291 رقم 8119.

(2) شرح صحيح البخاري ج 10 ص 257.

(3) سنن أبي داود ج 2 ص 70 رقم 1435.

(4) العلل المتناهية ج 1 ص 88.

- 205- عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: صلة الرحم وحسن الخلق وبر الوالدين، يعمرن الديار ويزدن في الأعمار وإن كان القوم فجاراً⁽¹⁾ ..
- 206- قَالَ النَّبِيُّ: الصدقة على وجهها، واصطناع المعروف، وبر الوالدين، وصلة الرحم، تحول الشقاء سعادة، وتزيد في العمر، وتقى مصارع السوء⁽²⁾ ..
- 207- عن ابن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: أى الأعمال أفضل؟ قال: الصلوات الخمس لوقتھن، وبر الوالدين، والجهاد في سبيل الله⁽³⁾ ..
- 208- عن ابن مسعود ؓ قال: سألت رسول الله ﷺ: أى العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة في وقتها. قلت: ثم أى؟ قال: بر الوالدين. قلت: ثم أى؟ قال: الجهاد في سبيل الله⁽⁴⁾ ..
- 209- عن الحسن: قال رسول الله ﷺ: بر الوالدين يجزئ من الجهاد⁽⁵⁾ ..
- 210- عن ابن عمر ؓ: قال رسول الله ﷺ: نومك على السرير برا بوالديك تضحكهما ويضحكانك، أفضل من جهادك بالسيف في سبيل الله عز وجل .. عن عبد الله ابن عبد العزيز هذا غير قوى وملتته شواهد قد مضت والله أعلم⁽⁶⁾ ..
- 211- قال القاسم بن مخول البهزى [من حديث طويل]: سمعت أباى وكان قد أدرك الجاهلية والإسلام [يقول]: قلت: يا رسول الله أوصنى؟ قال: أقم الصلاة، وآت الزكاة، وصم رمضان، وحج البيت واعتمر، وبر والديك، وصل رحمك، وأقر الضيف، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، وزل مع الحق حيث زال⁽⁷⁾ ..

(1) تخريج الأحاديث والآثار ج 3 ص 151.

(2) جامع الأحاديث ج 5 ص 110 رقم 13738.

(3) الجامع ج 11 ص 190 رقم 20295.

(4) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ج 1 ص 288.

(5) مصنف ابن أبي شيبة ج 5 ص 219 رقم 25406.

(6) شعب الإيمان ج 6 ص 8 رقم 7836.

(7) المفاريد عن رسول الله ﷺ ج 1 ص 77.

212- قال النبي ﷺ: لا تشركوا بالله شيئاً وإن قطعتم أو حرقتم أو صلبتم، ولا تترك الصلاة متعمداً، فمن تركها متعمداً فقد خرج من الملة، ولا تركبوا المعصية فإنها سخطة الله، ولا تشربوا الخمر فإنها رأس الخطايا كلها، ولا تفروا من الموت وإن كنتم فيه، ولا تعص والديك، وإن أمراك أن تخرج من الدنيا كلها فاخرج، ولا تضع عصاك عن أهلك وأنصفهم من نفسك⁽¹⁾..

213- وقال ﷺ: حكاية عن الله تعالى: قل للبار لوالديه اعمل ما شئت فإن الله يغفر لك⁽²⁾..

214- عن قتادة أن موسى ﷺ قال: يا رب، بماذا أبرك؟ قال: بر والديك حتى قالها ثلاثاً⁽³⁾..

215- عن ابن عباس قال ﷺ: ثلاثة لا تمسهم النار: المرأة المطيعة لزوجها والولد البار لوالديه، والمرأة الصبور على غيرة زوجها⁽⁴⁾..

216- قال موسى بن سعيد: لما قرب الله موسى نجياً، رأى عبداً تحت العرش، فقال: يا رب، من هذا العبد لعل أعمل مثل عمله؟ فقيل: يا موسى، هذا عبد كان برا لوالديه، وكان لا يحسد الناس، وكان لا يمشى بالنميمة⁽⁵⁾..

217- وفي المفتاح قال ﷺ: بر الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله. وقال: بر الوالدة على الوالد ضعفان. الوالدة أسرع إجابة، قيل يا رسول الله ولم ذلك؟ قال: هي أرحم من الأب، ودعوة الرحيم لا تسقط⁽⁶⁾..

(1) جامع الأحاديث ج 8 ص 235 رقم 25701.

(2) تنقيح القول الحثيث بشرح ج 1 ص 58.

(3) الجامع ج 11 ص 132.

(4) كنز العمال ج 15 ص 355 رقم 43347.

(5) شعب الإيمان ج 5 ص 271 رقم 6625.

(6) بريقة محمودية ج 6 ص 88.

218- حديث (بر الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد)
(2 / 216) لم أجده هكذا وروى أبو يعلى والطبرانى فى الصغير والأوسط من حديث
أنس (أتى رجل رسول الله فقال إنى أشتهى الجهاد ولا أقدر عليه قال هل بقى من
والديك أحد قال أمى قال قابل الله فى برها فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر
ومجاهد)⁽¹⁾. وإسناده حسن..

219- لأن برهما من أفضل القرب كما فى الشريعة وفى شرحه عن الإمام قال ﷺ: بر
الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد فى سبيل الله تعالى. قال فى
الشريعة أيضا: ولا يرفع صوته فوق صوتها، ولا يجهر لهما بالكلام، ويطيعهما فيما أبيع فى
الدين. وفى شرحه عن الغزالى: أكثر العلماء أن طاعتها واجبة فى الشبهات دون الحرام
المحض، لأن ترك الشبهة ورع، ورضا الوالدين واجب، وحق الوالدة أعظم من حق
الوالد، فبرها أوجب. قيل: لأن شفقة الأم أكثر، فإن تأذى أحدهما بمراعاة الآخر، فالأب
يقدم فى حق التعظيم، والأم فيما يرجع إلى الخدمة والإحسان، فلو دخلا عليه، يقوم
للأب، ولو سألأ، يبدأ فى الإعطاء بالأم، وينظر إليهما بالود والرحمة والرأفة وله بكل نظرة
حجة مبرورة⁽²⁾..

220- عن عبد الرحمن بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال:
إنى رأيت البارحة عجبا، رأيت رجلا من أمتى جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاء بره
لوالديه فرده عنه .

ورأيت رجلا من أمتى سلط عليه عذاب القبر، فجاء وضوءه فاستنقذه من ذلك.
ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الشياطين، فجاء ذكر الله فخلصه من بينهم. ورأيت
رجلا من أمتى قد احتوشته ملائكة العذاب، فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم .

(1) المغني عن حمل الأسفار ج 1 ص 528 رقم 2046.

(2) بريقة محمودية، ج 5 ص 183 .

ورأيت رجلا من أمتى يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع منه، فجاءه صيامه فسقاه وأرواه .

ورأيت رجلا من أمتى والنبیون قعود حلقا حلقا كلما دنا حلقة طردوه، فجاء اغتساله من الجنابة فأخذ بيده وأقعده إلى جنبهم .

ورأيت رجلا من أمتى بين يديه ظلمة وخلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فهو متحير فيها، فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور .

ورأيت رجلا من أمتى يكلم المؤمنين ولا يكلمونه، فجاءته صلة الرحم فقالت: يا معشر المؤمنين كلموه؟ فكلموه .

ورأيت رجلا من أمتى يتقى وهج النار وشررها بيده عن وجهه، فجاءته صدقته فصارت سترا على وجهه وظلا على رأسه .

ورأيت رجلا من أمتى أخذته الزبانية من كل مكان، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة .

ورأيت رجلا من أمتى جاثيا على ركبتيه بينه وبين الله حجاب، فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله .

ورأيت رجلا من أمتى قد هوت به صحيفته من قبل شماله، فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها عن يمينه .

ورأيت رجلا من أمتى قد خف ميزانه، فجاءه أفراطه أي من مات من أولاده فثقلوا ميزانه .

ورأيت رجلا من أمتى قائما على شفیر جهنم، فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى .

ورأيت رجلا من أمتى هوى في النار، فجاءته دموعه التي بكى بها من خشية الله في الدنيا فاستخلصته من النار .

ورأيت رجلا من أمتي قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة، فجاءه حسن ظنه
بالله فسكن روعه ومضى .

ورأيت رجلا من أمتي على الصراط يزحف أحيانا ويحبو أحيانا، فجاءته صلاته على
فأخذت بيده فأقامته ومضى على الصراط .

ورأيت رجلا من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة
أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة .

ورأيت ناسا تقرض شفاههم، فقلت يا جبريل: من هؤلاء؟ قال: المشاؤون بين
الناس بالنميمة .

ورأيت رجلا معلقين بألستهم قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين
يرمون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا.. قال القرطبي: هذا حديث عظيم ذكر فيه
أعمالا خاصة تنجي من أهوال خاصة، أخرجه الطبراني في الكبير والحكيم الترمذي في
نوادير الأصول والأصبهاني في الترغيب⁽¹⁾..

* * *

(1) شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور ج 1 ص 235.

الفصل الرابع

ما جاء في أحاديث رسول الله ﷺ في بر الأم

221- عن أبي هريرة: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك⁽¹⁾..

[وقيل: إنما سميت أما لأنها أصل الولد، وأم كل شيء أصله]. وفي هذا الحديث دليل أن محبة الأم والشفقة عليها ينبغي أن تكون ثلاثة أمثال محبة الأب، لأنه ﷺ كرر الأم ثلاث مرات، وذكر الأب في المرة الرابعة فقط، وإذا تؤمل هذا المعنى شهد له العيان، وذلك أن صعوبة الحمل وصعوبة الوضع وصعوبة الرضاع والتربية تنفرد بها الأم، وتشقى بها دون الأب، فهذه ثلاث منازل يخلو منها الأب..

222- عن أبي هريرة قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: ما تأمرني؟ قال: بر أمك، ثم عاد فقال: بر أمك، ثم عاد فقال: بر أمك، ثم عاد الرابعة فقال: بر أباك⁽²⁾..

223- عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، نبئني بأحق الناس مني بحسن الصحبة؟ فقال: نعم وأبيك لتنبأ، أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك⁽³⁾..

224- وأتاه ﷺ رجل فقال: من أبر؟ قال: أمك وأباك وأخاك وأختك وأدناك أدناك، وقال: يقول الله تبارك وتعالى: من قرأ أباه، أطلت في أيامه. ومن قرأ أمه رأى لبنينه بنين⁽⁴⁾..

(1) شرح صحيح البخاري لابن بطال ج 9 ص 189.

(2) شرح مشكل الآثار ج 4 ص 373.

(3) مصنف ابن أبي شيبة ج 5 ص 218 رقم 25403.

(4) تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 107.

225- عن طارق بن عبد الله المحاربى قال ﷺ: يد المعطى العليا وابدأ بمن تعول، أمك وأباك وأختك وأخاك وأدناك أدناك. فقام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله، هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع الذين قتلوا فلانا فى الجاهلية فخذ لنا بثأرنا، فرفع يديه حتى رأينا بياض إبطيه فقال: ألا لا يجنى والد على ولده⁽¹⁾..

226- عن بهز بن حكيم ابن معاوية القشيري عن أبيه عن جده معاوية أنه قال: يا رسول الله ﷺ من أبر؟ قال: أمك، ثم قال: من أبر؟ قال: أمك، ثم قال: من أبر؟ قال: أبوك، ثم قال: من أبر؟ قال: الأقرب فالأقرب⁽²⁾..

227- حدثنا الحسن البصرى عن أنس بن مالك قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: إني أشتهى الجهاد وإنى لا أقدر عليه؟ فقال: هل بقى أحد من والديك؟ قال: أمى، قال: فاتق الله فيها، فإذا فعلت ذلك، فأنت حاج ومعتمر ومجاهد، فإذا دعتك أمك فاتق الله وبرها⁽³⁾..

228- عن أبي عمر القصبي قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، دلنى على عمل أعمله يقربنى إلى الله؟ قال: هل لك والدة ووالد؟ قال: نعم . قال: فإنما يكفى مع البر بالوالدين العمل اليسير⁽⁴⁾..

229- عن ابن عباس أن رجلا أتى النبى فقال: إني نذرت إن فتح الله عز وجل عليكم مكة أن آتى البيت فأقبل أسفل الأسكفة، فقال ﷺ: قبل قدمى أمك وقد وفيت نذرك⁽⁵⁾..

(1) سنن الدارقطني ج 3 ص 44 رقم 186 .

(2) الفوائد لتهام الرازي ج 2 ص 277 رقم 1737 .

(3) شعب الإيمان ج 6 ص 179 رقم 7835 .

(4) الجواهر الحسان ج 6 ص 94 .

(5) الفوائد لتهام الرازي ج 1 ص 301 .

230- عن أبي أمامة قال: هم رسول الله ﷺ بالخروج إلى بدر، فلما أجمعت الخروج معه قال لي أبو بردة بن دينار [خالي]: أقم على أمك؟ فقلت: بل أنت أقم على أختك؟ فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فأمر أبا أمامة بالمقام، وخرج أبو بردة. فرجع رسول الله ﷺ وقد توفيت وصلى عليها⁽¹⁾..

231- عن المقدم بن معد يكرب أن رسول الله ﷺ قال: إن الله يوصيكم بأمهاتكم ثلاثاً، إن الله يوصيكم بآبائكم، إن الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب⁽²⁾..

232- عن يزيد بن أبي حبيب أن العلماء كانوا يقولون: حق الأم أفضل من حق الأب ولكل حق..

233- قال أسامة بن زيد إن أبا حازم حدثه: أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، عملت كذا وكذا، لأعمال قبيحة ذكرها، فهل من توبة. أو ما تأمرني؟ قال: أبواك حيان؟ قال: أحدهما يا رسول الله، قال: اجعلها أمك، قال: هي أمي يا رسول الله، قال: فاذهب فبرها⁽³⁾..

234- عن ابن عمر ؓ قال: أتى رسول الله ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، إني أذنبت ذنباً كبيراً فهل لي من توبة؟ فقال له: ألك والدان؟ قال: لا، قال: فلك خالة؟ قال: نعم، قال: فبرها إذاً⁽⁴⁾..

235- عن سليمان بن بريدة عن أبيه، أن رجلاً جاء إلى النبي فقال: يا رسول الله، إني حملت أمي على عنقي فرسخين في رمضاء شديدة، لو ألقيت فيها بضعة من لحم لنضجت! فهل أديت شكرها؟ فقال: لعله أن يكون بطلقة واحدة⁽⁵⁾.. لم يروه عن علقمة بن مرثد إلا ليث ولا عن ليث إلا الحسن بن أبي جعفر تفرد به عمرو بن يوسف..

(1) حلية الأولياء ج 9 ص 37.

(2) سنن ابن ماجه ج 2 ص 1207 رقم 3661.

(3) الجامع في الحديث ج 1 ص 218 رقم 143.

(4) صحيح ابن حبان ج 2 ص 177 رقم 435.

(5) المعجم الصغير ج 1 ص 163 رقم 255.

236- ذكر أبو الليث أن رجلا جاء إلى النبي فقال: يا رسول الله، إن أُمِّي خرفت عندي وأنا أطعمها بيدي وأسقيها بيدي وأوضيها وأحملها على عاتقي، فهل جزيتها؟ قال: لا، ولا واحدا من مائة، ولكنك قد أحسنت والله يثيبك على القليل كثيرا⁽¹⁾..

237- عن أبي بردة: أن رجلا من أهل اليمن حمل أمه على عنقه، فجعل يطوف بها حول البيت وهو يقول:

إِنِّي لَهَا بَعِيرُهَا الْمُدَلُّ إِذَا دُعِرَتْ رَكَابُهَا لَمْ أُدْعَرْ
وَمَا حَمَلْتَنِي أَكْثَرَ

ثم قال [لابن عمر رضي الله عنه]: أتراني جزيتها؟ قال ابن عمر: لا ولا بزفرة..

238- قال رجل لرسول الله ﷺ: إن أبوي بلغا من الكبر أتى ألى منهما ما وليا مني في الصغر، فهل قضيتهما حقهما؟ قال: لا، فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يجبان بقاءك، وأنت تفعل ذلك وتريد موتها⁽²⁾..

239- عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ سأله رجل فقال: يا رسول الله، أستاذن على أُمِّي؟ قال: نعم، قال الرجل: إني معها في البيت، فقال له رسول الله ﷺ: أتحب أن تراها عريانة؟ قال: لا، قال: فاستأذن عليها⁽³⁾..

240- عن جابر قال: استأذن على أمك وإن كانت عجوزا..

241- وقيل: إذا دخل أحدكم على والديه فليستأذن، فإن أذن له في الدخول دخل، وإن لم يؤذن له في الدخول رجع.

(1) غذاء الألباب ج 1 ص 302.

(2) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ج 4 ص 342.

(3) المراسيل لأبي داود ج 1 ص 336 رقم 19095.

ويسن أن يكون استئذانه ثلاثا إلا أن يجاب قبلها، ولا يزيد في استئذانه على ثلاث
مرات. لقوله ﷺ: الاستئذان ثلاث. فإن أذن لك وإلا فارجع. متفق عليه⁽¹⁾..
إلا أن يظن عدم سماعهم للاستئذان..

* * *

(1) كشف القناع ج 2 ص 159.

الفصل الخامس

ما جاء من النصائح والوصايا والتحذيرات

242- قيل: من بر والديه بره أولاده ومن عقهها عقه أولاده جزاءً وفاقاً..

243- عن مسلم بن عبد الرحمن الحنفى، قال: بر والدك فإنه أجدر أن يبرك فإنه من أساء [لوالده] عقه ولده..

244- [ومن حديث] عن كعب قال: أوحى الله تعالى إلى موسى فى التوراة :
يا موسى: لولا من يحمدنى ما أنزلت من السماء قطرة ولا أنبتت من الأرض حبة.

يا موسى: لولا من يقول: لا إله إلا الله لسلطت جهنم على أهل الدنيا .

يا موسى: لولا من يدعونى لتباعدت من خلقى .

يا موسى: لولا من يعبدنى ما أمهلت من يعصينى طرفة عين .

يا موسى: إنه من آمن فهو أكرم الخلق على .

يا موسى: إياك والكبر، فإنه لو لقينى جميع خلقى بمثقال حبة من خردل من كبر أدخلتهم نارى، ولو كنت أنت. ولو كان إبراهيم خليل .

يا موسى: إذا لقيت الفقراء فسائلهم كما تسائل الأغنياء، فإن لم تفعل فاجعل كل شىء علمتك تحت التراب .

يا موسى: أتحب أن لا أنساك على كل حال؟ قال: نعم، قال فأحب الفقراء ومجالستهم وأنذر المذنبين .

يا موسى: أتريد أن أكون لك حبيباً أيام حياتك وفى القبر لك مؤنساً؟ قال: نعم، قال: فأكثر تلاوة كتابى .

يا موسى: أتحب أن لا أخذلك فى تارات القيامة؟ قال: نعم، قال: فأصبح وأمسى
ولسانك رطب من ذكرى .

يا موسى: أتحب أن أبيعك جنتى وتحبك جنتى وملائكتى وما ذرات من الجن
والإنس؟ قال: نعم، قال: حببنى إلى خلقي.

قال: يا رب، كيف أحبيبك إلى عبادك؟

قال: تذكرهم آلاى ونعمائى فإنهم لا يذكرون منى إلا كل حسنة.

بحق أقول لك يا موسى: إنه من لقينى وهو يعرف أن النعمة منى والشكر منى
استحييت أن أعذبه .

يا موسى: إن جهنم وما فيها تلظى وتلهب على المشرك وكل عاق لوالديه .

قال موسى: إلهى، ما العقوق؟

قال: العقوق الموجب غضبى أن يشكوه والداه فى الناس فلا يبلى، ويأكل بشهوته
ويحرم والديه.

يا موسى: كلمة من العقوق تزن جميع الجبال.

قال: إلهى، من كل ما هى؟ قال: أن تقول لوالديك لا لبيك .

يا موسى: إن كنفى ورحمتى وعفوى على من إذا فرح الوالدان فرح، وإذا حزن
الوالدان حزن معهما، وإذا بكى الوالدان بكى معهما .

يا موسى: من رضى عنه والداه رضيت عنه، وإذا استغفر له والداه غفرت له على ما
كان فيه ولا أبالى .

يا موسى: ارحم ترحم وكما تدين تدان .

يا موسى: اشكر لى ولوالديك إلى المصير⁽¹⁾ ..

(1) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج 6 ص 32، حلية الأولياء ج 2 ص 343.

245- قال تعالى لداود عليه السلام: يا داود، ليس كل ولد ينفع والده، رب ولد أدخل والده النار، ورب ولد أدخل والده الجنة، كل عبد قد يسرته لما خلقته له، خيرا كان أو شرا..

246- وقال تعالى: يا موسى اسمع ما أقول والحق أقول: من تكبر على مسكين حشرته يوم القيامة على صورة الذر، ومن تواضع لعالم أو لوالديه رفعتة في الدنيا والآخرة، ومن تعرض لهتك ستر مسلم هتكت ستره سبعين مرة، ومن أحب مؤمنا من أجلى صافحته الملائكة في الدنيا والآخرة .

يا موسى بن عمران يا صاحب جبل لبنان: اسمع كلامي فأنا الملك الديان ليس بيني وبينك ترجمان، بشر أكل الربا وعاق والديه بغضب الرحمن ومقطعات النيران.

قال موسى: يا رب، فما جزاء من بر والديه؟ قال: يا موسى إذا دعاني أجبتة وإذا سألتني أعطيتة، أغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

قال موسى: يا رب، ما لمن عق والديه؟ قال: تضرب النار وجهه من كل مكان. يا موسى: أتحب أن تكون حسناتك مثل ذرية آدم؟ قال: نعم يا رب، قال الله تعالى: يا موسى، قل في كل يوم أستغفر الله العظيم لى ولوالدى وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات في كل يوم خمسا وعشرين مرة..

247- وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود: ليس كل الأولاد أولادا صلحاء، منهم ولد يسعر على والديه نارا، وولد يشفع في أبويه فيدخلهم الجنة. يا داود: كم من مملوك عندى أقرب من سيده، وكم من ولد أظهر من أبيه..

248- وقال وهب: أوحى الله إلى موسى عليه السلام: وقر والديك، فإنه من وقر والديه مددت له في عمره، ووهبت له ولدا يبره، ومن عقمها قصرت عمره، ووهبت له ولدا يعقه.

249- عن ابن عباس وثوبان مسنداً عن التوراة: ابن آدم اتق الله ربك وبر والديك وصل رحمك أمد لك في عمرك..

250- عن وهب بن منبه قال: أوحى إلى عزيز، يا عزيز: لا تحلف بى كاذباً، فإنى لا أرضى عمن يحلف بى كاذباً. يا عزيز: برّ والديك، فإنه من بر والديه رضيت، وإذا رضيت باركت، وإذا باركت بلغت النسل الرابع.

يا عزيز: لا تعق والديك فإنه من يعق والديه غضبت، وإذا غضبت لعنت، وإذا لعنت بلغت النسل الرابع..

251- حدثنى أبو خالد يزيد بن المهلب قال: أوحى الله عز وجل إلى نبي من أنبيائه: إنى إذا ذكرت عملاً صالحاً حفظت فيهم الأبناء، سل الأبناء، هل أطاعنى منهم أحد فشقى بطاعته؟ أو عصانى فسعد بمعصيته؟

252- عن المقدام بن معدى كرب الكندى عن النبى قال: إن الله يوصيكم بآبائكم، إن الله يوصيكم بأمهاتكم، إن الله يوصيكم بأمهاتكم، إن الله يوصيكم بالآقرب فالآقرب⁽¹⁾.. أخرجه ابن ماجه 3661 من حديث عبد الله بن عياش..

253- عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها: لا تمش أمام أبيك، ولا تستسب له، ولا تجلس قبله، ولا تدعه باسمه⁽²⁾..

254- قال ابن أبي الزناد: أن رجلاً دخل على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو يمشى بين يدي أبيه، فقال له عمر: ارجع عن ذلك لا تمش بين يدي سيدك..

255- قال ابن محيريز: من مشى بين يدي أبيه فقد عقه، إلا أن يمشى فيميط له الأذى عن طريقه. ومن دعا أباه باسمه أو كنيته فقد عقه، إلا أن يقول [له]: يا أبت..

(1) تفسير ابن كثير ج 3 ص 36 رقم 1324.

(2) كنز العمال ج 16 ص 196 رقم 45514 ابن السني في عمل يوم وليلة.

256- عن أبي الدرداء قال: من عقوق الولد لوالده، أن يدعوه باسمه وأن يتقدمه

في المشي..

257- عن عمرو بن مرة قال: جاء رجل إلى النبي فقال: يا رسول الله، شهدت أن لا

إله إلا الله وأنت رسول الله، وصليت الخمس، وأديت زكاة مالى وصمت شهر رمضان.

فقال النبي: من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا،

ونصب أصبعيه. ما لم يعق والديه⁽¹⁾.. رواه أحمد والطبراني..

258- عن أنس قال ﷺ: من أَرْضَى والديه فقد أَرْضَى الله، ومن أسخط والديه فقد

أسخط الله. قد شهدت نصوص أخرى على أن هذا عام مخصوص ما لم يكن في رضاهما

مخالفة لشيء من أحكام الشرع، وإلا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق⁽²⁾..

259- عن سلمان قال: سألت رسول الله ﷺ عن الأربعين حديثا التي قال: من

حفظها من أمتى دخل الجنة، فقلت: وما هو يا رسول الله؟ قال: أن تؤمن بالله واليوم

الآخر والملائكة والنبيين والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره من الله، وأن تشهد أن لا

إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة بوضوء سابغ لوقتها، وتؤتي الزكاة،

وتصوم رمضان، وتحج البيت إن كان لك مال، وتصلى اثنتى عشرة ركعة في كل يوم

وليلة، والوتر لا يتركها في كل ليلة، لا تشرك بالله شيئا، ولا تعق والديك، ولا تأكل مال

اليتيم ظلما، ولا تشرب الخمر ولا تزنى، ولا تحلف بالله كاذبا، ولا تشهد شهادة زور، ولا

تعمل بالهوى، ولا تعتب أخاك، ولا تقذف المحصنة، ولا تغل أخاك المسلم، ولا تلعب

ولا تله مع اللاهين ولا تقل للقصير يا قصير تريد بذلك عييه، ولا تسخر بأحد من

الناس، ولا تمش بالنميمة بين الإخوان، وتشكر الله على نعمته، وتصبر عند البلاء

والمعصية⁽³⁾..

(1) مجمع الزوائد ج 8 ص 147.

(2) فيض القدير ج 6 ص 159.

(3) التدوين في أخبار قزوين ج 3 ص 375.

260- عن معاذ رضي الله عنه قال: أوصاني رسول الله ﷺ بعشر كلمات قال: لا تشرك بالله شيئاً وإن قتلت وحرقت، ولا تعقن والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمداً فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله، ولا تشربن خمرًا فإنه رأس كل فاحشة، وإياك والمعصية فإن بالمعصية حل سخط الله عز وجل، وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس، وإذا أصاب الناس موتان وأنت فيهم فاثبت، وأنفق على عيالك من طولك، ولا ترفع عنهم عصاك أدبا، وأخفهم في الله ⁽¹⁾..

261- عن جابر رضي الله عنه قال ﷺ: لا تدعوا على أنفسكم ولا أولادكم ولا أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب له ⁽²⁾..

262- عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قال ﷺ: أسرع الخير ثوابا البر وصلة الرحم، وأسرع الشر عقوبة: البغي وقطيعة الرحم ⁽³⁾..

263- عن يونس بن عبيد قال: يرجى للمرهق بالبر الجنة، ويخاف على المسلم بالعقوق النار..

264- وقيل: الولد يعين أباه في حياته ويقوم مقامه بعد وفاته..

265- عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قال النبي: حق كبير الإخوة على صغيرهم حق الوالد على ولده ⁽⁴⁾..

266- عن كليب الجهني رضي الله عنه قال ﷺ: الأكبر من الإخوة بمنزلة الأب ⁽⁵⁾.

(1) مسند ابن حنبل ج 5 ص 196 رقم 22128.

(2) المقاصد الحسنة ج 1 ص 345.

(3) كنز العمال ج 16 ص 193 رقم 45465.

(4) المراسيل لأبي داود ج 1 ص 336 رقم 18694.

(5) كنز العمال ج 16 ص 194 رقم 45472.

267- حدثنا أبو سفيان الحميري قال: لما قام يزيد بين يدي الحجاج قال: يا يزيد: أما علمت أنه مكتوب في التوراة: لا تؤاكلن واحداً من أبويك تمراً، ولا تظهر فوق بيت وأحد من أبويك أسفل منك، ومن يحفر لغيره يقع فيه واليتيم لا يسكن..

268- عن أنس رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: المولود حتى يبلغ الحنث ما عمل من حسنة كتبت لوالديه، فإن عمل سيئة لم تكتب عليه، ولا على والديه، فإذا بلغ الحنث وجرى عليه القلم، أمر الله الملكين اللذين معه يحفظانه ويسدّدانه، فإذا بلغ أربعين سنة في الإسلام آمنه الله سبحانه من البلاء الثلاث: من الجنون والجذام والبرص، فإذا بلغ خمسين خفف الله حسابه، فإذا بلغ ستين رزقه الله الإنابة إليه فيما يحب، فإذا بلغ سبعين أحبه أهل السماء، فإذا بلغ الثمانين كتب الله حسناته وتجاوز عن سيئاته، فإذا بلغ تسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وشفّعه في أهل بيته، وكان اسمه أسير الله في الأرض، فإذا بلغ أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً، كتب الله سبحانه له مثل ما كان يعمل في صحته من الخير، وإن عمل سيئة لم تكتب عليه⁽¹⁾..

* * *

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن تفسير الثعالبي ج 10 ص 240.

الفصل السادس

ما جاء فى استجابة الله تعالى لدعوة الوالدين

269- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالدين ودعوة الصائم ودعوة المسافر⁽¹⁾.. لا ترد [لأنها] مستجابات لأن عدم الرد كناية عن الاستجابة والكناية أبلغ فلذلك لم يقيد بنفى الشك، ثلاث دعوات يستجاب لهن لا شك في إجابتهن، دعوة المظلوم وإن كان فاجرا، ودعوة المسافر سفرا مباحا، ودعوة الوالد لولده [سواء كانت دعوة رضى أم دعوة سخط لعقوبه]..

270- عن مجاهد رضي الله عنه: دعوة الوالد لا تحجب دون الله..

271- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: كل شيء بينه وبين الله عز وجل حجاب، إلا شهادة أن لا إله إلا الله، ودعاء الوالد لولده⁽²⁾..

272- عن أم حكيم بنت وداع الخزاعية قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: دعاء الوالد يفضى إلى الحجاب⁽³⁾..

273- دعاء الوالد لولده يعنى دعاء الأصل لفرعه، يصعد ويصل إلى حضرات القبول، فلا يعوقه عائق ولا يحول بينه وبين الإجابة حائل. قال الزين العراقى: وهذا بمعنى قوله فى دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، أو هو دونه..

274- وقال عبد الله بن سعيد: سمعت الحسن [البصري] وسأله رجل فقال: يا أبا سعيد دعاء الوالد لولده؟ قال: نجاة. قال: دعاؤه عليه؟ [قال]: استئصاله..

(1) التدوين فى أخبار قزوين ج 3 ص 114، التيسير بشرح الجامع الصغير ج 1 ص 486 .

(2) معجم أبي يعلى ج 1 ص 213 رقم 257.

(3) سنن ابن ماجه ج 2 ص 1271 رقم 3863.

275- عن سعيد أبي حبيب عن يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه: قال رسول الله: دعاء الوالد لولده مثل دعاء النبي لأمته.. قال أحمد بن حنبل: هذا حديث باطل منكر، وسعيد ليس حديثه بشيء ⁽¹⁾..

276- حدثنا الحكم القيسي فقال: سمعت الحسن يقول: دعاء الوالدين يثبت المال والولد..

277- عن أبي أسيد الساعدي: كنت أصغر أصحاب رسول الله ﷺ، وأكثرهم منه سماعاً، فقال رسول الله ﷺ: لا يبقى للولد من بر الوالد إلا أربع: الصلاة عليه والدعاء له، وإنفاذ عهده من بعده، وصلة رحمه، وإكرام صديقه ⁽²⁾..

278- ولحديث: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ينتفع به وصدقة جارية وولد صالح يدعو له. وجوزة أبو حنيفة وابن حنبل قياساً على الدعاء. ولحديث صل لهما مع صلاتك وصم لهما مع صومك، يعني أبويه وجواب الأول أن الدعاء فيه ⁽³⁾..

279- عن أنس رضي الله عنه: إذا ترك العبد الدعاء للوالدين فإنه ينقطع عنه الرزق..

280- وقال كعب: والذي نفسى بيده، إن الله ليعجل حين العبد إذا كان عاقاً لوالديه ليعجل له العذاب، وإن الله ليزيد في عمر العبد إذا كان باراً بوالديه ليزداد برّاً وخيراً. وقال: أجد في كتاب الله أنه إذا دعاه [أبوه] فلم يجبه فقد عقه. وإذا ائتمنه فخانه فقد عقه. وإذا سأله مما يقدر عليه فممنعه فقد عقه. وإذا ألجأه إلى أن يدعو عليه ويبكى إلى الله منه فيما بينه وبينه، فقد عقه كل العقوق..

281- عن معاذ رضي الله عنه، قال ﷺ: ليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار، وليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة ⁽⁴⁾..

(1) الموضوعات ج 2 ص 280.

(2) سنن البيهقي الكبرى ج 4 ص 61 رقم 6894.

(3) منح الجليل شرح على مختصر خليل ج 1 ص 509.

(4) كنز العمال ج 16 ص 198 رقم 45528.

282- عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها: يقال للعاق: اعمل ما شئت من الطاعة فإنى لا أغفر لك، ويقال للبار: اعمل ما شئت فإنى أغفر لك⁽¹⁾..

283- عن عبد الرحمن بن سمرة قال رضي الله عنه: من بر قسمهما وقضى دينهما ولم يستسب لهما، كتب باراً وإن كان عاقاً في حياته، ومن لم يبر قسمهما ويقض دينهما واستسب لهما، كتب عاقاً وإن كان باراً في حياته⁽²⁾..

[وفي حديث آخر] عن أبي هريرة: من قضى دين والديه بعد موتها وأوفى نذرهما ولم يستسب لهما فقد برهما وإن كان عاقاً بهما، ومن لم يقض دينهما ولم يوف نذرهما واستسب لهما فقد عقهما وإن كان بهما باراً في حياتهما⁽³⁾..

284- حدثنا أبو المخارق قال: قال النبي: مررت ليلة أسرى بى برجل مغيب فى نور العرش فقلت: من هذا؟ ملك؟ قيل: لا. قلت: نبي؟ قيل: لا. قلت: من هو؟ قال: هذا رجل كان فى الدنيا لسانه رطباً من ذكر الله وقلبه معلقاً بالمساجد ولم يستسب لوالديه قط⁽⁴⁾..

285- عن محمد بن كعب القرظى قال: قرأت فى التوراة أو قال فى صحف إبراهيم الخليل فوجدت فيها يقول الله [تبارك وتعالى]:

يا ابن آدم: ما أنصفتنى، خلقتك ولم تك شيئاً وجعلتك بشراً سوياً، خلقتك من سلالة من طين فجعلتك نطفة فى قرار مكين، ثم خلقت النطفة علقة، فخلقت العلقة مضغة، فخلقت المضغة عظاماً، فكسوت العظام لحماً، ثم أنشأتك خلقاً آخر .

يا ابن آدم: هل يقدر على ذلك غيرى؟ ثم خففت ثقلك على أمك حتى لا تتبرم بك ولا تتأذى، ثم أوحيت إلى الأمعاء أن اتسعى، وإلى الجوارح أن تفرق، فاتسعت الأمعاء

(1) كنز العمال ج 16 ص 198 رقم 45527.

(2) كنز العمال ج 16 ص 199 رقم 45540.

(3) كنز العمال ج 16 ص 199 رقم 45541.

(4) حلية الأولياء ج 1 ص 38 رقم 95.

من بعد ضيقها وتفرقت الجوارح من بعد تشبكها، ثم أوحيت إلى الملك الموكل بالأرحام أن يخرجك من بطن أمك فاستخلصك على ريشة من جناحه، فاطلعت عليك فإذا أنت خلق ضعيف، ليس لك سن يقطع ولا ضرس يطحن، فاستخلصت لك في صدر أمك عرقا يدر لبنا باردا في الصيف حارا في الشتاء، واستخلصته لك من بين جلد ولحم ودم وعروق، ثم قذفت لك في قلب والدك الرحمة وفي قلب أمك التحنن، فهما يكدان عليك ويعجذان ويربيانك ويغذيانك ولا ينامان حتى ينومانك.

يا ابن آدم: أنا فعلت ذلك بك لا لشيء استأهلت به مني، ولا لحاجة استعنت بك على قضائها. يا ابن آدم: فلما قطع سنك وطحن ضرسك أطعمتك فاكهة الصيف في أوانها، وفاكهة الشتاء في أوانها، فلما أن عرفت أني ربك عصيتني؟! فادعني فإنني قريب مجيب واستغفرني فإنني غفور رحيم..

286- قال ﷺ: ليس بين عاق والديه وبين إبليس في النار إلا طبقة واحدة فهو جار إبليس في النار. وليس بين بار والديه وبين الأنبياء في الجنة إلا درجة واحدة فهو جار الأنبياء في الجنة⁽¹⁾..

287- قال ﷺ: من أصبح وله أبوان راضيان عنه أو أحدهما، فتحت له أبواب الجنة. ومن أمسى وله أبوان ساخطان عليه أو أحدهما فتحت له أبواب جهنم وفي رواية لابن عساكر عن ابن عباس: من أصبح مطيعا لله في والديه، أى أصليه المسلمين، أصبح له بابان مفتوحان من الجنة، وإن كان واحدا فواحد أى إن كان المطاع من الوالدين واحدا فالمفتوح باب واحد. قال المناوى: وفي هذا الحديث إشارة أن طاعة الوالدين لم تكن مستقلة، بل هى طاعة الله وكذا العصيان والأذى⁽²⁾..

288- عن ابن عباس قال ﷺ: من أصبح والداه راضيين عنه، أصبح له بابان مفتوحان من الجنة، ومن أمسى والداه راضيين عنه أمسى وله بابان مفتوحان من الجنة،

(1) تنقيح القول الحثيث ج 1 ص 6.

(2) تنقيح القول الحثيث ج 1 ص 58.

ومن أصبحا ساخطين عليه أصبح وله بابان مفتوحان من النار، ومن أمسى ساخطين عليه أمسى وله بابان مفتوحان من النار، وإن كان واحدا فواحد فقيل: وإن ظلماه؟ قال: وإن ظلماه وإن ظلماه. قط في الأفراد عن زيد بن أرقم الديلمي عن ابن عباس⁽¹⁾..

289- عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: ما من مسلم يصبح ووالداه عنه راضيان إلا كان له بابان من الجنة وإن كان واحدا فواحد. وما من مسلم يصبح ووالداه عليه ساخطان إلا كان له بابان من النار وإن كان واحدا فواحد⁽²⁾..

290- عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: ما من أحد يكون له والدان أو واحد فيبيتان عليه ساخطين إلا فتح له بابان من النار، وإن كان واحداً فواحد، لا أعلمه إلا قال: وإن ظلماه؟ قال: وإن ظلماه؟ قال: وإن كان صباحاً فكذلك⁽³⁾..

291- قال النبي: الباب الأوسط مفتوح لبر الوالدين، فمن برهما فتح له، ومن عقمها غلق دونه⁽⁴⁾..

292- وقال أبو الليث في تنبيهه: فإن سأل سائل أن الوالدين إذا ماتا ساخطين على الولد هل يمكنه أن يرضيهما بعد وفاتهما؟ قيل له: يرضيهما بثلاثة أشياء: أولها: أن يكون الولد صالحاً في نفسه لأنه لا يكون شيء أحب إليهما من صلاحه. والثاني: أن يستغفر لهما ويدعو لهما ويتصدق عنهما.

والثالث: أن يصل قرابتهما وأصدقائهما. وذكر عن بعض التابعين: أن من دعا لأبويه في كل يوم خمس مرات [عقب الصلوات] فقد أدى حقهما، لقوله تبارك وتعالى: ﴿... أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَى الْمَصِيرِ ۝﴾⁽⁵⁾.. فشكر الله أن تصلى في كل يوم خمس مرات، وكذا شكر الوالدين أن تدعو لهما في كل يوم خمس مرات، والله أعلم..

(1) كنز العمال ج 16 ص 199 رقم 45539.

(2) الكامل في ضعفاء الرجال ج 5 ص 342.

(3) الجامع ج 11 ص 135 رقم 20128.

(4) جامع الأحاديث ج 4 ص 52 رقم 10116.

(5) سورة لقمان آية 14.

293- عن ابن عباس قال ﷺ: ثلاث وثلاث وثلاث، ثلاث لا يمين فيهن، وثلاث ملعون فيهن، وثلاث أشك فيهن:

أما الثلاث التي لا يمين فيهن: فلا يمين للولد مع والده، ولا للمرأة مع زوجها، ولا للمملوك مع سيده.

وأما الملعون فيهن: فملعون من ذبح لغير الله، وملعون من لعن والديه، وملعون من غيّر تخوم الأرض.

وأما التي أشك فيهن: فعزير لا أدري أكان نبيا أم لا، ولا أدري ألعن تبعا أم لا، ولا أدري الحدود كفارة لأهلها أم لا⁽¹⁾.. ابن عساكر..

294- قال النبي: رضا الرب في رضا الوالد وسخط الله في سخط الوالد⁽²⁾.. رواه ابن حبان والحاكم وصحاحه.. أى رضا الرب في رضا الوالد أى الأصل وإن علا الذى لا يخالف الشرع. [لأنه تعالى أمر أن يطاع الأب ويكرم، فمن امتثل أمر الله فقد بر الله وأكرمه وعظمه فرضى عنه، ومن خالف أمره غضب عليه] وهذا وعيد شديد يفيد أن العقوق كبيرة، وعلم من ذلك بالأولى أن الأم كذلك..

295- وقال من عتب على بعض ولده:

أَرْضَى عَلَى ابْنِي إِذَا مَا عَقْنَى حَذْرًا عَلَيْهِ أَنْ يَغْضَبَ الرَّحْمَنُ مِنْ غَضَبِي
وَلَسْتُ أَدْرِ بِمَ اسْتَحَقَّقْتُ مَنْ وَلَدَنِي إِقْدَاءَ عَيْنِي وَقَدْ أَقْرَرْتُ عَيْنَ أَبِي

* * *

(1) الفتح الكبير ج 2 ص 46 رقم 5583.

(2) تنقيح القول الحثيث بشرح لباب الحديث ج 1 ص 58.

الفصل السابع: ما جاء عن بر الوالدين بأبنائهم

296- عن أبي هريرة عن النبي قال: بينا امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت هذه لصاحبتها: إنما ذهب بابنك أنت، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود عليه السلام ففضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتهما، فقال: اتئوني بالسكين أشقه بينكما [نصفين]! فقالت الصغرى: لا. يرحمك الله هو ابنها. ففضى به للصغرى ⁽¹⁾..

297- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم على رسول الله ﷺ سبى، فإذا امرأة من السبى تسعى إذ وجدت صبيا في السبى فأخذته فألصقته بطنها وأرضعته، فقال رسول الله ﷺ: أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال رسول الله ﷺ: الله أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها. ولا يروى عن عمر إلا بهذا الإسناد ⁽²⁾..

298- وعن أنس: أن امرأة دخلت على عائشة رضي الله عنها ومعها بنتان لها، فأعطتها عائشة ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما ثمرة، ثم أخذت ثمرة لتضعها في فمها. قال: فنظرا الصبيان إليها، فصدعتها نصفين فأعطت كل واحدة منهما نصفاً وخرجت. فدخل رسول الله ﷺ فحدثته عائشة بما فعلت أو تفعل المرأة قال: فلقد دخلت بذلك الجنة.. رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ⁽³⁾..

[سئل إبراهيم عليه السلام أن يرزقه الله بذرية سالحة فقال:] ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ^(١٠٠)
فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ^(١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَنْظُرْ
مَاذَا تَرَى قَالَ يَتَأْتِي أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ^(١٠٢) ⁽⁴⁾

(1) الإلمام بأحاديث الأحكام ج 2 ص 802 رقم 1558.

(2) المعجم الأوسط ج 3 ص 232 رقم 3011.

(3) مجمع الزوائد ج 8 ص 158.

(4) سورة الصافات الآيات 100/102.

قال هلال العيسى: [فكان إسماعيل عليه السلام ابناً باراً صابراً مطيعاً، فإذا كان البعض لا يتحمل ولا يصبر على قول قاسٍ من أبيه المحب له رغبة في صلاحه، فإن إسماعيل قد صبر على ما هو أشد من القول، فقد صبر على الذبح. فلم يعترض ولم يفر أو يرفض أو يتهدد ويتوعد أباه، بل كان حليماً صابراً مطيعاً. وكذلك كان إبراهيم عليه السلام صابراً على ما امتحن به من ذبحه لولده، فلا أدري والله من أى منها أعجب الذابح أم المذبوح. فإن كان إسماعيل سوف تنتهى حياته بالذبح فتنتهى الأمة بموته وخروج روحه من جسده، فإن إبراهيم عليه السلام لن يختفى هذا المشهد زماناً ومكاناً من ذاكرته ما بقى على قيد الحياة، إن الأب ليتألم أشد الألم إذا أصيب ابن له بشيء حتى وإن كان عاصياً له، فطرة شمل الله بها صالح الآباء ولقد شملت رحمة الله إسماعيل بفدائه بذبح عظيم من الله والأب برؤية ابنه المطيع طاعة يضرب بها المثل معافى] ..

299- إن الله سبحانه أجرى العادة البشرية، أن بكر الأولاد أحب إلى الوالدين ممن بعده، وإبراهيم عليه السلام لما سأل ربه الولد ووهبه له، تعلق شعبة من قلبه بمحبته والله تعالى قد اتخذ خليلاً، والخلة منصب يقتضى توحيد المحبوب بالمحبة وأن لا يشارك بينه وبين غيره فيها، فلما أخذ الولد شعبة من قلب الوالد جاءت غير الخلة تنتزعها من قلب الخليل، فأمره بذبح المحبوب. فلما أقدم على ذبحه وكانت محبة الله أعظم عنده من محبة الولد، خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة، فلم يبق في الذبح مصلحة، إذ كانت المصلحة إنما هى فى العزم وتوطين النفس عليه، فقد حصل المقصود فنسخ الأمر وفدى الذبيح وصدق الخليل الرؤيا وحصل مراد الرب. ومعلوم أن هذا الامتحان والاختبار إنما حصل عند أول مولود [وهو إسماعيل عليه السلام] ولم يكن ليحصل فى المولود الآخر دون الأول، بل لم يحصل عند المولود الآخر من مزاحمة الخلة ما يقتضى الأمر بذبحه وهذا فى غاية الظهور..

قال تعالى: ﴿لَمَّا نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٢) إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا

وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَبْنَئُ لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ ﴿١﴾

قال هلال العيسى [ضرب لنا الله في قرآنه الكريم مثلاً في مدى حب الأب لأبنائه فروى لنا قصة يعقوب عليه السلام، أب سمح لابنه بالخروج مع إخوته للعب قاصداً بذلك إدخال السعادة على ابنه وكان له محبا شغوفاً لا يستطيع فراقه، فلما غربت الشمس كان منتظراً لعودته ورؤيته له بفارغ الصبر، فإذا به يرى ملابسه وقد امتلأت بدم وقيل له: إنه قتل وكان طفلاً صغيراً لا يستطيع الدفاع عن نفسه فلا حول له ولا قوة، فبكى عليه الأب حتى محى تدفق وكثرة دموعه وحزنه عليه سواد العين فابيضت فذهب بصره. ففقد الابن وفقد البصر وفقد راحة الدنيا.

فلما أذن الله باللقاء وأراد سبحانه وتعالى إكرامه وجمع شمله بابنه بعد سنوات كأنها دهور، رد إليه بصره أولاً ليرى ابنه وقد صار شاباً جميل الصورة مؤمناً بالله، ملكاً على مصر من الأمصار عادلاً غير ظالم، لا طاغية يتمنى الناس ويتنظرون موته. ويحدثنا القرآن الكريم أن هذا الابن لما رأى أبوه: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ ﴿٢﴾ ..

300- والسجود هنا: سجد كرامة كما سجدت الملائكة لآدم عليه السلام [لا سجود عبادة]. وقيل: كان في ذلك الوقت السجود تحية بعضهم لبعض. وقيل: لما خاطب يوسف أباه بقوله: يا أبت، وفيه إظهار الطوعية والبر والتنبيه على محل الشفقة بطبع الأبوة، خاطبه أبوه بقوله: يا بني، تصغير التحبيب والتقريب والشفقة..

(1) سورة يوسف الآيات 3 / 5.

(2) سورة يوسف آية 100.

301- روى أن يوسف عليه السلام: لما دخل عليه أبوه يعقوب عليه السلام لم يقم إليه فأوحى الله تعالى إليه: لم لم تقم لأبيك؟ وعزتي لا أخرجت من صلبك نبياً⁽¹⁾..

302- وقال الثوري: لما التقى يعقوب ويوسف عليهما السلام، عانق كل واحد منهما صاحبه وبكيا، فقال يوسف: يا أبت، بكيت على حتى ذهب بصرك؟! ألم تعلم أن القيامة تجمعنا؟ قال: بلى بنى، ولكن خشيت أن تُسلب دينك [فتموت على غير دين الإسلام] فيُحال بيني وبينك..

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُجِبُ الظَّالِمِينَ ٥٧﴾ ⁽²⁾..

[كانت مريم عليها السلام محبة لابنها مشفقة عليه روى أنه لما أراد الله تعالى رفع عيسى عليه السلام]:

303- روى أنه أرسل إليه سحابة فرفعته فتعلقت به أمه وبكت، فقال لها: إن القيامة تجمعنا. وكان ذلك ليلة القدر ببيت المقدس وله ثلاث وثلاثون سنة، وعاشت أمه [مريم عليها السلام] بعده ست سنين. وروى الشيخان حديث: أنه ينزل قرب الساعة ويحكم بشريعة نبينا [محمد صلى الله عليه وسلم] ويقتل الدجال والخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية. وفي حديث مسلم أنه يمكث سبع سنين. وفي حديث عن أبي داود الطيالسي أربعين سنة يتوفى ويصلى عليه فيحتمل أن المراد مجموع لبثه في الأرض قبل الرفع وبعده والله أعلم..

بر الآباء بعدم ترك الأبناء والابتعاد عنهم:

304- روى أنه ضاق رجل بالحياة ذرعا وسدت في وجهه أبواب الرزق، وله بنات صغار لا يستطيع فراقهن شفقة وحنانا، ولولاهن لانتشر في أرجاء الأرض بيتغى من فضل الله، فقال يوما:

(1) كتاب بر الوالدين لأبي بكر محمد الطرطوشي.

(2) سورة آل عمران آية 57.

لَوَلَا بَنِيَّاتُ كَزْغَبِ الْقَطَا	حَطَطْنَ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ
لَكَانَ لِي مَضْطَرَبٌ وَاسِعٌ	فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ
وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا بَيْنُنَا	أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ
لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى بَعْضِهِمْ	لَا مَتْنَعَتْ عَيْنِي مِنَ الْغَمِّضِ
أَنْزَلَنِي الدَّهْرُ عَلَى حُكْمِهِ	مَنْ مَرَقَبٍ عَالٍ إِلَى الْخَفْضِ
وَابْتَزَنِي الدَّهْرُ ثِيَابَ الْغَنَى	فَلَيْسَ لِي مَالٌ سِوَى عِرْضِي

305- [وفي شفقة الوالد على ابنته روى أن الأحنف بن قيس رزق على كبر بجارية] فبكى. فقيل له: ما يبكيك؟ قال: لم لا أبكى؟! وهي عورة، وبكاؤها عبرة، وهديتها سرقة، ونصرتها البكاء، ومهنتها لغيري، وقال:

لَوَلَا الْبَنِيَّةُ لَمْ أَجْزَعْ مِنَ الْعَدَمِ	وَلَمْ أُجِبْ فِي اللَّيَالِي حَنْدَسَ الظُّلَمِ
وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي الْعَيْشِ مَعْرِفَتِي	ذَلَّ الْيَتِيمَةَ يُجْفُوها ذُوو الرِّجَمِ
تَهَوَّى بَقَاى وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقًا	وَالْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَالٍ عَلَى الْحَرَمِ
مَخَافَةَ الْفَقْرِ يَوْمًا أَنْ يَلَمَّ بِهَا	فِيكشِفُ الدَّهْرُ عَنْ لَحْمٍ عَلَى وَضَمِ
إِذَا تَذَكَّرْتُ بَنَّتِي حِينَ تَنْدُبُنِي	فَاضَتْ لِرَحْمَةِ بَنَّتِي عَبْرَتِي بَدَمِ

ولآخر:

أَحَبُّ بَنِيَّتِي وَوَدَدْتُ أَنْتِي	دَفَنْتُ بَنِيَّتِي فِي جَوْفِ لَحْدِ
وَمَا لِي بُغْضُهَا غَرَضًا وَلَكِنْ	مَخَافَةَ مَيْتَتِي فَتَضْيَعُ بَعْدِي
مَخَافَةَ أَنْ تُصَوِّرَ لِي لُثِيمِ	فِيْفَضْخُ وَالْدَى وَيَشِينُ جَدِّي
فَلَيْتَ اللَّهُ أَكْرَمَهَا بِقَبْرِ	وَإِنْ كَانَتْ أَعَزَّ النَّاسِ عِنْدِي
فَتَسْتُرُ عَوْرَتِي وَتَكُونُ أَجْرًا	إِذَا قَدَّمْتُهَا وَكُتِمْتُ وَجَدِي

306- قال شاعر كره الموت شفقة على ولده:

يقرُّ بعيني وهو يُنْقِصُ مدَّتِي مرورَ الليالي كي يشبَّ حكيمٌ

مخافةً أن يغتالني الموتُ قبلَه فينشو مع الصَّبيان وهو يتيم

307- وجد المأمون⁽¹⁾ على قائد من قواده فاستصفي⁽²⁾ ضياعه وداره وأنهب دوابه

وماله، وكان شيخاً فانياً ولم يكن له من الولد إلا بنية صغيرة فأجمع أن يضرب في الأرض
ويطلب من فضل الله جل وعز ويخلف بنيته.

فبكت الابنة وقبضت على أبيها وقالت: اقنع بما آتاك الله، واصبر على محن الزمان

ونوائب الدهر، والزم الوطن، وارحم وحدتي وضعفى وقلة حيلتي. أو اذبحني. فلا
أُبتلى بفراقك!! فبكى الشيخ وقال:

تقولُ ابنتي لما أردتُ وداعَهَا وقد حضرتني نيةٌ ورحيلُ

لعلَّ المنايا في رحالك تنبري لنفسك ختلاً أو تغولك غول⁽³⁾

فتتركني أدعى اليتيمة بعدما تبين وعزى بعد ذاك ذليلُ

أفى طلب الدنيا وربك بالذي تسيرُ له راعٍ عليك كفيلُ

أليس ضعيفُ القومِ يأتيه رزقه يساقُ إليه والبلادُ محولُ

ويُحرَمُ جمعُ المالِ من قد يرومه يكدّ عليه رحله وحولُ

فلو كنتُ فى طودٍ على رأسِ هضبةٍ لها نجفٌ فيه الوُعوولُ تقيـلُ⁽⁴⁾

مضعدةً لا يُستطاعُ ارتقاؤها ولا لنزولٍ يُستطاعُ سبيلُ

إذا لأتاك الرزقُ يحدوه سائقٌ حيثُ ويهديه إليك دليلُ

(1) [حاكم ظالم ضال كان على مذهب المعتزلة دعى بخلق القرآن وجلد وحبس وقتل من لم يقره على ذلك،
وأهلك علماء أهل السنة ورفع شأن المعتزلة والروافض والفرس وحكمهم في بلاد الإسلام].

(2) [استصفي: أى صفاه تماماً مما كان يملك فلم يترك له شيء].

(3) الختل: الخداع.

(4) الطود: الجبل العظيم، تقيل: تنام في الظهيرة.

308- عاش يزيد بن زبيبة الشيباني دهرًا طويلاً حتى لحق زمن الحجاج وسعى مع ابن الأشعث، فظفر به الحجاج، وورد عليه كتاب عبد الملك بن مروان يأمره بقتله. فلما دعا به قال له: أيها الأمير اتق الله بتسع عشرة نسوة ليس هن قيم غيري، قال: أحضرهن. فلما أحضرهن سألهن الحجاج عن شأنهن، فما منهن امرأة إلا وهى تقول: اقتلنى ودعه !! وقامت بنية له صغيرة فبكت بكاء حاراً موجعاً محرقةً وأنشأت تقول:

أَحْجَّاجُ إِمَّا أَنْ تَجُودَ بِنَعْمَةٍ عَلَيْنَا وَإِمَّا أَنْ تَقْتُلَنَا مَعَا
أَحْجَّاجُ كَمْ تَفْجَعُ بِهِ إِنْ قَتَلْتَهُ ثَلَاثًا وَعَشْرًا وَاثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعًا
فَمَنْ رَجُلٌ دَانَ يَقُومُ مَقَامَهُ عَلَيْنَا فَمَهْلًا لَا تَزِدُّنَا تَضَعُضُوعًا
فرحمه الحجاج وكتب إلى عبد الملك يسأله العفو عنه، فأجابه إلى ذلك فأطلقه..

309- ضرب رجل طولب بهال فلم يسمح به، فأخذ ابنه وضرب فجزع! فقيل له في ذلك، فقال: ضرب جلدى فصبرت، وضرب كبدى فلم أصبر وقال:

إِنَّمَا أَوْلَادُنَا بَيْنُنَا أَكْبَادُنَا تَمْشَى عَلَى الْأَرْضِ

الحزن على من توفى من الأبناء:

310- دمع العين وحزن القلب لا يستوجب ذماً ولا عقوبة، لأن ذلك ليس إلى اختيار الإنسان [لذا] فلا يدخل تحت التكليف، بدليل أن النبی بکی على ولده إبراهيم عند موته، فهذا قدر لا يقدر الإنسان على دفعه عن نفسه، صار مباحاً لا حرج فيه على أحد من الناس [وهو راحة ومتنفس للصدر ورحمة وشفقة من الله تعالى بخلقه]..

311- فى صحيحى البخارى ومسلم أن النبی دخل علیه [أى ابنه إبراهيم] فى مرضه فوجده يجود بنفسه، فجعلت عيناه تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ فقال له: يا ابن عوف، إنها رحمة، جعلها الله فى قلوب عباده⁽¹⁾..

(1) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار فى سيرة النبی المختار ج 1 ص 364.

312- عن جابر رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بيد عبد الرحمن بن عوف وقال: إنما هذه رحمة ومن لا يرحم لا يُرحم. يا إبراهيم، لولا أنه أمر حق ووعد صدق وسبيل نأتيه، وأن آخرانا سيلحق أولنا، لحزنا عليك حزناً أشد من هذا وإنا بك لمحزونون، تبكى العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب⁽¹⁾..

313- عن أنس بن مالك قال: لما قبض إبراهيم ابن النبي قال لهم النبي: لا تدرجوه في أكفانه حتى أنظر إليه فأتاه فانكب عليه وبكى⁽²⁾.. هذا إسناد ضعيف أبو شيبه اسمه يوسف بن إبراهيم، قال ابن حبان: روى عن أنس بن مالك ما ليس من حديثه لا تحل الرواية عنه. وقال البخاري صاحب عجائب وقال أبو حاتم ضعيف الحديث منكر الحديث عنده عجائب..

314- عن عبد الله بن محمد: أن إبراهيم ابن النبي توفي فخرج به، فخرج رسول الله ﷺ يمشى أمام سريره ثم دخل قبره، فلما رآه قد وضع في اللحد فاضت عيناه، فلما رأوا ذلك أصحابه، بكوا حتى ارتفعت أصواتهم، ثم أقبل أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله تبكى وأنت تنهى عن البكاء؟ فقال: يا أبا بكر، تدمع العين ويوجع القلب ولا نقول ما يسخط الرب. ثم دفن فقال رسول الله ﷺ: أما من أحد يأتينا بهاء نظهر به قبر إبراهيم؟ فأتى بهاء، فأمر به فرش على القبر، ثم وضع يده اليمنى عليه من عند رأسه فقال: ختمت عليك بالله من الشيطان الرجيم والله أعلم⁽³⁾..

315- عن البراء قال: توفي إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وهو ابن ستة عشر شهراً..

316- قلت لابن أبي أوفى: رأيت إبراهيم ابن النبي ﷺ؟ قال: مات صغيراً ولو قضى أن يكون بعد محمد ﷺ نبي عاش ابنه، ولكن لا نبي بعده⁽⁴⁾.. [ولنا أن نتساءل لو

(1) المطالب العالية ج 5 ص 356.

(2) مصباح الزجاجة ج 2 ص 27 رقم 350.

(3) نواتر الأصول في أحاديث الرسول ج 4 ص 163.

(4) شرح صحيح البخاري لابن بطال ج 9 ص 348.

عاش إبراهيم ابن الرسول ﷺ وأمد الله تعالى في عمره، كيف كان سيكون موقف الرافضة ومن سوف يتبعون؟ فسبحان القائل ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ.... ﴾ (٤٠) (١).

317- عن أبي حسان قال: توفي ابنان لي فقلت لأبي هريرة: سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً تحدثناه يطيب بأنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم، صغارهم دعاميص (٢) .. الجنة، يلقي أحدهم أباه أو أبويه فيأخذ بناحية ثوبه أو يده فلا يفارقه حتى يدخله الله وأباه الجنة..

118- وأخرج أبو نعيم عن ضمرة قال: كان لرجل غنم، وكان له ابن يأتي رسول الله ﷺ بقدرح من لبن إذا حلب، ثم إن النبي افتقده، فجاء أبوه، فأخبره أن ابنه هلك. فقال النبي: أتريد أن أدعو الله تعالى أن ينشره لك، أو تصبر فيؤخره لك إلى يوم القيامة، فيأتيك ابنك فيأخذ بيدك فينطلق بك إلى باب الجنة فتدخل من أي أبواب الجنة شئت؟ قال الرجل: ومن لي بذلك يا نبي الله؟ قال: هو لك ولكل مؤمن (٣) ..

319- عن معاوية بن قررة عن أبيه، أن رجلاً جاء بابنه إلى النبي، فقال له رسول الله: أحبه؟ قال: أحبك الله كما أحبه. فتوفي الصبي، ففقدته رسول الله ﷺ فقال: أين فلان؟ قالوا: يا رسول الله توفي ابنه. فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى ألا تأتي بابا من أبواب الجنة إلا جاء يسعى حتى يفتحه لك، قالوا: يا رسول الله، أله وحده أم لكلنا؟ قال: لا بل لكلكم (٤) ..

320- عن حسان بن كريب أن غلاماً منهم توفي فوجد عليه أبواه أشد الوجد فقال حوشب صاحب النبي: ألا أخبرك بما سمعت من رسول الله ﷺ يقول في مثل ابنك؟ إن

(١) سورة الأحزاب آية 40.

(٢) مسند أحمد بن حنبل. [الدُّعْمُوصُ: الدخال في الأمور أي أنهم سيأخون في الجنة دخالون في منازلها لا يمنعون من موضع كما أن الصغار في الدنيا لا يمنعون من الدخول على الحرم ولا يحتجب منهم أحد].

(٣) الخصائص الكبرى ج 2 ص 113.

(٤) مسند ابن الجعد ج 1 ص 166 رقم 1075.

رجلا من أصحابه كان له ابن وكان يأتي مع أبيه إلى النبي ﷺ ثم إن ابنه توفي، فوجد عليه أبوه قريبا من ستة أيام لا يأتي النبي، فقال النبي: لا أرى فلانا؟ قالوا: يا رسول الله إن ابنه توفي فوجد عليه، فقال له رسول الله ﷺ: يا فلان أتحب لو أن ابنك عندك كأنشط الصبيان نشاطا؟ أتحب أن عندك كأجراً الغلمان جرأة؟ أتحب لو أن ابنك عندك كهلا كأفضل الكهول؟ أو يقال لك: ادخل الجنة ثواب ما أخذ منك⁽¹⁾..

321- قال عمرو بن جرير البجري: لما مات ذر بن عمر بن ذر، قال أصحابه: الآن يضيع الشيخ، لأنه كان باراً بوالده [قائماً بحاجاته]، فسمعها الشيخ فبقى متعجباً [يقول في نفسه] أنا أضيع والله حي لا يموت! فسكت حتى واروه التراب، فلما واره التراب وقف على قبره يسمعونهم فقال: رحمك الله يا ذر ما علينا بعد من خصاصة وما بنا إلى أحد مع الله حاجة، وما يسرنى أن أكون المقدم قبلك، ولولا هول المطع لتمنيت أن أكون مكانك، لقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك، فيا ليت شعري ماذا قيل لك وماذا قلت، يعني منكراً ونكيراً، ثم رفع رأسه فقال: اللهم إني قد وهبت له حقى فيما بينى وبينه، وغفرت له ما قصر فيه من واجب حقى. اللهم فهب حقه فيما بينك وبينه له فاغفر له ما قصر فيه من واجب حقه.

فقل له: كيف كانت عشرته معك؟

قال: ما مشى معى قط فى ليل إلا كان أمامى، ولا مشى معى فى نهار إلا كان ورائى، ولا ارتقى قط سقفا كنت تحته. فبقى القوم متعجبين مما جاء منهم ومما جاء منه من الرضا عن الله والتسليم له [ومما جاء من ولده. فتمعنوا فيما خص ابنه من الدعاء والصفات، اللهم اهد واغفر لمن كان محبا رحيما باراً سميعاً مطيعاً مراعياً لوالديه حنوناً عطوفاً كريماً عليهما]..

322- قال إسحاق أبو يعقوب النصرى: كان مولى يقال له: الزرير بن عبد ربه، وكان قد عمر حتى فقد ماله وولده، فلم يبق له إلا ابن واحد يقال له: إبراهيم، فكان

(1) مسند أحمد بن حنبل ج 3 ص 467 رقم 15881.

إبراهيم الذى يغذوه ويرفق به [وكان به باراً رحيماً]، والشيخ شبيه بالولد، فرمى فى جنازة ابنه إبراهيم فأخذ الجيران فى مصلحته [وتجهيزه لدفنه] وإنه جالس فى ناحية منزله لا يحير شيئاً، أكبر ظنهم أنه لا يفهم شيئاً من فقد ابنه، حتى إذا أصلحوا شأنه وحملوا سريره، خرج يهدج قدام الجنازة! فلما انتهوا به إلى شفير قبره، ضرب يده إلى أكفانه ثم قال:

إِنِّى لِأَصْبِرُ مِنْ يَمْشِى عَلَى قَدَمٍ	غَدَاةً أَبْقَى وَإِبْرَاهِيمُ فِى الرِّجَمِ
يَا مَنْ لَعِينِ أَبَادِ الدَّهْرُ قَرَّتْهَا	وَمَنْ لَسَمِعِ رِمَاءُ الدَّهْرِ بِالصَّمَمِ
قَالُوا أَطْلَتِ الْأَسَى فَارْبَعٍ عَلَيْكَ وَهَلْ	بَكَيْتُ حَبِّى مَا لَمْ أَبْكِهِ بَدَمِ ⁽¹⁾
بَدَلْتُ مَنْ فَرَحَى الْمَاضِى بِهِ تَرْحاً	وَعَادَ عَهْدُ أَبِي إِسْحَاقَ كَالْحُلَمِ
فَاللَّهُ مُوضِعُ مَا أَشْكُو وَغَايُثُهُ	وَبِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ مَعْتَصِمِ
قَدْ ذَاقَهُ مَنْ بِهِ سَمِيَتْ فَاَنْهَمَلَتْ	عَيْنُ النَّبِىِّ عَلَيْهِ سَحَّةُ السَّجَمِ ⁽²⁾
فَقَالَ مَا أَنَا فَيْكَ الْيَوْمَ قَائِلُهُ	وَبِاللَّهِ سَدَادُ الْفَعْلِ وَالْكَلِمِ
مَا ضَرَّ مَنْ قَالَ يُودِى الْوَجْدُ صَاحِبَهُ	وَقَدْ بَقِيتُ وَوَجْدِى لَيْسَ كَالْأُمَمِ

323- عن شهر بن حوشب قال: طعن عبدالرحمن بن معاذ بن جبل، فدخل عليه

أبوه فقال له: كيف تجددك أى بنى؟ فقال له: يا أبت ﴿ أَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنْ أَلْمُتَرِينَ ﴾⁽³⁾.. قال معاذ: ﴿...سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾⁽⁴⁾..

324- عن أبى حيان التيمى قال: رأيت مجمعا ييكى فى جنازة ابنه فقلت: ما

ييكيك؟ قال: إني أجد له ما يجد الوالد لولده، وأبكى عليه أنى لا أدرى إلى جنة يصير أو إلى نار..

(1) الحب: الحبيب.

(2) سحّة: كثرة الصب والبكاء.

(3) سورة البقرة آية 147.

(4) سورة الصافات آية 102.

- قال ابن الجوزى فى كتاب الأذكياء: عن الأصمعى: مات ابن لأعرابية فما زالت تبكى حتى خدد الدمع خدها، ثم استرجعت فقالت: اللهم إني قد علمت فرط حب الوالدين لولدهم، فلذلك لم تأمرهما ببره، وعرفت قدر عقوق الولد لوالديه فمن أجل ذلك حضضته على طاعتها.

اللهم إن ولدى كان من البار بوالديه على ما يكون الوالدان بولدهما! فأجزه منى بذلك صلاة ورحمة ولقه سرورا ونصرة.

فقال لها أعرابى: نعم ما دعوت له لولا أنك شبت من الجزع بما لا يجدي. فقالت: إذا وقعت الضرورات لم يجز عليها حكم المكتسبات، وجزعى على ابني غير ممكن فى الطاقة صرفه، ولا فى القدرة منعه، والله ولى عذرى بفضلله فقد قال عز وجل: ﴿... فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَايَعٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١) ..

325- حدثنا خالد بن يزيد عن جعونة قال: لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، [وكان شابا صالحا متدينا ناصحا لوالده بارا يخاف الله] جعل عمر يثنى عليه، فقال له مسلمة: يا أمير المؤمنين، لو بقى أكنت تعهد إليه؟ قال: لا. قال: ولم وأنت تثنى عليه! قال: أخاف أن يكون زين فى عينى منه ما زين فى عين الوالد من ولده..

326- قال عتبة بن فرقد لعبد الله بن ربيعة: يا عبد الله ألا تعيننى على ابن أخيك [عمرو]؟ قال: وما ذاك؟ قال: يعيننى على ما أنا فيه من عمل، فقال له عبد الله: يا عمرو، أطلع أباك. فقال عمرو: يا أبت إنما أنا عبد أعمل فى فكاك رقبتى، فبكى عتبة وقال: يا بنى، إني لأحبك حبين، حبا لله وحبا للوالد ولده..

327- قيل لرجل: صف ابنك. فقال: ولد الناس أبناء وولدت له أبا، يحسن ما أحسن، ولا أحسن ما يحسن..

(1) سورة البقرة آية 173.

328- قال أبو الأشهب هوذة بن خليفة بن عبد الرحمن: قال رجل لعبيد الله بن أبي بكرة: ما تقول في موت الوالد؟ قال: ملك حادث.

قال: فموت الأخ؟ قال: قص الجناح؟

قال: فموت الزوج؟ قال: عرس جديد .

قال: فموت الولد؟ قال: صدع في الفؤاد لا يجبر..

329- كتب إبراهيم بن داحية إلى أبيه: جعلني الله فداك. فكتب إليه: لا تكتب بمثل هذا، فأنت على يومى أصبر منى على يومك. أى أنك على يوم موتى أكثر صبرا منى على يوم موتك، لأن موتى يؤلمك ثم يزول هذا الألم بعد حين، أما موتك فيجرح قلبي، وجرح القلب لا يبرأ..

330- وأخرج المحاملى في أماليه عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة قال: بينما رجل في الشام ومعه زوجته وقد كان استشهد له ابن، إذ رأى الرجل فارسا قد أقبل، فقال لامرأته: ابني وابنك يا فلانة؟! قالت له: اخز عنك الشيطان ابنك قد استشهد منذ حين، فأقبل على عمله واستغفر الله ثم دنا الفارس فقال: ابنك والله يا فلانة، ونظرت فقالت: هو والله، فوقف عليهما، فقال له أبوه: أليس قد استشهدت يا بنى؟!

قال: بلى ولكن عمر بن عبد العزيز رحمه الله توفي في هذه الساعة، فاستأذن الشهداء ربه في شهوده فكنتم منهم، واستأذنته في السلام عليهما، ثم دعا لهما وانصرف. ووجد عمر قد توفي تلك الساعة فهذه آثار مسندة خرجها أئمة الحديث بأسانيدهم في كتبهم وأوردتها تقوية لما حكاه اليافعى وتصديقا له. وقال اليافعى: رؤية الموتى في خير أو شر، نوع من الكشف يظهره الله تبشيرا أو موعظة أو لمصلحة الميت، من إيصال خير له أو قضاء دين [أو تنبيه] أو غير ذلك. ثم هذه الرؤية قد تكون في النوم وهو الغالب وقد تكون في اليقظة، وذلك من كرامات الأولياء أصحاب الأحوال..

331- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: كان بمكة مقعدان وكان لهما ابن [بار] يحملهما غدوة ويأتى بهما المسجد فيضعهما فيه، ثم يذهب فيكسب عليهما، فإذا أمسى احتملهما فأقلبهما، ففقد رسول الله ﷺ فسأل عنه، فقالوا: مات.

فقال رسول الله ﷺ: لو ترك أحد لأحد لترك ابن المقعدين. ثم كان رسول الله ﷺ كثيرا يقول ذلك⁽¹⁾.. لفظ حديث أبي داود..

* * *

(1) سنن البيهقي الكبرى ج 4 ص 66 رقم 6923.

الفصل الثامن

ما جاء فى حق الوالدين على أبنائهم

332- كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة قعد فى مصلاه حتى تطلع الشمس، فقال يوماً: يطلع عليكم من هذا الفج من خير ذى يمن عليه مسحة ملك، فطلع جرير بن عبد الله البجلي فى أحد عشر راكبا من قومه، فعلقوا رقابهم ثم دنوا فقال جرير: السلام عليكم يا معشر قريش، أين رسول الله ﷺ؟

فقال نبي الله ﷺ: يا جرير، أسلم تسلم، إن غلظ القلوب والجفاء والحبوب فى أهل الوبر والصوف، يا جرير، إنك لا تستحق حقيقة الإسلام ولا تستكمل بعد الإيمان حتى تدع عبادة الأوثان، يا جرير، إنى أحذرك الدنيا وحلاوة رضاعها ومرارة فطامها .

قال جرير: يا رسول الله، ادع الله أن يشرح صدرى للإسلام؟

فقال: اللهم اشرح صدره للإسلام ولا تجعله من أهل الردة ولا تكثر له فيطغى ولا تملى له فينسى .

قال جرير: فما الذى أتيت أريد أن أسألك عنه؟

قال: أتيت وأنت تريد أن تسألنى عن حق الوالد على ولده، إن من حق الوالد على ولده أن يخضع له فى الغضب، وأن يؤثره فى الرضا، ومن حق الولد على ولده، أن يحسن أدبه ولا يجحد نسبه، إن المكافئ ليس بالواصل، إنما الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها .

فقال: والذى بعثك بالحق، هذا ما أردت أن أسألك عنه، ما أردت أن أسألك عن شيء غيره، أشهد أن لا إله إلا الله وأنت عبده ورسوله [إلى آخر الحديث] ⁽¹⁾ ..

333- وأخرج ابن أبى شيبه عن معاذ بن جبل ؓ أنه قيل له: ما حق الوالد على الولد؟ قال: لو خرجت من أهلك ومالك ما أدبت حقه..

(1) الأحاديث الطوال ج 1 ص 369 .

334- عن عطاءٍ رضي الله عنه قال: إذا استصرخ عليك أبوك يوم الجمعة والإمام يخطب فقم إليه واترك الجمعة..

335- عن أنس رضي الله عنه: حق الوالد على ولده أن لا يسميه إلا بما سمى إبراهيم به أباه: يا أبت، ولا يسميه باسمه..

* * *

الفصل التاسع

ما جاء في حق الوالدين في مال أبنائهم

336- عن عبد الرزاق عن ابن جريج قال: حدث رجل من أهل العلم عطاء أن النبي قال: مال الولد طيبه، أطيب الطيبة⁽¹⁾..

337- عن عائشة رضي الله عنها قالت: أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ابنه من كسبه، ثم قرأت قوله تعالى: ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۖ ﴾⁽²⁾.. قالت: وما كسب ولده⁽³⁾..

338- حدثنا خلف بن خليفة قال: سمعت والله محارب بن دثار يقول: قال رسول الله ﷺ: الولد من كسب الوالد⁽⁴⁾..

339- عن عائشة رضي الله عنها قال ﷺ: ولد الرجل من كسبه من كسبه من أطيب كسبه فكلوا من أموالهم⁽⁵⁾..

340- عن عائشة رضي الله عنها: إن أولادكم هبة الله تعالى لكم، يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور، فهم وأموالهم لكم إذا احتجتم إليها⁽⁶⁾..

341- عن مسروق قال: أنت من هبة الله لأبيك، أنت ومالك لأبيك، ثم قال: يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور..

(1) مصنف عبد الرزاق ج 9 ص 131 رقم 16634.

(2) سورة المسد آية 2.

(3) تفسير ابن أبي حاتم ج 10 ص 3473 رقم 19526.

(4) سنن سعيد بن منصور ج 2 ص 146 رقم 2295.

(5) كنز العمال ج 16 ص 195 رقم 45488.

(6) كنز العمال ج 16 ص 196 رقم 45510.

- 342- وقال ابن خويزمنداد: جاز للوالد أن يأكل من كسب ولده، لقوله ﷺ: أولادكم من طيبات ما كسبتم فكلوا من أموال أولادكم هنيئاً⁽¹⁾..
- 343- عن عامر قال: الرجل في حل من مال ولده..
- 344- عن ابن المسيب قال: يعتصر الرجل من ولده ما أعطاه من ماله، ولا يعتصر الولد الوالد ما أعطاه من ماله لحقه عليه..
- 345- عن الحسن قال: يأخذ الرجل من مال ابنه ما شاء، وإن كانت جارية تسراها إن شاء..
- 346- عن الزهري قال: لا يأخذ الرجل من مال ولده شيئاً، إلا أن يحتاج فيستنفق بالمعروف، يعوله ابنه كما كان الأب يعوله، فأما إذا كان الأب موسراً فليس له أن يأخذ مال ابنه فيبقى به ماله أو يضعه فيما لا يحل..
- 347- عن طاووس عن أبيه قال: ينال الرجل من مال ابنه بالمعروف..
- 348- عن جابر رضي الله عنه قال ﷺ: يأكل الوالدان من مال ولدهما بالمعروف، وليس للولد أن يأكل من مال والديه إلا بإذنها⁽²⁾..
- 349- عن سعيد بن المسيب قال: يأكل الوالد من مال ولده ما شاء، ولا يأكل الولد من مال والده إلا بطيب نفسه..
- 350- حدثنا حبيب المعلم عن عطاء قال: الوالد يأكل من مال ولده ويكتسى وينفق بالمعروف، ولا يسرف في ماله ولا يعتق، والولد كذلك..
- 351- عن عبد الله بن زيد بن عبد ربه الذي أرى النداء: أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، حائطي هذا صدقة، وهو إلى الله ورسوله، فجاء أبواه فقالا: يا رسول الله، كان قوام عيشنا. فردّه رسول الله ﷺ إليهما، ثم ماتا فورثهما ابنتهما بعد⁽³⁾..

(1) اللباب في علوم الكتاب ج 4 ص 409.

(2) كنز العمال ج 16 ص 198 رقم 45526 .

(3) المستدرک علی الصحیحین ج 3 ص 379 رقم 5448.

352- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: لَا يَحِلُّ لِمَرْءٍ مُسْلِمٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَرْجِعَ فِي هَبْتِهِ إِلَّا الْوَالِدَ⁽¹⁾..

353- عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ رَفَعَاهُ إِلَى النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُعْطَى الْعَطِيَّةُ فَيَرْجِعَ فِيهَا، إِلَّا الْوَالِدَ فِيمَا يُعْطَى وَلَدَهُ. وَمِثْلَ الَّذِي يُعْطَى الْعَطِيَّةُ ثُمَّ يَرْجِعُ فِيهَا، كَمِثْلِ الْكَلْبِ أَكَلَ حَتَّى إِذَا شَبِعَ قَاءَ ثُمَّ رَجَعَ فِي قَيْئِهِ⁽²⁾..

* * *

(1) المعجم الكبير ج 11 ص 16 رقم 10892.

(2) مسند أحمد بن حنبل ج 2 ص 27 رقم 4810.

الفصل العاشر

ما جاء في عدم جواز ترك الوالدين

من أجل الغزو والجهاد

354- عن ابن أبي مليكة أن حبيب بن مسلمة قدم على النبي المدينة غازيا وأن أباه أدركه بالمدينة، فقال مسلمة: يا رسول الله، إنه ليس لى ولد غيره، فيقوم فى مالى وضيعتى وعلى أهل بيتى، وأن النبى رده معه، وقال: لعلك أن يخلو لك وجهك فى عامك، فارجع يا حبيب مع أبىك، فرجع فمات مسلمة فى ذلك العام، وغزا حبيب فيه⁽¹⁾.. [وفى معجم الصحابة ج 1 ص 191 قوله: يا نبى الله ابنى يدى ورجلى.. أى إنه كيدى التى أعمل بها ورجلى التى أمشى عليها لا غناء عنها]..

355- عن أنس ؓ: ليس الجهاد أن يضرب الرجل بسيفه فى سبيل الله، إنما الجهاد من عال والديه وعال ولده، فهو فى جهاد، ومن عال نفسه فكفأها عن الناس فهو فى جهاد..

356- عن ابن عمر قال: مر بهم رجل فتعجبوا من خلقه فقالوا: لو كان هذا فى سبيل الله، فأتوا النبى فقال ؓ: إن كان يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله، وإن كان يسعى على ولد صغار فهو فى سبيل الله، وإن كان يسعى على نفسه ليغنيها فهو فى سبيل الله⁽²⁾..

357- عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: لما رجع من غزوة تبوك وراحلته بين يديه وقد أرجفت، إذ مر أعرابى بجمال سمان وهو يرتجز، فقال رجل: لو كان نشاط هذا وقوته فى سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: إن كان نشاطه وقوته ردًا على أبويه ليغنيهما

(1) سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد ج 10 ص 109.

(2) السنن الصغرى للبيهقى (نسخة الأعظمي) ج 6 ص 546 رقم 2920.

ويكفيهما فهو في سبيل الله، وإن كان ردا على أهله وولده فهو في سبيل الله، وإن كان تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الطاغوت⁽¹⁾..

358- عن أبي هريرة قال: بينا نحن مع رسول الله ﷺ إذ طلع شاب من الثنية فلما رأيناه رميناه بأبصارنا فقلنا: لو أن هذا الشاب جعل شبابه ونشاطه وقوته في سبيل الله، فسمع رسول الله ﷺ مقاتلنا فقال: وما سبيل الله إلا من قتل! من سعى على والديه ففى سبيل الله، ومن سعى على عياله ففى سبيل الله، ومن سعى مكاثرا ففى سبيل الطاغوت⁽²⁾.. تفرد به رياح عن أيوب السختياني..

359- عن ابن عمر رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: إن كان الجهاد على باب أحدكم فلا يخرج إلا بإذن أبويه⁽³⁾..

360- وعن معاوية بن جهم عن أبيه قال: أتيت رسول الله ﷺ أستشيره في الجهاد، فقال النبي: ألك والدان؟ قلت: نعم، قال: الزمهما فإن الجنة تحت أقدامهما⁽⁴⁾.. رواه الطبراني ورجاله ثقات..

361- [وفي قول آخر] قال: اذهب فأكرمهما فإن الجنة تحت رجليهما⁽⁵⁾..

362- عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ على السقاية، فجاءت امرأة بابن لها فقالت: إن ابني هذا يريد أن يغزو وأنا معه، فقال له رسول الله ﷺ: لا تبرح أمك حتى تأذن لك أو يتوفاها الموت فإنك في أعظم الأجر⁽⁶⁾..

(1) مسند إسحاق بن راهويه ج 1 ص 351 رقم 350.

(2) حلية الأولياء ج 6 ص 196.

(3) الكامل في ضعفاء الرجال ج 4 ص 337.

(4) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج 8 ص 138.

(5) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء ج 5 ص 40.

(6) المعجم الكبير ج 11 ص 411 رقم 121667.

363- عن أنس رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: إِنِّي أَشْتَهِي الْجِهَادَ وَلَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ ، قَالَ: هَلْ بَقِيَ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: أُمِّي ، قَالَ: فَأَبْلِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عُذْرًا فِي بَرِّهَا، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَأَنْتَ حَاجٌّ وَمُعْتَمِرٌ وَمُجَاهِدٌ فَإِذَا رَضِيتَ عَنْكَ أُمُّكَ ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَبَرَّهَا ⁽¹⁾ ..

364- عن ابن عباس بن مرداس أنه قال: يا رسول الله، إني أريد الجهاد، قال: ألك أم؟ قال: نعم، قال: الزم أمك فإن الجنة عند رجل أمك ⁽²⁾ ..

365- عن معاوية بن جاهمة السلمى قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إني كنت أردت الجهاد معك أبتغى بذلك وجه الله والدار الآخرة، قال: ويحك أحية أمك؟ قلت: نعم، قال: ارجع فبرها. ثم أتيتها من الجانب الآخر فقلت: يا رسول الله إني كنت أردت الجهاد معك أبتغى بذلك وجه الله والدار الآخرة قال: ويحك أحية أمك؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: فارجع إليها فبرها، ثم أتيتها من أمامه فقلت: يا رسول الله، إني كنت أردت الجهاد معك أبتغى بذلك وجه الله والدار الآخرة، قال: ويحك أحية أمك، قلت: نعم يا رسول الله، قال، ويحك الزم رجلها فثم الجنة ⁽³⁾ ..

366- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِيهِ طَلْحَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ السُّلَمِيِّ قَالَ: "جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُرِيدُ الْجِهَادَ مَعَكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ، قَالَ: حَيَّةُ أُمُّكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: الزَّمَهَا قُلْتُ: مَا أَرَى فِيهِمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَنَى، فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ مِرَارًا فَقَالَ: الزَّمْ رَجُلَيْهَا فَتَمَّ الْجَنَّةُ" ⁽⁴⁾ ..

(1) مسند أبي يعلى ج 5 ص 149 رقم 2760.

(2) شرح كتاب السير الكبير ج 1 ص 182.

(3) سنن ابن ماجه ج 2 ص 929 رقم 2781.

(4) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار مصنف ابن أبي شيبة ج 6 ص 518 رقم 33460.

367- الجنة تحت أقدام الأمهات: يعنى التواضع لهن وترضيتهن سبب لدخول الجنة. وقال العامري: المراد أنه يكون في برها وخدمتها كالتراب تحت قدميها، مقدا لها على هواه، مؤثرا برها على بر كل عباد الله، لتحملها شداثد حمله ورضاعه وتربيته.

وقال بعض الصوفية: فقولاه: الجنة، أن الأمهات يلتمس رضاهن المبلغ إلى الجنة بالتواضع لهن وإلقاء النفس تحت أقدامهن والتدلل لهن، وهذا قاله لمن أراد الغزو معه وله أم تمنعه، فقال: الزمها ثم ذكره..

368- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: أن رجلا أتى رسول الله ﷺ فاستأذنه في الجهاد، فقال له ﷺ: هل من والد أو والدة؟ فقال: أمي حيّة، قال: فأنطلق فبرها، فأنطلق يتخلل الركان يحمد الله ⁽¹⁾..

369- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله، قال: فهل من والديك أحد حي؟ قال: نعم بل كلاهما، قال: فتبتغي الأجر من الله؟ قال: نعم. قال: ارجع إلى والديك فأحسن صحبتهم ⁽²⁾..

370- عن عبد الله بن عمرو قال: جاء رجل إلى النبي فقال: يا رسول الله أبايعك على الجهاد، فقال له النبي: هل لك والدان؟ قال: نعم، قال: انطلق فجاهد فيها مجاهدا حسنا ⁽³⁾..

371- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: جاء رجل يستأذن النبي في الجهاد فقال النبي: أحي والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد ⁽⁴⁾..

(1) سنن سعيد بن منصور ج 2 ص 163 رقم 2333.

(2) سنن سعيد بن منصور ج 2 ص 164 رقم 2335.

(3) مصنف ابن أبي شيبة ج 6 ص 517 رقم 33456.

(4) مصنف ابن أبي شيبة ج 6 ص 517 رقم 33457.

372- عن أبي سعيد: هاجر رجل [من اليمن إلى المدينة] فقال له النبي: هل باليمن أبواك؟ قال: نعم، قال: أذننا لك؟ قال: لا، قال: ارجع فاستأذنها فإن أذننا لك وإلا فبرهما⁽¹⁾..

373- عن الحسن قال: جاء رجل إلى النبي يستأذنه في الجهاد، فقال: لك حوبة⁽²⁾. قال: نعم، قال: اجلس عندها⁽³⁾..

374- عن عبد الله بن عمرو قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني جئت أريد الجهاد معك، أبتغي وجه الله والدار الآخرة، ولقد أتيت وإن والدي ليبكيان. قال: فارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما⁽⁴⁾..

375- قال الرافعي: هذا في الأبوين المسلمين. أما إذا كان الأبوان أو الحى منهما مشركًا، فلا يحتاج في الخروج إلى إذن، للتهمة الظاهرة بميلهم إلى أهل دينهم، وكان عبد الله بن أبي بن سلول رضي الله عنه يغزو مع رسول الله ﷺ ومعلوم أن أباه كان يكره ذلك ويمنعه عن الجهاد..

376- وقد روى عن عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان: أن من أراد الغزو وأمرته أمه بالجلوس أن يجلس..

377- قال الحسن البصري: [من] أذنت له أمه في الجهاد، وعلم أن هواها أن يجلس، فليجلس..

378- حدثنا الحباب بن فضالة اليمامي الحنفي قال: أتيت البصرة فلقيت أنس بن مالك رضي الله عنه فقلت له: إني أردت سفرًا فأردت أن أستأمرك؟ قال: وأين تريد؟ قلت: الهند، قال: فحى والداك أو أحدهما؟ قلت: بل هما حيان، قال: فراضيان بمخرجك؟ قلت: بل

(1) فتح الباري ج 10 ص 403.

(2) [الْحُوبَةُ: الْأَبْوَانُ وَالْأُخْتُ وَالْبَيْتُ].

(3) ابن أبي شيبة ج 6 ص 518 رقم 33466.

(4) سنن ابن ماجه ج 2 ص 930 رقم 2782.

ساخطان استعدى على أبى وحبسنى السلطان. قال: فالدنيا تريد أو الآخرة؟ قلت: كليهما، قال: ما أراك إلا ستحبطهما كليهما! ارجع إلى أبويك فبرهما واصحبهما فإنك لن تصيب كسبا خيرا منه..

379- واتفق: أن من له أبوان يضيعان بخروجه [قد] سقط عنه فرض الجهاد..

380- قال ابن عمر: لا خلاف علمته أن الرجل لا يجوز له الغزو ووالداه كارهان أو أحدهما، لأن الخلاف لهما في أداء الفرائض عقوق وهو من الكبائر..

381- قال ابن حزم: اتفقوا أن بر الوالدين فرض، واتفقوا أن بر [الجهاد] فرض..

382- ومن رأى ألا يخرج إلى الغزو إلا بإذن والديه: مالك والأوزاعي والشافعي والثوري وأحمد وأكثر أهل العلم.

هذا كله في حال الاختيار، ما لم تقع ضرورة وقوة للعدو. [أى ما لم يتم غزو أحد بلاد المسلمين] وإذا كان ذلك، تعين الفرض على الجميع وزال الاختيار، ووجب الجهاد على الكل..

* * *

الفصل الحادى عشر

ما جاء فى بر الوالدين

بالشكر والدعاء والاستغفار لهما

قال تبارك وتعالى: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ (٢٨) (١) ..

383- أى رب اعف عني واستر على ذنوبي وعلى والدي. دعا لنفسه ولوالديه وكانا مؤمنين. ولمن دخل بيتي أى مسجدى ومصلاى مصلياً مصداً بالله. وكان إنما يدخل بيوت الأنبياء من آمن منهم، فجعل المسجد سبباً للدعاء بالمغفرة. دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات وذلك يعم الأحياء منهم والأموات، ولهذا يستحب الله مثل هذا الدعاء اقتداء بنوح وبما جاء فى الآثار والأدعية المشهورة المشروعة..

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ (٤١) (٢) ..

384- قيل: استغفر إبراهيم لوالديه قبل أن يثبت عنده أنها عدوان لله. قال القشيري: ولا يبعد أن تكون أمه مسلمة لأن الله ذكر عذره فى استغفاره لأبيه دون أمه. وعلى هذا قراءة سعيد بن جبير، "رب اغفر لى ولوالدى" يعنى: أبى. وقد روى أن العبد إذا قال: اللهم اغفر لى ولوالدى وكان أبواه قد ماتا كافرين انصرفت المغفرة إلى آدم وحواء لأنهما والدا الخلق أجمع..

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيَّْ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١٩) (٣) ..

(1) سورة نوح آية 28.

(2) سورة إبراهيم آية 41.

(3) سورة النمل آية .

385- (أَوْزَعْنِي) أى ألهمنى ذلك واكفنى عما يسخط، وألهمنى وحرصنى على أن أشكر نعمتك التى مننت بها على من تعلّمى منطق الطير والحيوان، وعلى والدى بالإسلام لك والإيمان بك (وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ) أى أن أعمل بطاعتك عملاً تحبه وترضاه (وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) أى إذا توفيتنى فألحقنى بالأنبياء والمؤمنين الصالحين من عبادك وأوليائك الذين اخترتهم لرسالتك وانتخبتهم لوحيك فأدخلنى من [جملة] مداخلهم .

386- عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من عبد صلى الفريضة ودعا لوالديه بالمغفرة إلا استجاب الله دعاءه، وغفر له ببركة دعائه لهما، ولو كانا فاسقين⁽¹⁾.. كذا فى رياض الصالحين..

387- عن سفيان بن عيينة: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى ومن دعا لوالديه فى أديارها فقد شكرهما..

388- عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه: عن النبى قال: إن الرجل ليتبعه يوم القيامة أمثال الجبال من الحسنات، فيقول: أنى هذا؟! فيقال: باستغفار ولدك لك من بعدك⁽²⁾..

389- عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة فيقول: يا رب، أنى لى هذه؟! فيقول باستغفار ولدك لك⁽³⁾.. رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط ورجاهما رجال الصحيح [الولد يطلق على الذكر والأنثى، فيقال: أى تقول له الملائكة: هذا باستغفار ولدك لك من بعدك. ودل الحديث على أن الاستغفار يمحو الذنوب ويرفع الدرجات، وأن استغفار الابن لوالده بعد موته كاستغفاره هو لنفسه ولا ينقص من أجره]..

(1) تنقيح القول الحثيث بشرح لباب الحديث ج 1 ص 58.

(2) ضعفاء العقيلي ج 2 ص 285.

(3) مجمع الزوائد ج 10 ص 210.

390- عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: سبع يجرى للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: من علم علماً، أو كرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجداً، أو ورث مصحفاً، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته ⁽¹⁾.. رواه البزار وأبو نعيم في الحلية وقال هذا حديث غريب من حديث قتادة تفرد به أبو نعيم عن العزرمي ورواه البيهقي ثم قال محمد ابن عبد الله العزرمي ضعيف غير أنه قد تقدم ما يشهد لبعضه وهما يعني هذا الحديث والحديث الذي ذكره قبله لا يخالفان الحديث الصحيح فقد قال فيه إلا من صدقة جارية وهو يجمع ما وردا به من الزيادة والنقصان انتهى. قال الحافظ عبد العظيم وقد رواه ابن ماجه وابن خزيمة في صحيحهما بنحوهما من حديث أبي هريرة..

391- عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: من ولد له ولد في الإسلام، فبلغ أن يقول لا إله إلا الله أدخل أباه الجنة ⁽²⁾..

392- وسئل سفيان: كم يدعو الإنسان لوالديه؟ أفى كل يوم مرة أو في كل شهر أو في كل سنة؟ فقال: نرجو أن يجزيه إذا دعا لهما في أواخر التشهدات كما أن الله تعالى قد قال ﴿... يَكْفُرُ بِاللَّيْنِ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ⁽³⁾.. وكانوا يرون الصلاة عليه في التشهد. وكما قال الله تعالى: ﴿... وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ ⁽⁴⁾.. فهم يذكرون في أدبار الصلاة. قلت: ويشبه أن يدعو لهما أيضاً كلما ذكرهما أو ذكر شيئاً من إنعامهما. وسئل أيضاً عن الصدقة عن الميت فقال: كل ذلك واصل إليه ولا شيء أنفع له من الاستغفار، ولو كان شيء أفضل منه لأمركم به في الأبوين..

(1) الترغيب والترهيب ج 1 ص 53 رقم 113.

(2) الكامل في ضعفاء الرجال ج 4 ص 240.

(3) سورة الأحزاب آية 56.

(4) سورة البقرة آية 203.

393- وذكر عن بعض التابعين أن من دعا لأبويه في كل يوم خمس مرات فقد أدى حقهما لقوله تعالى: ﴿... أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَى الْمَصِيرِ ۖ﴾ (١) .. فشكر الله أن تصلى في كل يوم خمس مرات، وكذا شكر الوالدين أن تدعو لهما في كل يوم خمس مرات، والله أعلم..

394- قال أحمد بن عاصم: دخلت يوماً على زهير بن نعيم البابی العابد المجتهد، فقال لي: ألك أب؟ قلت: لا، قال: ألك أم؟ قلت: لا. قال: الله أكبر كم ترى يبقى فرع بعد أصل! يا أخى عليك بالدعاء والابتغال لهما فإنه بلغنى أن الله يرفع الوالدين بدعاء الولد لهما هكذا ورفع يديه..

395- [ومن حديث لرسول الله ﷺ قال]: دعاء الولد للوالدين كالسجاد للزرع لصلاحه (٢) ..

396- عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: إن العبد ليموت والداه أو أحدهما وإنه لهما لعاق، فلا يزال يدعو لهما ويستغفر حتى يكتبه الله برا (٣) ..

397- عن أبي أسيد مالك بن زرارة قال ﷺ: استغفار الولد لأبيه من بعد الموت من البر (٤) ..

398- عن واثلة بن الأسقع: قال رسول الله ﷺ: أربعة دعوتهم مستجابة: الإمام العادل، والرجل يدعو لأخيه بظهر الغيب، ودعوة المظلوم، ورجل يدعو لوالديه (٥) ..

399- قال معروف المرخي: رأى رجل أباه في المنام فقال: يا بنى، مالك لا تأتينا هديتك؟ قال قلت: يا أبت كيف تأتيك هديتنا؟ قال قل: يا مالك يا قدير يا من ليس له

(١) سورة لقمان آية ١٤.

(٢) جامع الأحاديث ج ٤ ص ٣٤٨ رقم ١٢٠٧٦.

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال ج ٧ ص ٢٢٣.

(٤) كنز العمال ج ١٦ ص ١٩٢ رقم ٤٥٤٤٩.

(٥) معرفة الصحابة ج ٥ ص ٢٧١٦ رقم ٦٤٨٧.

نظير، أسألك أن تصلى على محمد وأن تغفر لوالدى إنك على كل شيء قدير. فقالها: فرآه، فقال: يا بني، قد أتتنا هديتك..

400- عن جعفر بن محمد عن أبيه: أن عيسى ابن مريم عليهما السلام، مرَّ بقبر يعذب صاحبه فيه، فجاءه عيسى ابن مريم من [عام] قابل فإذا هو ليس يعذب فقال عيسى: اللهم مررت عام أول بهذا القبر فإذا هو يعذب، ومررت العام فإذا [هو] ليس يعذب؟! فأوحى الله تعالى إليه أنه أدرك له ولد أصلح طريقًا وآوى يتيماً فغفرت له بما عمل ابنه من بعده..

401- عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال عليه السلام: تُعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله، وتعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة، فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضا وإشراقا فاتقوا الله ولا تؤذوا أمواتكم⁽¹⁾..

402- وعن مجاهد قال: إن الرجل ليبشر في قبره بصلاح ولده وتقرُّ بذلك عينه..

403- أنبأنا على بن محمد العكبري عن بعض شيوخنا قال: أنه رأى في منامه كأنه مجتاز لمقبرة مشهورة، تُعرف بمقبرة بنى يقطين، وأنه وقف بها فرأى القبور قد تفتحت وخرج أهلها، وهم منحنون يدورون في المقبرة يلتقطون شيئا [من على الأرض لا أراه و] لا أدري ما هو! فإذا رجل منهم محتب [أي منحنى الظهر] جالس على شفير قبره لا يلتقط معهم!!

فدنوت منه فسلمت، فرد السلام، فقلت: ما لى أراك جالسا فى مكانك وهؤلاء يلتقطون؟

فقال لى: هذه تراحم الناس عليهم، تنثر عليهم فى كل ليلة جمعة ويؤذن لهم فى الخروج فيخرجون فيلتقطون.

(1) كنز العمال ج 16 ص 195 رقم 45485.

فقلت له: فلم لا تلتقط معهم؟!!

فقال: لى فى الدنيا ولد صالح يصلى فى كل ليلة جمعة ركعتين، يقرأ فيها خمسين مرة قل هو الله أحد ويهديها إلىَّ، فأنا مستغن بذلك عن أخذ صدقات الناس. فتنبهت ومضى على ذلك مدة يسيرة، فرأيت فى المنام كأنى مجتاز بتلك المقبرة وكأن القوم على تلك الحال، حتى بلغت إلى موضع الرجل فرأيتَه يلتقط معهم؟!!

فسلَّمت عليه، فرد علىَّ السلام، فقلت له: لم صرت تلتقط؟!!

فقال: ذاك الولد الصالح الذى أخبرتك خبره، جاء إلينا وخرج من الدنيا فانقطعت عنى هديته، فأنا محتاج أن ألتقط معهم من صدقات الناس وانتبهت..

* * *

الفصل الثاني عشر

ما جاء في بر الوالدين بطلاق مَنْ لا يرضيان عنها

404- أنشد أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي :

إذا نكَبَاتُ الدهرِ لم تَعْظِ الفتَى وتقِرْغُ منه لم تعْظُهُ عواذِلُهُ
ومنْ لَمْ يُوَدِّبْهُ أبوه وأُمُّهُ تؤدِّبُهُ روعاتُ الردى وزلازلُهُ
فدعْ عنكَ ما لا تَسْتَطِيعُ ولا تُطِيعُ هواك ولا يغلبُ بحقَّكَ باطلُهُ
قال هلال العيسى: [يجب على الابن البار إذا أمره أبوه وكان صالحا، أن يطلق امرأته التي لم يرتضيها له، أن يطيعه ويطلقها، وإن كان يرغب بها، فليَسَ ذلك عُذْرًا له في الإِمْسَاكِ بها بعد طلب والده ذلك منه، فالأب يتمنى الخير كل الخير لابنه، وينظر بعين البصيرة والخبرة، ويرى ما لا يرى الابن الذي فارقته الحكمة والنظرة الثاقبة، وسيطرت على عقله وقلبه الرغبة، فهناك شواهد لنجاح الحياة الزوجية قلما يعقلها من الأبناء مَنْ جَاءَتْهُ الصواب وشق عصا البر والطاعة].

سُتَبْدَى لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا ويأتيكَ بالأخبارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ
وفي حديث ابن عمر رضى الله عنهما الذى سيأتى ذكره والذى أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه وقال الترمذى حسن صحيح، فيه أنه يجب على الزوج أن يطلق امرأته إذا أمره أبوه بذلك، وفيه أيضا دليل على أنه لا يصح الطلاق إلا من الزوج، فإنه لو كان يصح من غيره لكان الأب أحق بذلك. فإذا لم يصح من الأب لم يصح من غيره بفحوى الخطاب. ولكون الطلاق لمن أمسك بالساق..

405- عن ابن عباس قال: لما أخرج الله ماء زمزم لأم إسماعيل، إذ مرَّ ركب من جرهم قافلين من الشام في الطريق السفلى، فرأى الركب الطير على الماء فقال بعضهم: ما كان بهذا الوادى من ماء ولا أنيس! فأرسلوا جريين لهم حتى أتيا أم إسماعيل فكلماها ثم

رجعا إلى ركبهما فأخبراهم بمكانها، فرجع الركب كلهم حتى حيوها فردت عليهم وقالوا: لمن هذا الماء؟ قالت أم إسماعيل: هولي؟ قالوا لها: أتأذنين لنا أن ننزل معك عليه؟ قالت: نعم، وقد أحبت الأنس [بهم عوضا عن وحدتها وابنها]. فنزلوا وبعثوا إلى أهاليهم فقدموا إليهم وسكنوا تحت الدوح واعتشوا عليها العرش، فكانت معهم هي وابنها حتى ترعرع الغلام وأعجبهم، وتوفيت أم إسماعيل، [وكانوا] يخرجون من الحرم ويخرج معهم إسماعيل فيصيد.

فلما بلغ أنكحوه جارية منهم فأقبل إبراهيم عليه السلام [من الشام] حتى قدم مكة، فوجد امرأة إسماعيل، فسألها عنه فقالت: هو غائب ولم تلن له في القول [ولم تعرفه ولم يعرفها بنفسه]. فقال لها: قولي لإسماعيل قد جاء بعدك شيخ كذا وكذا وهو يقرأ عليك السلام ويقول لك: غير عتبة بيتك فإنني لم أرضها.

وكان إسماعيل عليه السلام كلما جاء أهله سأل هل جاءكم أحد بعدى؟ فلما رجع سأل أهله فقالت امرأته: قد جاء بعدك شيخ فنعتته له، فقال لها إسماعيل: قلت له شيئا؟ قالت: لا، قال: فهل قال لك من شيء؟ قالت: نعم، أقرأى عليه السلام وقولى له غير عتبة بيتك فإنني لم أرضها لك.

قال إسماعيل: أنت عتبة بيتي، فارجعي إلى أهلك. فردها إسماعيل إلى أهلها، فأنكحوه امرأة أخرى، ثم لبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثم رجع إبراهيم فوجد إسماعيل غائبا ووجد امرأته الأخرى، فوقف فسلم، فردت عليه السلام واستنزلته وعرضت عليه الطعام والشراب، فقال: ما طعامكم وشرابكم؟ قالت: اللحم والماء، قال: هل من حب أو غيره من الطعام؟ قالت: لا، قال: بارك الله لكم في اللحم والماء، قال ابن عباس يقول رسول الله ﷺ: لو وجد عندها يومئذ حبا لدعا لهم بالبركة فيه، فكانت أرضا ذات زرع. ثم ولى إبراهيم عليه السلام وقال: قولى له: قد جاءك بعدك شيخ فقال: إني وجدت عتبة بيتك صالحة فاقررها. فرجع إسماعيل عليه السلام إلى أهله فقال: هل جاءك بعد أى أحد؟

فقالت: نعم قد جاء بعدك شيخ كذا وكذا، قال: فهل عهد إليكم من شيء؟

قالت: نعم، يقول: إني وجدت عتبة بيتك صالحة فاقرها..

406- عن عبد الله بن عمر رضى الله عنها قال: كانت تحتى امرأة أحبها، وكان عمر يكرهها، فأمرنى أن أطلقها فأبيت، فأتى النبى فقال: يا رسول الله إن عند عبد الله بن عمر امرأة كرهتها له، فأمرته أن يطلقها فأبى، فقال لى رسول الله ﷺ: يا عبد الله بن عمر، طلق امرأتك. فطلقتها⁽¹⁾..

407- روى أن عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية كانت شاعرة من شوارع العرب، ذات كمال وخلق حسن ورجاحة عقل وجزالة رأى، وكانت من أجل نساء قريش تزوجها عبد الله بن أبى بكر الصديق، فأحبها حباً شديداً فغلبته على رأيه، وشغلته عن صلاته وعن مغازيه ومعاشه وتجارته!

روى أنه مرَّ عليه أبو بكر الصديق ﷺ وهو فى عليّة يناغيها فى يوم جمعة وهو متوجه إلى صلاة يوم الجمعة. فصلى أبو بكر ثم رجع، فوجده لا ينفك يناغيها فقال: يا عبد الله أجمعت؟ قال: أوصلى الناس؟

قال: نعم. لقد شغلتك عاتكة عن المعاش والتجارة. وقد ألهتك عن فرائض الصلاة. طلقها. فطلقها [طاعة لوالده وبراً به ولم يراجعه فى طلبه]. وقال :

يقولون طلقها وخيم مكانها مقيماً عليك الهم أحلام نائم
وإن فراقى أهل بيت جمعهم على كبر منى لإحدى العظام
وتحولت إلى ناحية [من نواحي البيت حتى تنقضى عدتها] وجزع عليها جزعا
شديداً، وامتنع عن الطعام والشراب ! فقيل لأبى بكر: أهلك ولدك. وبينما أبو بكر
يصلى على سطح له فى الليل. إذ سمعه وهو يقول:

أعاتك ما أنساك ما ذر شارق وما ناح قمرى الحمام المطوق⁽²⁾
أعاتك قلبى كل يوم وليلة لديك بما تخفى النفوس معلق

(1) مسند أحمد بن حنبل ج 2 ص 42 رقم 5011.

(2) ما ذر شارق: ما طلعت الشمس حين تشرق.

لَهَا خُلِقَ جَزْلٌ وَرَأَى وَمَنْطِقٌ وَخُلِقَ مَصُونٌ فِي حَيَاءٍ وَمَصْدِقٌ
فَلَمْ أَرِ مِثْلَى الْيَوْمِ طَلَّقَ مِثْلَهَا وَلَا مِثْلَهَا فِي غَيْرِ شَيْءٍ يُطَلَّقُ
فَسَمِعَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه قوله فأشرف عليه وقد رق له فقال: يا عبد الله راجع عاتكة فقال:
أشهدك أني قد راجعتها. وأشرف على غلامه أيمن فقال له: أنت حر لوجه الله تعالى
أشهدك أني قد راجعت عاتكة. ثم خرج إليها يجرى إلى مؤخرة الدار وهو يقول :

أَعَاتَكَ قَدْ طَلَقْتَ فِي غَيْرِ رِيْبَةٍ وَرَوَّجَعْتَ لِلْأَمْرِ الَّذِي هُوَ كَائِنٌ
كَذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ غَادٍ وَرَائِحٌ عَلَى النَّاسِ فِيهِ أَلْفَةٌ وَتَبَائِنٌ
وَمَا زَالَ قَلْبِي لِلتَّفَرُّقِ بَائِنًا فَقَلْبِي لِمَا قَدْ قَرَّبَ اللَّهُ سَاكِنٌ
لِيَهْنِكِ أُنَى لَا أَرَى فِيكَ سَخَطَهُ وَأَنْكِ قَدْ تَمَتَّ عَلَيْكِ الْمَحَاسِنُ
وَأَنْكِ مِمَّنْ زَيَّنَ اللَّهُ أَمْرَهَا وَلَيْسَ لِمَا قَدْ زَيَّنَ اللَّهُ شَائِنٌ

408- سئل أحمد: إذا أمر الرجل ابنه أن يطلق امرأته؟ قال: يطيع أباه إذا كان الأب رجلاً صالحاً، واحتج بحديث ابن عمر رضي الله عنهما حين أمره عمر رضي الله عنه أن يطلق امرأته. قلت: فأمة؟ قال: لا يطيعها في هذا. قال إسحاق: إن فعل ما قاله أبوه وأمه، كان قد أخذ بالفضيلة، ولا يلزمه أن يطلقها على معنى الإيجاب، لأن طلاق المرأة الصالحة ليس من بر الوالدين في شيء..

409- عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن: أن رجلاً أمره أبواه أو أحدهما أن يطلق امرأته، فجعل [عليه] مائة محرر وماله هدياً إن فعل !! فأتى أبا الدرداء فسأله فقال: أوف بنذرِك وبر والديك. فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فحافظ على الباب أو اترك⁽¹⁾.. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه..

410- عن أبي عبد الرحمن قال: كان في الحى فتى فلم تزل به أمه حتى زوجته ابنة عم له فعلق منها معلقاً، ثم قالت له: طلقها، فقال: لا أستطيع علقته منى معلقها ما

(1) المستدرک علی الصحیحین ج 4 ص 169.

أستطيع طلاقها، فقالت: طعامك وشرابك على حرام حتى تطلقها! فخرج إلى أبي الدرداء فذكر له شأنه .

فقال: ما أنا بالذى آمرك أن تعق والدتك، ولا آمرك أن تطلق امرأتك، فأعاد عليه فقال: سمعت النبي يقول: الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأحفظ وإن شئت فضيعه، فرجع وقد طلقها.. [والمعنى أن من أحسن ما يتوسل به العبد لدخول الجنة هو طاعة والده، وبره سبب في الدخول من أوسط أبواب الجنة أى من خير أبوابها وكلهم خير. ورد مرفوعا، الباب الأوسط لبر الوالدين فمن برهما فتح له، ومن عقها أغلق دونه⁽¹⁾. أخرجه ابن شاهين في الترغيب والديلمى]..

411- عن معاوية بن الزبان قال: سمعت عطاء بن أبى رباح واستفتاه رجل فقال: إن أمى أمرتنى بطلاق امرأتى، فزعمت أنه لا يرضيها إلا ذلك، فقال: اتق الله فى أمك ولا تفارق امرأتك..

412- عَنِ الْحَسَنِ [البصري] رضي الله عنه قال: جاء رجل فقال: إن أمه لم تزل به حتى تزوج، ثم قالت لى بعد طلقها! فقال له الحسن: إن طلاق امرأتك ليس فى بر أمك فى شيء..

* * *

(1) آمالى المحاملى ج 1 ص 60.

الفصل الثالث عشر

ما جاء في برِّ الوالدين بالصدقة والتصدق عنهما

413- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من أهل بيت يموت منهم ميت فيتصدقون عنه بعد موته، إلا أهداها له جبريل عليه السلام على طبق من نور، ثم يقف على شفير القبر العميق [فيقول]: هذه هدية أهداها إليك أهلك فاقبلها، فيدخل عليه، فيفرح بها ويستبشر ويحزن جيرانه الذين لا يهدى إليهم شيء⁽¹⁾.. رواه الطبراني في الأوسط وفيه أبو محمد الشامي قال عنه الأزدى كذاب..

414- قال ﷺ: ما على أحدكم إذا أراد أن يتصدق، أن يجعلها لوالديه إذا كانا مسلمين، فيكون لوالديه أجرها، ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شيء⁽²⁾..

415- روى أن رجلاً أخرج زكاة ماله فأعطها أباه، فلما أصبح أعلم بذلك النبي، فقال له: قد كتب لك أجر زكاتك وأجر صلة الرحم فلك أجران⁽³⁾.. ومن جهة المعنى أنه سوغ له الاجتهاد في المعطى فإذا اجتهد وأعطى من يظنه من أهلها فقد أتى بالواجب عليه..

416- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سأل ﷺ فقال: يا رسول الله، إنا نتصدق عن موتانا ونحج عنهم وندعو لهم، فهل يصل ذلك إليهم؟ قال: نعم، إنه ليصل إليهم، وإنهم ليفرحون به كما يفرح أحدكم بالطبق إذا أهدى إليه⁽⁴⁾..

(1) مجمع الزوائد ج 3 ص 138.

(2) جامع الأحاديث ج 6 ص 349 رقم 30.

(3) الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي ج 8 ص 176.

(4) شرح فتح القدير ج 3 ص 143.

417- عن يعقوب الأنباري: رأى بعض الصالحين أباه في النوم، فقال له: يا بني، لم قطعتم هديتكم عنا؟ قال: يا أبت وهل تعرف الأموات هدية الأحياء؟! قال: يا بني، لولا الأحياء لهلك الأموات.. [المقصود بالهدية للميت من صلاة أو صدقة أو قراءة أو دعاء أو ذكر طيب لهم وغير ذلك من أنواع الخير]..

418- روى الدارقطني عن النبي: أن رجلاً سأله فقال: يا رسول الله كان لي أبوان وكنت أبرهما حال حياتهما، فكيف لي بالبر بعد موتهما؟ فقال له النبي: إن من البر بعد البر أن تصلي لهما مع صلاتك، وأن تصوم لهما مع صيامك، وأن تتصدق لهما مع صدقتك⁽¹⁾..

419- قال وكيع: الصوم الصدقة [عنها] والصلاة الاستغفار [لهما]..

420- عن أبي أسيد مالك بن ربيعة قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: نعم، الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقتهما.. رواه ابن حبان في صحيحه وزاد في آخره، قال الرجل: ما أكثر هذا يا رسول الله وأطيبه! قال: فاعمل به⁽²⁾..

421- عن جابر رضي الله عنه: سجد الأبرار يوم القيامة رجل بر والديه بعد موتهما⁽³⁾..

422- عن عقبة بن عامر قال: أتت رسول الله ﷺ امرأة فقالت: أريد أن أتصدق بحلي عن أمي، وقد توفيت، فقال لها رسول الله ﷺ: أمرتك بذلك؟ قالت: لا، قال: فأمسكي عليك مالك فهو خير لك⁽⁴⁾..

423- عن ابن بريدة الأسلمي عن أبيه أن رجلاً سأل النبي فقال: إني تصدقت على أمي بعبد، وإنها ماتت، فقال رسول الله ﷺ: قد وجبت صدقتك وهو لك بميراثك⁽⁵⁾..

(1) اللباب في الجمع بين السنة والكتاب ج 1 ص 329.

(2) غذاء الألباب ج 1 ص 303.

(3) الفردوس بمأثور الخطاب ج 2 ص 324.

(4) كنز العمال ج 6 ص 256 رقم 17064.

(5) مسند الشافعي ج 1 ص 308.

424- وبإسناده عن عطاء بن أبي رباح: أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أبي مات أفأعتق عنه؟ قال: نعم⁽¹⁾..

425- عن معاذ ﷺ قال: أعطاني رسول الله ﷺ عطية فبكيت، فقال: ما يبكيك يا معاذ؟ قلت: يا رسول الله، كان لأمي من عطائي نصيب تتصدق به وتقدمه لآخرتها، وإنها ماتت ولم توص بشيء. قال: فلا يبك الله عينيك، يا معاذ، أتريد أن تؤجر أمك في قبرها؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: فانظر الذي كان يصيبها من عطائك فأمضه لها، وقل: اللهم تقبل من أم معاذ، فقال قائل: يا رسول الله ألمعاذ خاصة أم لأمتك عامة؟ فقال: لأمتي عامة⁽²⁾..

426- عن شرحبيل بن سعد بن عباد: خرج سعد بن عباد مع النبي في بعض مغازيه وحضرت أمه الوفاة بالمدينة، فقيل لها: أوصي؟ فقالت: فيم أوصي؟ المال مال سعد، فتوفيت قبل أن يقدم سعد، فلما قدم ذكر ذلك له، فقال يا رسول الله: هل ينفعها أن أتصدق عنها؟ فقال النبي: نعم، فقال سعد: حائط كذا وكذا صدقة عنها، لحائط سباه⁽³⁾..

427- عن سعد بن عباد: قلت: يا رسول الله: والدتي كانت تتصدق من مالي وتعتق من مالي حياتها فقد ماتت، أرأيت إن تصدقت عنها أو عتقت عنها، أترجو لها شيئاً؟ قال: نعم، قلت يا رسول الله، دلني على صدقة؟ قال: اسق الماء، قال: فما زالت جرار سعد بالمدينة⁽⁴⁾..

428- عن سهل بن عباد قال: جئت رسول الله ﷺ فقلت: توفيت أُمِّي ولم توص ولم تتصدق، فهل يقبل إن تصدقت عنها وهل ينفعها ذلك؟ قال: نعم، ولو بكراع شاة

(1) اللباب في الجمع بين السنة والكتاب ج 1 ص 331.

(2) كنز العمال ج 6 ص 256 رقم 18826.

(3) سنن النسائي ج 4 ص 109 رقم 6477.

(4) شرح الزرقاني على موطأ مالك ج 4 ص 110.

محترق.. قلت لسعد: عند أبي داود حديث غير هذا رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد ابن كريب وهو ضعيف⁽¹⁾..

429- عن ابن طاووس عن أبيه قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن أمي ماتت ولم توص، أفأوصي عنها؟ قال: نعم⁽²⁾..

430- عن عبد الله بن عمرو قال رسول الله ﷺ: إذا تصدق أحدكم بصدقة تطوعاً فيجعلها عن أبيه، فيكون لها أجرها، ولا ينتقص من أجره شيئاً⁽³⁾.. رواه الطبراني في الأوسط وفيه خارجة بن مصعب الضبي وهو ضعيف..

431- قال حكيم :

أَلَمْ تَرَنَا نَهْدِي إِلَى اللَّهِ مَالَهُ	وَأِنْ كَانَ عَنْهُ دَا غَنَى فَهُوَ قَابِلُهُ
وَلَوْ كَانَ يُهْدَى لِلْجَلِيلِ بَدْرُهُ	لَقَصَّرَ عَنْهُ الْبَحْرُ يَوْمًا وَسَاحِلُهُ
وَلَكِنَّا نُهْدِي إِلَى مَنْ نُحِبُّهُ	فَيَرْضَى بِهِ عَنَّا وَيُشْكِرُ فَاعِلُهُ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ كَرِيمٍ فَعَالِهِ	وَالَا فَمَا فِي مُلْكِنَا مَا يُشَاكِلُهُ

* * *

(1) مجمع الزوائد ج 3 ص 138 رقم 1407.

(2) سنن سعيد بن منصور ج 1 ص 148 رقم 420.

(3) مجمع الزوائد ج 3 ص 138 رقم 1407.

الفصل الرابع عشر

ما جاء فى بر الوالدين بالحج عنهما

432- عن ابن بريدة عن أبيه أن امرأة أتت النبي فقالت: يا رسول الله، إنى تصدقت على أُمى بجارية فماتت [أُمى]، قال: قد آجرك الله ورد عليك الميراث، قالت: إن عليها صوما؟ قال: صومى عنها، قالت: إن عليها حجة؟ قال: حجى عنها⁽¹⁾..

433- عن الهيثم أن رجلاً أتى النبي فقال: أبى كان شيخاً كبيراً فلم يستطع أن يحج حتى مات، أفأحج عنه؟ قال ﷺ: أرأيت لو كان على أبك دين ففرضته أما كان يجزئ عنه⁽²⁾..

434- عن جابر قال: استغفر لى رسول الله ﷺ خمسا وعشرين استغفارة كل ذلك أعدها بيدي، يقول: قضيت عن أبك دينه؟ فأقول: نعم، فيقول: غفر الله لك⁽³⁾.. لم يرو هذا اللفظ عن أبى الزبير عن جابر إلا جابر بن يزيد تفرد به شيبان..

435- عن الفضل بن العباس أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن أُمى عجوز كبيرة إن أنا حملتها لم تستمسك، وإن ربطتها خشيت أن أقتلها، قال: أرأيت لو كان على أبك أو أمك دين أكنت تقضيه؟ قال: نعم، قال: فاحجج عن أبك أو عن أمك⁽⁴⁾..

436- عن ابن عباس: جاءت امرأة من خثعم عام الوداع فقالت: يا رسول الله، إن فريضة الله على عباده فى الحج أدركت أبى شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يستوى على الرحلة، فهل يقضى أن أحج عنه؟ قال: نعم⁽⁵⁾..

(1) مسند الرويانى ج 1 ص 92 رقم 63.

(2) كتاب الآثار ج 1 ص 124 رقم 574.

(3) الروض الدانى المعجم الصغير ج 2 ص 87 رقم 832.

(4) شرح مشكل الآثار ج 6 ص 368.

(5) عمدة القارى ج 10 ص 214 رقم 3581.

437- عن أبي رزين العقيلي قلت: يا رسول الله إن أبا شيخ كبير لا يستطيع الحج والعمرة ولا الظعن، قال: حج عن أبيك أو اعتمر⁽¹⁾..

438- عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: إذا حج الرجل عن والديه تقبل منه ومنهما، وابتشر به أرواحهما في السماء⁽²⁾..

439- حدثنا عمران بن يحيى قال: سمعت عمى مروان بن قيس وقد أجزأ الرعية عن أهله في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن أباي توفي وقد جعل عليه أن يمشى إلى مكة وأن ينحر بدنة ولم يترك مالا، فهل يقضى عنه أن يمشى عنه وأن ينحر عنه بدنة من مالي؟ فقال صلى الله عليه وسلم: نعم، اقض عنه وانحر عنه وامش، أرايت لو كان على أبيك دين لرجل فقضيت عنه من مالك أليس يرجع الرجل راضيا، فالله أحق أن يرضى⁽³⁾..

440- عن زيد بن أرقم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من حج عن أحد أبويه أجزأ ذلك عنه، وبشر روحه بذلك في السماء، وكتب عند الله بارا ولو كان عاقا.

وفي رواية قال: من حج عن أحد أبويه كتب لأبيه بحج وله بسبع. أخرجه رزين ولم أجده في الأصول. غريب الحديث⁽⁴⁾..

441- عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من حج عن أبويه، أو قضى عنهما مغرما، بعث يوم القيامة مع الأبرار⁽⁵⁾..

442- قال صلى الله عليه وسلم: من حج عن والديه، كتب له حجتان، حجة له وحجة لو والديه⁽⁶⁾..

(1) مسند الطيالسي ج 1 ص 147 رقم 1091.

(2) كنز العمال ج 16 ص 193 رقم 45457.

(3) معرفة الصحابة ج 5 ص 2633.

(4) جامع الأصول ج 1 ص 410 رقم 210.

(5) سنن الدارقطني ج 2 ص 260 رقم 110.

(6) فضائل مكة والسكن فيها ج 1 ص 36.

443- عن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن جده عليه السلام قال رسول الله ﷺ:
من حج عن والديه بعد وفاتها كتب له عتقا من النار، وكان للمحجوج عنهما أجر حجة
تامة من غير أن ينقص من أجورهما شيئا.

وقال عليه السلام: ما وصل ذو رحم رحمه، بأفضل من حجة يدخلها عليه بعد موته في
قبره⁽¹⁾..

444- قال عليه السلام: من حج عن أبويه أو قضى عنهما مغرمًا، بعث يوم القيامة مع
الأبرار⁽²⁾.. رواه الدارقطني من حديث ابن عباس..

445- عن جابر عليه السلام أنه ﷺ قال: من حج عن أبيه أو أمه، فقد قضى عنه حجته،
وكان له فضل عشر حجج⁽³⁾..

446- عن زيد بن أرقم قال رسول الله ﷺ: إذا حج الرجل عن والديه تقبل منه
ومنها واستبشرت أرواحهما في السماء وكتب عند الله تعالى برا⁽⁴⁾..

447- عن ابن سيرين أن رجلا نذر: كلما ولد له ولد [وكبر] حتى يحلب ويصر
فيشرب ويسقى أباه إلا حج وحج به، قال: ففعل ذلك بأولاده، ثم ولد له ولد، فبلغ حتى
حلب وصر وشرب وسقى أباه، فمات أبوه قبل أن يحج به، فسأل [الابن عن نذر أبيه]
النبي، فقال: حج عن أبيك⁽⁵⁾..

448- روى بريدة أنه قال: أتت النبي امرأة فقالت: يا رسول الله، إن أمي ماتت ولم
تحج، قال: حجى عن أمك⁽⁶⁾.. ولأنه حق تدخله النيابة لزمه في حال الحياة، فلم يسقط
بالموت، كدين الأدمى يجب قضاؤه عنه..

(1) شعب الإيمان ج 6 ص 205 رقم 7912.

(2) سنن الدارقطني ج 2 ص 260.

(3) شرح فتح القدير ج 3 ص 159.

(4) سنن الدارقطني ج 2 ص 259 رقم 109.

(5) كنز العمال ج 16 ص 317 رقم 46593.

(6) المجموع ج 7 ص 77.

449- عن سنان بن عبد الله الجهني أنه حدثته عمته أنها أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، توفيت أُمِّي وعليها المشي إلى الكعبة نذرا، فقال رسول الله ﷺ: هل تستطيعين أن تمشي عنها؟ فقالت: نعم يا رسول الله، قال: فامشي عن أمك، قالت: أيجزئ ذلك عنها يا رسول الله؟ قال: نعم، أرايت لو كان عليها دين لرجل ثم قضيته عنها هل كل يقبل منك؟ فقالت: نعم، فقال رسول الله ﷺ: فالله أحق بذلك⁽¹⁾..

* * *

(1) الكامل في ضعفاء الرجال ج 3 ص 440 رقم 856.

الفصل الخامس عشر

ما جاء فى بر الوالدين بزيارة قبرهما

450- عن جابر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: لا بر أفضل من بر الأموات، ولا يصل الأموات إلا مؤمن⁽¹⁾..

451- عن أبى هريرة قال رضي الله عنه: من زار قبر والديه أو أحدهما فى كل جمعة مرة، غفر الله له وكتب برا⁽²⁾..

452- عن أبى بكر قال رضي الله عنه: من زار قبر أبويه أو أحدهما فى كل يوم جمعة فقرأ عنده يس غفر له⁽³⁾..

453- (غفر له) أى الصغائر وكتب برا بوالديه وإن كان عاقا لهما فى حياتهما وفيه أن الميت تنفعه القراءة عنده وكذا الدعاء والصدقة ولا ينافيه ﴿ وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾⁽⁴⁾.. لا أجر للإنسان إلا أجر عمله كما لا وزر عليه إلا وزر عمله، وما يصل للإنسان مما ذكر ليس من قبيل الأجر على العمل [لذا] فلا يرد نقضا (عن أبى بكر) بإسناد ضعيف. قال ابن القيم: هذا نص فى أن الميت يشعر بمن يزوره، وإلا لما صح تسميته زائرا، وإذا لم يعلم المزور بزيارة من زاره لم يصح أن يقال: زاره، هذا هو المعقول عند جميع الأمم وكذا السلام فإن السلام على من لا يشعر محال (الحكيم) الترمذى عن أبى هريرة وإسناده ضعيف⁽⁵⁾..

(1) الكامل فى ضعفاء الرجال ج 7 ص 193.

(2) كنز العمال ج 16 ص 195 رقم 45487.

(3) كنز العمال ج 16 ص 195، 199 رقم 45486، 45543.

(4) سورة النجم آية 39.

(5) التيسير بشرح الجامع الصغير ج 2 ص 420.

454- عن ابن عمر قال رضي الله عنهما: من زار قبر والديه أو أحدهما احتساباً كان كعدل حجة مبرورة، ومن كان زواراً لهما زارت الملائكة قبره⁽¹⁾..

455- قال يحيى بن بسطام: حدثني عثمان بن سودة الطفاوى وكانت أمه من العابدات يقال لها راهبة، فقال: لما احتضرت رفعت رأسها إلى السماء فقالت: يا ذخرى وذخيرتى ويا من عليه اعتمادى فى حياتى وبعد موتى، لا تخذلنى عند الموت، ولا توحشنى فى قبرى، فماتت فكنت آتيتها فى كل جمعة فأدعو لها وأستغفر لها ولأهل القبور، فرأيتها ليلة فى منامى فقلت: يا أماه كيف أنت؟ قالت: أى بنى إن للموت لكربة شديدة، وأنا بحمد الله لفى برزخ محمود، نفترش فيه الريحان ونتوسد فيه السندس والاستبرق إلى يوم النشور، فقلت: ألك حاجة؟ قالت: نعم، لا تدع ما أنت عليه من زيارتنا والدعاء لنا، فإنى لأبشر بمجيئك يوم الجمعة إذا أقبلت من عند أهلك، يقال لى: يا راهبة، ابنك قد أقبل من أهله زائراً لك، فأسر بذلك ومن حولى من الأموات⁽²⁾..

456- أخرج الطبرانى وابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس أن النبى لما أقبل من غزوة تبوك اعتمر فلما هبط من ثنية عسفان، أمر أصحابه أن يستندوا إلى العقبة حتى يرجع إليهم، فذهب فنزل على قبر أمه آمنة فناجى ربه طويلاً ثم بكى فاشتد بكاءه فبكى هؤلاء لبكائه فقالوا: ما بكى نبى الله ﷺ هذا البكاء إلا وقد حدث فى أمته شيء لم يطقه فلما بكى هؤلاء قام فرجع إليهم فقال:

ما يبكيكم؟ قالوا: يا نبى الله ما هذا البكاء إلا وقد حدث فى أمتك شيء لم تطقه قال: لا، وقد كان بعضه، لكننى نزلت على قبر أمى، فدعوت الله ليأذن لى فى شفاعتها يوم القيامة، فأبى أن يأذن لى، فرحمته وهى أمى فبكيت، وجاءنى جبريل عليه السلام فقال: ﴿وَمَا كَأَنَّ اسْتَغْفَارَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ

(1) كنز العمال ج 16 ص 199 رقم 45544.

(2) البر والصلة لابن الجوزى.

تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ (1) .. فتبرأ من أمك كما تبرأ إبراهيم من أبيه، فرحمتهما وهي أُمِّي (2) ..

457- [وفي قول آخر من] حديث مسروق عن عبدالله قال: كنا مع النبي فجلس على قبر بين القبور فبكى حتى ارتفع نحيبه، ففزعنا لذلك، فلما قام قال له عمر رضي الله عنه: مما بكيت يا رسول الله؟! قال له: على قبر آمنة بنت وهب، استأذنت ربي عز وجل في الاستغفار لها، فأنزل على ﷺ مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ (3) .. فدخلني ما يدخل الولد لوالديه فبكيت (4) ..

458- أنشد علي بن كنداس:

زُرُوا لِدَيْكَ وَقِفْ عَلَى قَبْرَيْهِمَا	فَكَأَنَّنِي بِكَ قَدْ نُقِلْتَ إِلَيْهِمَا
لَوْ كُنْتَ حَيْثُ هُمَا وَكَانَا بِالْبَقَا	زَارَاكَ حَبَوًّا لَا عَلَى قَدَمَيْهِمَا
مَا كَانَ ذَنْبُهُمَا إِلَيْكَ وَمَا طَالَ مَا	مِنْ حَاكَ مَحْضِ الْوُدِّ مِنْ نَفْسَيْهِمَا
كَانَا إِذَا مَا أَبْصَرَا بِكَ عِلَّةَ	جَزَعَا لِمَا تَشْكُو وَشَقَّ عَلَيْهِمَا
كَانَا إِذَا سَمِعَا أَنِّي نَكَ أَسْبَلَا	دَمْعِيهِمَا أَسْفَا عَلَى خَدَيْهِمَا
وَتَمَنَّى لَوْ صَادَفَا لَكَ رَاحَةً	بِجَمِيعِ مَا يَحْوِيهِ مِلْكُ يَدَيْهِمَا
فَنَسِيتَ حَقَّهُمَا عَشِيَّةَ أُسْكُنَا	دَارَ الْبَقَا وَسَكَنْتَ فِي دَارَيْهِمَا
فَلْتَلْحَقْنَهُمَا غَدًا أَوْ بَعْدَهُ	حَتْمًا كَمَا لَحَقَا هُمَا أَبَوَيْهِمَا
وَلْتَنْدَمَنَّ عَلَى فِعَالِكَ مِثْلَ مَا	نَدِمَا هُمَا نَدِمَا عَلَى فِعَالِيهِمَا
بُشْرَاكَ لَوْ قَدِمْتَ فِعَالًا صَالِحًا	وَقَضَيْتَ بَعْضَ الْحَقِّ مِنْ حَقِّيهِمَا
وَسَهَرْتَ تَدْعُو اللَّهَ يَعْضُو عَنْهُمَا	وَأُطَلَّتْ فِي الصَّلَوَاتِ مِنْ ذِكْرِيهِمَا

(1) سورة التوبة آية 114 .

(2) المعجم الكبير ج 11 ص 374 رقم 12049 .

(3) سورة التوبة آية 113 .

(4) الناسخ والمنسوخ للنحاس ج 1 ص 550 .

وقرأت من آى الكتاب بقدره ما تستطيعه وبعثت ذاك إليهما
وبذلت من صدقات مالك مثل ما بدلا هما أيضا على أبويهما
فاحفظ حُفظت وصيتي واعمل بها فعسى تنال الفوز من بريهما

* * *

الفصل السادس عشر

ما جاء في بر الوالدين بصلة مَنْ كان يوادهم

459- عن كعب الأحبار قال: في كتاب الله الذي أنزل على موسى عليه السلام احفظ ود أبيك لا تخفه فيطفئ الله نورك..

460- [وفي قول آخر] عن كعب الأحبار قال: في كتاب الله الذي أنزل على موسى عليه السلام: احفظ ود أبيك لا تطغى فيطفئ الله نورك..

461- عن ابن أبي حسين قال رسول الله ﷺ: لا تقطع من كان يصل أباك، يطفئ بذلك نورك. إن ودك ود أبيك⁽¹⁾..

462- عن عروة قال: مكتوب في التوراة: أحب حبيب أبيك..

463- عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رجلا من الأعراب لقيه بطريق مكة، فسلم عليه عبد الله وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه .

فقال ابن دينار فقلنا له: أصلحك الله إنهم الأعراب وهم يرضون باليسير.

فقال عبد الله: إن أبا هذا كان وادا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإني سمعت رسول الله

ﷺ يقول: إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه⁽²⁾.. رواه مسلم في الصحيح..

وأخرج ابن حبان في صحيحة عن أبي بردة قال: قدمت المدينة فأتاني عبد الله بن

عمر رضي الله عنه فقال: أتدرى لم أتيتك؟

قلت: لا.

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أحب أن يصل أباه في قبره، فليصل إخوان

أبيه. وأنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخاء وود فأحببت أن أصل ذاك..

* * *

(1) مصنف ابن أبي شيبة ج 5 ص 307 رقم 26362.

(2) الألباب شرح منظومة الآداب ج 1 ص 303.

الفصل السابع عشر

ما جاء فى جزاء النظر برا للوالدين

464- عن عائشة رضى الله عنها قال ﷺ: النظر فى ثلاثة أشياء عبادة: النظر فى وجه الأبوين، وفى المصحف، وفى البحر⁽¹⁾..

465- قال أبو محفوظ معروف بن الفيرزان: النظر فى المصحف عبادة، والنظر إلى الوالدين [برضا] عبادة، والقعود فى المسجد عبادة..

466- عن ابن عمر ؓ قال ﷺ: خمس من العبادة: النظر إلى المصحف، والنظر إلى الكعبة، والنظر فى زمزم وهى تحط الخطايا، والنظر إلى الوالدين، والنظر فى وجه العالم⁽²⁾..

قال هلال العيسى: النظر للمصحف: إنما صار عبادة لأنه عبد الله بتلك النظرة موقناً بأن ما فى هذا الكتاب هو كلام الله. والنظر إلى الكعبة: وهى أعظم وأكرم بيت لله فى الأرض، نظرة إكبار وإجلال لا عبادة، محباً لها متلذذا برؤيتها متشوقاً إلى رحمة ربها. والنظر إلى زمزم: بعين القدرة الإلهية فاعتبر بقدرة الله التى ليس لها حدود، وإنه القادر على أن يخرج الماء من الصخر الجلمود. والنظر إلى أبويه نظرة من كشف عن بصيرته وأطاع الله فيهما ورحمهما، فذل لهما فعطف ورقاً وشكر الله لحسن تربيتهما إياه تعظيماً لحرمتهم وإكراماً لهما. والنظر إلى وجه العالم العامل بعلمه الصادق بعمله، التقى النقى، التارك للنفاق والمداهنة والغلو والعلو فى الدنيا ومناصبها وولاتها، وإلى ما ألبسه الله من نور العلم والصلاح فوقه..

467- عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: إذا نظر الولد إلى والده فسرَّ به، كان للولد عتق نسمة. قيل: يا رسول الله، وإن نظر ثلاثمائة وستين نظرة؟ قال: الله أكبر من ذلك⁽³⁾..

(1) كنز العمال ج 16 ص 199 رقم 45536.

(2) جامع الأحاديث ج 4 ص 292 رقم 11671.

(3) الدر المنثور ج 5 ص 264.

468- عن ابن عباس قال عليه السلام: ما من ولد بار ينظر إلى والديه نظرة رحمة، إلا كتب الله [له] بكل نظرة حجة مبرورة، قالوا: وإن نظر كل يوم مائة مرة؟ قال: نعم، الله أكثر وأطيب⁽¹⁾ ..

469- ما من رجل ينظر إلى وجه والديه أى أصليه وإن عليا، نظرة رحمة، إلا كتب الله له بها حجة مقبولة مبرورة، أى ثوابا مثل ثوابها. وهذا ترغيب فى بر الوالدين وتحذير شديد من عقوقهما ..

470- قال الحسن بن عمرو: سمعت بشر بن الحارث يقول: [جلوس] الولد بالقرب من أمه حيث تسمع نفسه، أفضل من الذى يضرب بسيفه فى سبيل الله عز وجل، والنظر إليها أفضل من كل شىء ..

471- قال عمارة: سمعت أبى يقول: ويحك أما شعرت أن نظرك إلى وجه والدتك عبادة، فكيف البر بها؟

* * *

(1) كنز العمال ج 16 ص 199 رقم 45535.

الفصل الثامن عشر

ما جاء في إجابة دعاء مَنْ بَرَّ بوالديه

472- عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي: إن ثلاثة نفر من بنى إسرائيل انطلقوا في سفر، فأخذتهم السماء فأووا إلى غار في جبل فدخلوه. ف وقعت صخرة على باب ذلك الغار، فقال بعضهم لبعض: لستم على الطريق، وقد بليتكم بأمر عظيم لا يمكنكم فيه إلا أن تدعوا الذى أبلاكم به، فلينظر كل رجل منكم أفضل عمل عمله فليذكره ثم ليدعو الله.

فقال أحدهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لى أبوان، وكانت لى غنم أرعى قريبا وإنى تباعدت، فجئت ذلك ليلة وقد احتبست، فحلبت إناء من لبن وأتيت أبوى فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما من نومهما، فبات الإناء على يدي حتى استيقظا متى استيقظا، اللهم إن كنت تعلم أنى إنما فعلت ذلك التماس مرضاتك ومخافة سخطك فافرج عنا هذا الحجر؟

قال رسول الله ﷺ: فانقض الحجر حتى رأوا الضوء ورجوا .

وقال الآخر: اللهم إنك تعلم أنه كانت لى بنت عم لم يكن فى الأرض أحد أحب إلى منها، فأردتها على نفسها وجعلت لها مائة دينار، فلما جلست منها مجلس الرجل من امرأته استقبلتها رعدة وقالت: إنى والله ما عملت خطيئة قط، وما حملنى عليه إلا الجهد [أى الحاجة، وشدة الفقر والعود للمال]، فقمت وقلت: هى لك، اللهم إن كنت تعلم أنى إنما قمت عنها التماس مرضاتك ومخافة سخطك فافرج عنا هذا الحجر.

فانحط الحجر حتى رأوا الضوء .

قال الثالث: اللهم إن كنت تعلم أنى استأجرت رجالاً بأجر معلوم، وكان فيهم رجل يعمل عمل رجلين، فلما أعطيتهم أجورهم قال: أعطنى عمل رجلين؟ فقلت: إنما لك عمل رجل، فأبى وتركه عندى وذهب، فلم أزل أعمل له فيه حتى اجتمع ستون من

بين ثور وبقرة وعبد وأمة، فجاء بعد حين فقال: يا عبد الله أما آن لك أن تعطيني أجرى؟ قلت: من أنت؟ قال: أنا الذى عملت معك عمل رجلين فلم تعطيني إلا عمل رجل واحد فتركته، فقلت: هذه ستون من بين ثور وبقرة وعبد وأمة، قال: حبستنى ما حبستنى وتسخر بي. قلت: هو لك فخذ. فأخذه. اللهم إن كنت تعلم أنى إنما فعلت ذلك التماس مرضاتك ومخافة سخطك فافرج عنا هذا الحجر. فقال رسول الله ﷺ: فزال الحجر وانطلقوا يمشون⁽¹⁾..

473- [اعلم أنه قد]: سأل كل واحد منهم بعمل عظيم أخلص فيه الله، لأن ذلك العمل مما يحبه الله ويرضاه محبة تقتضى إجابة صاحبه. هذا سأل ببه بوالديه. وهذا سأل بعفته. وهذا سأل بأمانته وإحسانه..

* * *

(1) مسند البزار ج 8 ص 230 رقم 3288 الفوائد لتمام الرازى ج 1 ص 171.

الفصل التاسع عشر

ما جاء عن البر من أقوال

أقوال في بر الأم :

474- عن سعيد بن أبي هلال، أنه بلغه أن أول شيء نزل من الله على موسى عليه السلام:
بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب الله في الألواح بيده لعبده موسى عندى، لا تشرك بى شيئاً. ولا تحلف باسمى كاذباً، فإنى لا أزكى ولا أرحم من يحلف باسمى كاذباً. قال:
يا رب أوصنى؟ قال: أوصيك بأملك، قال: يا رب أوصنى؟ قال: أوصيك بأملك، قال:
يا رب أوصنى؟ قال: أوصيك بأملك، قال: يا رب أوصنى، قال: أوصيك بأبيك. قال:
يا رب أوصنى؟ قال: أوصيك ببني جنسك كلهم، قال: وكيف أستوصى ببني جنسى كلهم؟! قال: تحب لهم ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك..

475- قال تعالى لداود عليه السلام: يا داود، عليك بثلاث خلات: الصبر على كلام الضعفاء، وأكثر من التذلل للوالدين، وأكثر وضع جناحك للعالم لتتل من علمه، فإنك تنال بذلك شرفاً في الدنيا وشرفاً في الآخرة..

476- عن عطاء بن دينار الهذلى أن رجلاً قال: يا رسول الله، أى الوالدين أعظم حقاً؟ قال: التى حملته بين الجنين، وأرضعته بالثديين، وحضنته على الفخذين، وفدته بالوالدين⁽¹⁾..

477- عن قتادة عن كعب قال موسى عليه السلام حين ناجاه ربه تعالى: قال: إلهى فما جزاء من بر بوالديه؟ قال: أسكنه جنتى وأعطيه من الثواب ما يرضى..

478- قال هشام بن حسان: قلت للحسن [البصري]: إني أتعلم القرآن وإن أُمى تنتظرني بالعشاء، فقال الحسن: تعش العشاء مع أمك تقر بك عينها، أحب إليّ من حجة تحجها تطوعاً..

(1) المراسيل لأبى داود ج 1 ص 335 رقم 486.

479- عن طلق بن على قال رضي الله عنه: لو أدركت والدى أو أحدهما وقد افتتحت صلاة العشاء وقرأت الفاتحة فدعنتى أُمى: يا محمد، لأجبتها⁽¹⁾..

480- عن العوام قال: سألت مجاهدًا قلت له: تقام الصلاة وتدعونى والدتى، قال: أجب والدتك..

481- قال بلال الخواص: رأيت الخضر فى النوم، فقلت له: ما تقول فى بشر؟ قال: لم يخلف بعده مثله، قلت: فما تقول فى أحمد بن حنبل؟ قال: صديق، قلت: فما تقول فى أبى ثور؟ قال: رجل طالب حق، قلت: فأنا بأى وسيلة رأيتك؟ قال: ببرك أملك..

482- عن أبى الوليد قال: اختصم عم وأم إلى عمر رضي الله عنه، قال عمر: جذب أملك خير لك من خصب عمك⁽²⁾..

483- حدثنا أبو نوفل فقال: جاء رجل إلى عمر رضي الله عنه فقال: إنى قتلت نفسًا، قال: ويحك، أخطأ أم عمد؟ [قال: خطأ. قال:] هل من والدك أحد حى؟ قال: نعم. قال: أملك؟ قال: لا والله، إنه لأبى. قال: انطلق فبره وأحسن إليه. فلما انطلق قال عمر: والذى نفس عمر بيده، لو كانت أمه حية فبرها وأحسن إليها، رجوت أن لا تطعمه النار أبدًا..

484- لما ماتت أم إياس بن معاوية قاضى البصرة: بكى عليها، فقيل له فى ذلك، فقال: كان لى بابان مفتوحان إلى الجنة فغلق أحدهما. فقال له أبوه: إن الناس يلدون أبناء وولدت أنا أبا..

485- عن أبى سالم الجيشانى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن امرأة من عك، ظعنوا فى يوم شديد الحر ومعها ابنها وأم لها، فانطلقت إلى ابنها فأعطته رجلاً من قومها، وجعلت أمها على فخذيها بينها وبين الأرض! فغفر لها⁽³⁾..

(1) كنز العمال ج 16 ص 196 رقم 45500.

(2) [الخصب: نقيض الجذب، وهو كثرة العشب، ورفاهة العيش].

(3) الجامع فى الحديث ج 1 ص 163 رقم 99.

486- عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: نمت فرأيتنى فى الجنة فسمعت صوت قارئ فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان، فقال رسول الله ﷺ: كذلك البر كذلك البر، وكان أبر الناس بأمه⁽¹⁾..

487- قيل: كان طلق بن حبيب من العباد العلماء، وكان يقبل رأس أمه، وكان لا يمشى فوق ظهر بيت هى تحته إجلالاً لها..

وكان حيوة بن شريح: وهو أحد أئمة المسلمين، يقعد فى حلقة يعلم الناس، فتقول له أمه: قم يا حيوة فالتق الشعر للدجاج؟ فيقوم ويترك العلم..

488- عن طيسلة بن مياس قال: كنت مع الحدثان فأصبت ذنوباً لا أراها إلا من الكبائر، فلقيت ابن عمر رضى الله عنهما، فقلت: إني أصيب ذنوباً لا أراها إلا من الكبائر، قال: وما هى؟ قلت: كذا وكذا، قال: ليس من الكبائر، هى تسع وسأعدهن عليك: الإشراك بالله، وقتل النسمة بغير حلها، والفرار من الزحف، وقذف المحصنة، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم ظلماً، والإلحاد فى المسجد الحرام، والذى يستسحر [أى يعمل السحر] وبكاء الوالدين من العقوق [أى من يتسبب بفعله فى بكاء والديه أو أحدهما].

وقال طيسلة: لما رأى ابن عمر ؓ فرقى قال: أتخاف النار أن تدخلها؟ قلت: نعم. قال: وتحب أن تدخل الجنة؟ قلت: نعم. قال: أحيى والداك؟ قلت: عندى أمى، قال: فوالله لئن أنت ألنت لها الكلام وأطعمتها الطعام لتدخلن الجنة ما اجتنبت الموجبات..

489- عن أنس ؓ أن رجلاً أتى النبى فقال: إن أمى أصابها جهد فلم تفطر حتى ماتت، أفأصلى عليها؟ فقال النبى: اذهب فصل عليها فإن أمك قتلت نفسها⁽²⁾..

490- عن أبى مسلم ؓ أن رجلاً من أصحاب النبى قال: قلت: يا رسول الله: علمنى ما يدخلنى الجنة؟ قال: حية والدتك فبرها تكون قريباً من الجنة. قلت: ليس لى والدته، قال: فأطعم الطعام وأطب الكلام⁽³⁾..

(1) حلية الأولياء ج 1 ص 356.

(2) الفوائد لتهام الرازى ج 2 ص 161 رقم 1425.

(3) معرفة الصحابة ج 6 ص 3009 رقم 6984.

491- عن بكر بن سواده أن رجلاً أتى إلى النبي وقال: يا نبي الله، إن لي مالا يشغلني، فأخبرني بعمل يقربني إلى الجنة؟ فقال: هل [والدتك] حية؟ قال: لا، قال: لو [كانت] والدتك حية أخبرتك، ولكن ابذل الطعام وألن الكلام⁽¹⁾..

492- عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: من قبل بين عيني أمه كان له ستر من النار⁽²⁾.. إسناده غير قوى والله أعلم وأخرجه البيهقي وضعفه..

493- روى عن أبي يزيد البسطامي أنه قال: كنت ابن عشرين سنة فدعتني أُمِّي لتمريضها ذات ليلة، فأجبتها فجعلت إحدى يدي تحت رأسها والأخرى أمرها على جسدها وأقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾⁽³⁾.. فخدرت يدي فقلت: اليد لي، وحق الوالدة لله، فصبرت على ذلك كله حتى طلع الفجر، ولم أنتفع بعد ذلك بيدي، فلما مات رآه بعض أصحابه في المنام وهو يطير في الجنان ويسبح الرحمن، فقال له: بم نلت هذه الرحمة؟! قال: ببر الوالدة والصبر على الشدائد..

494- عن وهب بن منبه قال: إن موسى عليه السلام سأل ربه عز وجل فقال: يا رب بما تأمرني؟ قال: بأن لا تشرك بي شيئاً، قال: وبم؟ قال: وببر والدتك، قال: وبم؟ قال: بوالدتك، قال: وبم؟ قال: بوالدتك..

495- روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رجلان من أصحاب النبي ﷺ، أبر من كان في هذه الأمة بأمرهما: عثمان بن عفان وحارثة بن النعمان، فأما عثمان فإنه قال: ما قدرت أن أتأمل أُمِّي منذ أسلمت! وأما حارثة فإنه كان يفلئ رأس أمه، ويطعمها بيده، ولم يستفهمها كلاماً قط تأمر به حتى يسأل من عندها بعد أن يخرج، ماذا قالت أُمِّي؟⁽⁴⁾..

(1) الجامع في الحديث ج 1 ص 162 رقم 98.

(2) شعب الإيمان ج 6 ص رقم 7861187.

(3) سورة الإخلاص آية 1.

(4) البر والصلة لابن الجوزي.

496- كان محمد بن سيرين إذا دخل على أمه لم يكلمها بلسانه كله تخشعاً لها، دخل رجل على ابن سيرين وهو عند أمه [على حالته التي ذكرت] فقال: ما شأن محمد أيشتكى شيئاً؟

فقالوا: لا، لكنه هكذا يكون إذا كان عند أمه..

- وعن هشام قال: كانت حفصة بنت سيرين تترحم على [ابنها] الهذيل وتقول: كان يعمد إلى القصب فيقشره ويجففه في الصيف، فإذا كان الشتاء جاء حتى يقعد خلفي وأنا أصلي فيوقد وقوداً رقيقاً ينالني حره ولا يؤذيني دخانه، وكنت ألتفت من الصلاة فأقول: يا بني [جاء] الليل اذهب إلى أهلك؟ فيقول: يا أماه. فأعلم ما يريد فأتركه، فلا يزال كذلك حتى يمضي من الليل، فأقول: يا بني الحق بأهلك، فيقول: دعيني فأعرف ما يريد، فأدعه، فربما كان ذلك حتى يصبح، وكان يبعث إليّ بحلبة الغداة، فأقول: يا بني، تعلم أني لا أشرب نهارة فيقول: إن أطيب اللبن ما بات في الضرع، فلا أحب أن أوتر غيرك فابعثي به إلى من أحببت. [فلما مات] وجدت عليه وجداً شديداً، فقامت ليلة أصلي فافتتحت بسورة النحل، فأتيت على قوله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ....﴾ (٩٦) ﴿١﴾.. فذكرت هذيلاً فذهب ما كنت أجد..

- وعن الأشجعي قال: استسقت أم مسعر ماء في بعض الليل فذهب مسعر فجاءها بشربة فوجدها قد ذهب بها النوم، فبات بالشربة عند رأسها حتى أصبح..

- وعن ظبيان بن علي الثوري قال: لقد نامت [أمي] ليلة وفي صدرها عليه شيء فقام على رجله قائماً يكره أن يوقظها ويكره أن يقعد حتى إذا ضعف جاء غلامان من غلمانها فما زال معتمدا عليهما حتى استيقظت، وإن كان ليشتري البقل فينتقي لها طاقة طاقة حتى يضعه بين يديها وكان يسافر بها إلى مكة، فإذا كان يوم حار حفر بئراً ثم جاء بنطع فصب فيه الماء ثم يقول لها: ادخلي تبردي في هذا..

(1) سورة النحل آية 96.

497- عن طلحة بن مسكين عن طلحة بن البراء، أنه أتى النبي فقال: ابسط يدك أبايعك؟ قال: وإن أمرتك بقطيعة والديك؟ قلت: لا. ثم عدت له فقلت: ابسط يدك أبايعك؟ قال: علام؟ قلت: على الإسلام، قال: وإن أمرتك بقطيعة والديك؟ قلت: لا. ثم عدت الثالثة وكانت له والدته وكان من أبر الناس بها، فقال له النبي: يا طلحة، إنه ليس في ديننا قطيعة الرحم، ولكن أحببت أن لا يكون في دينك ريبة. فأسلم فحسن إسلامه ثم مرض، فعاده النبي فوجده مغمى عليه، فقال النبي: ما أظن طلحة إلا مقبوضاً من ليلته، فإن أفاق فأرسلوا إليّ؟ فأفاق طلحة في جوف الليل فقال: ما عادني النبي؟

قالوا: بلى، فأخبروه بما قال، فقال: لا ترسلوا إليه في هذه الساعة فتلسعه دابة أو يصيبه شيء، ولكن إذا فقدت فأقرئوه مني السلام، وقولوا له: فليستغفر لي. فلما صلى النبي الصبح سأل عنه، فأخبروه بموته وبما قال، فرفع النبي يده وقال: اللهم ألقه يضحك إليك وأنت تضحك إليه⁽¹⁾.. رواه الطبراني..

498- وقال البرائي: لما مات أبي كنت صبياً، فجاء الناس يعزوني، وكان منهم بشر بن الحارث فقال لي: يا بني، إن أباك كان رجلاً صالحاً وأرجو أن تكون خلفاً منه، بر والدتك ولا تعقها ولا تحالفها. يا بني، الزم السوق فإنها من العافية ولا تصحب من لا خير فيه. فلما قام بشر قام إليه رجل فقال: يا أبا نصر أنا والله أحبك؟ فقال: [أحبك الله] وكيف لا تحبني ولست لي بجار ولا قرابة؟!

499- قال محمد بن عمر بن حرب: حدثنا بعض أصحابنا عن ابن عون، أنه نادته أمه فأجابها فعلا صوته صوتها، فأعتق رقبتين..

500- قال مفضل: حبس ابن هبيرة منصوراً شهراً يريد على القضاء فأبى عليه، وكان أبو بكر بن عياش يقول: ربما كنت مع منصور في منزله جالساً فتصيح به أمه وكانت فظة غليظة فتقول: يا منصور، يريدك ابن هبيرة على القضاء فتأبى عليه؟! وهو واضع لحيته على صدره ما يرفع طرفه إليها..

(1) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج 9 ص 365.

501- قال الحسن بن الربيع يوماً لرجل عنده: من يقدر يقول إن أحداً أصبر على ما صبر عليه أبو حنيفة؟! إنسان يقال له: خذ الدنيا، فيقول: لا آخذها! ولقد سمعته يقول: ما شيء محنت به أشد على من غم أُمى حين [بلغها أنى] ضربت. فقالت لى: يا نعمان إن علما أكسبك مثل هذا لحق لك أن تفر منه فقلت لها: يا أماه لو أردت به الدنيا لوصلت إليها، ولكن أردت أن يعلم الله أنى قد صنت العلم ولم أعرض نفسى فيه للهلكة. [بالله أين من يعرف قيمة مثل هذا القول فيقتدى به من رويضة علماء الدنيا] ..

502- توفي رجل من قريش كان له ابن، وقد كان عمر ﷺ يعجب بذلك الغلام. فمرّ ذلك الغلام على عمر في المسجد بعد وفاة أبيه بليالٍ، فقال له عمر: ما فعلت يا ابن أخى فى أمك؟ قال: فعلت يا أمير المؤمنين خيراً، خيرونى بين أن يسترقوا أُمى أو يخرجونى من ميراثى من أبى؟ فكان ميراثى من أبى أهون على من أن يسترقوا أُمى. قال عمر: أو لست إنما أمرت فى ذلك بقيمة عدل، ما أرى رأياً ولا أمر أمراً إلا قلتم فيه، ثم قام فجلس على المنبر فاجتمع الناس إليه حتى إذا رضى من جماعتهم قال: أيها الناس، إنى قد كنت أمرت فى أمهات الأولاد بأمر قد علمتموه، ثم قد حدث لى رأى غير ذلك، فأيا امرئ كانت عنده أم ولد فملكها بيمينه ما عاش، فإذا مات فهى حرة، لا سبيل لأحد عليها..

503- عن مالك ﷺ قال: بلغنى أن طلق بن حبيب كان من العباد، وكان برا بأمه، وأنه دخل عليها يوماً، فإذا هى تبكى من امرأته، فقال لها: ما يبكيك؟ [فلما لمست غضبة نصر لها] قالت له: يا بنى، أنا أظلم منها، وأنا بدأتها وظلمتها، فقال لها: صدقت، ولكن لا تطيب نفسى أن أحتبس امرأة [فى بيتى بسببها] بكيت منها [فطلقها] ..

504- كان فى زمن بنى إسرائيل وأيام موسى عليه السلام، عبد صالح وكان له عجل فأتى بالعجل إلى غيضة وقال: اللهم إنى أستودعك هذه العجلة لابنى حتى يكبر ومات الرجل وترك امرأته حاملاً، فاطلقت العجلة فى الغيضة وصارت عواناً، وكانت تهرب من كل من رامها. فولدت [زوجة الرجل] بعده غلاماً فسمته ميشا فلما كبر الابن كان باراً بوالدته،

وكان ليلة يقسم ثلاثة أثلاث: يصلي ثلثاً وينام ثلثاً ويجلس عند رأس أمه ثلثاً، فإذا أصبح انطلق واحتطب على ظهره ويأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله، ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطى والدته ثلثاً.

فقال له أمه يوماً: إن أباك ورثك عجلة وذهب بها إلى غيضة كذا واستودعها الله عز وجل، فانطلق إليها فادعُ إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق بأن يردها عليك وإن من علامتها أنك إذا نظرت إليها يحيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها وصفاء لونها، فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى وقال: أعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها وقادها .

فجاء بها الفتى إلى أمه، فقالت له: إنك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل، هذه بقرتك بارك الله لك فيها فانطلق فبع هذه البقرة وخذ ثمنها، قال: بكم أبيعها؟ قالت: بثلاثة دنانير، فانطلق بها إلى السوق فتعرض له ملك من الملائكة وقال له: أيها الفتى البار لأمه بكم تبيعها؟ فقال الفتى: بثلاثة دنانير بشرط أن أستأذن أمي، فقال له: خذ لك خمسة دنانير ولا تستأذن أمك فأبى وعاد إلى أمه فأخبرها، فقالت له: يا بني، ارجع وبعها بخمسة دنانير على إذني، فعاد بها إلى السوق فجاءه الملك وقال: بكم تبيعها؟ فقال: بخمسة دنانير على أن أستأذن أمي، فقال له الملك: خذ لك عشرة دنانير ولا تستأذن أمك، فلم يفعل، وعاد إلى أمه وأخبرها، فقالت له: يا بني، في غد بعها بعشرة دنانير على إذني، واعلم يا بني، أنها تساوي عشرة دنانير، غير أن الذي يتعرض لك في شرائها ملاك يستخبرك كيف برك لأمك وطاعتك إياها، فإذا جاءك فقل له: أيها المَلَك المقرب أئامرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟ وافعل ما يقول لك فلما كان من الغد جاءه المَلَك وقال له: قد جئتك أطلب بقرتك ثلاث مرات فلم تبعنني إياها، فقال له: إن أمي أخبرتنني أنك لست بآدمي وإنما أنت ملك من الملائكة، فأخبرني ما أصنع ببقرتي؟

فقال له الملك: ردها إلى منزلك، فإن موسى بن عمران يشتريها منكم لقتيل يقتل من بنى إسرائيل فلا تبيعوها إلا بملء مسكها دنانير فأمسكوا البقرة، فانصرف الفتى إلى أمه وأخبرها بذلك. وكان في بنى إسرائيل [رجل] عقيم لا يولد له، وكان له مال كثير، وله بنت لم يكن لها مثيل في بنى إسرائيل بالحسن والجمال وله ابن [أخ] مسكين لا وارث له غيره.

[فطالت عليه حياته فقتله ليرثه] ثم احتمله ليلا حتى أتى به حيّا آخر فوضعه على باب رجل منهم، ثم أصبح يدعيه عليهم حتى تسلحوا وركب بعضهم إلى بعض فقال ذوو الرأي والنهي: علام يقتل بعضكم بعضا؟ وهذا رسول الله ﷺ فيكم، فأتوه [يعنى موسى ﷺ]، فقال: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، قالوا: أتتخذنا هزوا؟ قال: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، فلو لم يعترضوا لأجزأت عنهم أدنى بقرة، ولكنهم تشددوا فشدد الله عليهم، حتى انتهوا إلى البقرة التي أمروا بذبحها، فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها، فقال: والله لا أنقصها من ملء جلدها ذهباً! فأخذوها بملء جلدها ذهباً، فذبحوها فضر به ببيعها فقام فقالوا: من قتلك؟ قال: هذا لابن أخيه ثم مال ميتا، فلم يعط ابن أخيه من ماله شيئا، ولم يورث قاتل بعده..

أقوال في بر الوالدين :

505- عن هشام بن عروة، قال رسول الله ﷺ: لا يجزى ولد والده، إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه⁽¹⁾..

506- قال النبي: طاعة الله طاعة الوالد، ومعصية الله معصية الوالد⁽²⁾..

507- قيل: بر الوالدين من أكرم الطبائع..

508- قيل: الأولى بمعروفك والداك ثم أقاربك..

(1) مسند ابن الجعد ج 1 ص 392 رقم 2675.

(2) جامع الأحاديث ج 5 ص 132 رقم 13879.

509- قيل: أَفْضَلُ الْبِرِّ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا وَفَعَلَ مَا يَسْرُهُمَا مِمَّا لَيْسَ بِمَنْهَى عَنْهُ..

510- سُئِلَ الْحَسَنُ: مَا بَرُّ الْوَالِدَيْنِ؟ قَالَ: أَنْ تَبْذُلَ لَهُمَا مَا مَلَكَتَ، وَأَنْ تَطِيعَهُمَا فِيهَا أَمْرًا بِهِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَعْصِيَةً..

511- قيل: بَرُّ الْوَالِدَيْنِ أَوْسَطُ الْأَعْمَالِ الْمُؤَدِيَةِ إِلَى الْجَنَّةِ، لِأَنَّ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا هُوَ أَفْضَلُ وَمِنْهَا مَا هُوَ دُونَ، وَالْبِرُّ مَتَوَسِّطٌ بَيْنَ تِلْكَ الْأَعْمَالِ..

512- ذَكَرَ ابْنُ عَقِيلٍ: أَنَّهُ [مَنْ الْبِرِّ] الْإِغْضَاءُ عَنْ زَلَّاتِ الْوَالِدَيْنِ..

513- قَالَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ لَوْهَبُ بْنُ الْأَسْوَدِ: مَا الْمَرْوَةُ فِيكُمْ. قَالَ: بَرُّ الْوَالِدَيْنِ، وَإِصْلَاحُ الْمَالِ..

514- قيل: بَرُّ الْوَالِدَيْنِ هُوَ الْإِحْسَانُ إِلَيْهِمَا، وَفَعَلَ الْجَمِيلَ مَعَهُمَا، وَفَعَلَ مَا يَسْرُهُمَا وَالْإِحْسَانُ إِلَى صَدِيقِهِمَا..

515- عَنْ زُرِّ بْنِ حَيْشٍ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ وَكَانَ عَنْدهُ أَصْحَابُهُ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ: خَضْرَمَةٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَيُّ دَرَجَاتِ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ. قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: الزَّكَاةُ. قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: بَرُّ الْوَالِدَيْنِ. قَالَ: فَمَعَ مِنَ الْمَرْءِ؟ قَالَ: مَعَ مَنْ أَحَبَّ..

516- عَنْ مَنِيرِ بْنِ الزَّيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ مَكْحُولًا يَقُولُ: بَرُّ الْوَالِدَيْنِ كَفَّارَةُ الْكِبَائِرِ، وَلَا يَزَالُ الرَّجُلُ قَادِرًا عَلَى الْبِرِّ مَا دَامَ فِي فَصِيلَتِهِ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ..

517- قيل: لَا يَحْسُنُ تَرْفَعُ الرَّجُلَ عَنْ [اِثْنَيْنِ]: وَالِدُهُ وَمُعَلِّمُهُ..

518- قَالَ ذُو النُّونِ: ثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ الْبِرِّ، بَرُّ الْوَالِدَيْنِ بِحَسَنِ الطَّاعَةِ لَهُمَا وَلِينِ الْجَنَاحِ وَبَذْلِ الْمَالِ، وَبَرُّ الْوَالِدِ بِحَسَنِ التَّأْدِيبِ لَهُ وَالدَّلَالَةِ عَلَى الْخَيْرِ، وَبَرُّ جَمِيعِ النَّاسِ بِطَلَاقَةِ الْوَجْهِ وَحَسَنِ الْمَعَاشِرَةِ..

519- قيل: كل عمل صالح فهو من فروع الإيمان، فبر الوالدين من الإيمان وأداء الأمانة من الإيمان، وحسن العهد من الإيمان، وحسن الجوار من الإيمان وتوقير الكبير من الإيمان، ورحمة الصغير [من الإيمان]، حتى إطعام الطعام وإفشاء السلام من الإيمان..

520- عن مجاهد أنه سأل رجل فقال: أبى يدعوني [وقد] أقيمت الصلاة، قال: أجبه..

521- عن يعقوب الحلبي قال: سألت عطاء بن أبي رباح عن الليلة المطيرة المظلمة أريد أن أخرج فأصلي في الجماعة، فتقول والدتي: لا تخرج صلّ في بيتك، قال: أطعها..

522- سئل أبو عثمان عن بر الوالدين فقال: أن لا ترفع صوتك عليهما، ولا تنظر إليهما شذرا، ولا يريان منك مخالفة في ظاهر وباطن، وأن تحترمهما ما عاشا، وتدعو لهما إذا ماتا، وتقوم بخدمة أودائهما..

523- سئل الفضيل بن عياض: عن بر الوالدين؟ فقال: أن لا تقوم إلى خدمتهما عن كسل..

524- وعن الربيع الأعرج قال: كان داود الطائي لا يخرج من منزله حتى يقول المؤذن: قد قامت الصلاة، فإذا سلّم الإمام أخذ نعله ودخل منزله، فتبعته فصعد في البصر فقلت: [أنا] ضيفك الليلة؟ فدخل ودخلت معه، فصلّى ما شاء الله [ثم] أخرج رغيفين يابسين فجلس فقال لى: ادن فكل؟ فأشفقت عليه أن أكل معه، فأكل ثم قام إلى شن في الدار في يوم صائف فأخذ يشرب منه! فقلت يا أبا سليمان: لو أمرت من يبرد لك هذا الماء، فقال لى: أما علمت أن الذى يبرد له الماء فى الصيف ويسخن له فى الشتاء لا يجب لقاء الله! قلت: يا أبا سليمان: أوصنى؟ قال: صم الدنيا واجعل فطرك منها فى الآخرة، قلت: زدنى؟ فقال: ليكن كاتبك محدثيك، فقلت: زدنى؟ قال: بر والديك، قلت: زدنى، قال: فر من الناس فرارك من الأسد غير مفارق لجماعتهم، ثم خرجت..

525- عن ابن عباس: ثلاث يعصمون من عذاب القبر: البار بوالديه، والشهيد الذي جاد بدمه، والمؤذن الخمس احتساباً..

526- أخبر [الله تعالى في كتابه الكريم] عن يحيى وعيسى وإبراهيم ببر الوالدين مع التوحيد..

527- روى سعيد بن المسيب: أن البار لا يموت ميتة سوء..

528- قيل: البر ترك العقوق، وكما أن العقوق له مراتب، فالبر كذلك..

529- روى أبو داود عن عمر بن السائب قال: كان رسول الله ﷺ جالسا يوما فجاء أبوه من الرضاعة، [زوج حليلة السعدية مرضعته وهو طفل]، فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه، ثم أقبلت أمه [مرضعته حليلة السعدية] فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه، ثم جاء أخوه من الرضاعة [ابنهما] فقام رسول الله ﷺ وأجلسه بين يديه..

530- قال عكرمة: إنما صرف سليمان ﷺ عن ذبح الهدهد لبرّه بوالديه..

531- وقال ﷺ: لو أن الملائكة صافحت أحدا، لصافحت الغازي في سبيل الله والبار بوالديه، والطائف ببيت الله (1)..

532- عن أنس رضي الله عنه قال: البار بوالديه مثل بلدة طيبة تزكى نباتها يفرح، طوبى لمن ضرب له هذا المثل..

533- في سفينة الأبرار: خمسة أشياء من داوم عليها يزداد في حسناته كأمثال الجبال ويوسع الله عليه رزقه: من داوم على الصدقة قلت أو كثرت، ومن وصل الرحم، ومن داوم على الجهاد في سبيل الله، ومن داوم على الوضوء ولم يسرف، ومن أطاع والديه وداوم على طاعتها..

(1) فضائل مكة والسكن فيها، ج 1 ص 33.

534- وقال ﷺ: أربع من كن فيه كمل إسلامه وإن كان ما بين قرنه إلى قدمه خطأ: الأمر بالمعروف والحياء والشكر وحسن الخلق. وأربع من كن فيه بنى الله له بيتا في الجنة: إيواء اليتيم و [وصل] رحمه ورفق بمملوكه وأشفق على والديه⁽¹⁾..

535- حدثنا سلام فقال: سألت الحسن فقلت [مستفهما]: يا أبا سعيد، الرجل يأمر والديه بالمعروف وينهاهما عن المنكر؟ قال: يأمرهما إن قبلا وإن كرها سكت عنهما..

536- قيل: إذا رأى الولد أن ينصح لأحد أبويه، أو أن يحذره مما قد يضر به، أدى إليه ذلك بقول لين حسن الوقع. لأن الأبوين يبغيان أن يكونا هما النافعان لولدهما..

537- عن الثوري عن الحسن في الوالدين إذا أذنا بالغزو، قال: إن كنت ترى هوائهما في الجلوس فاجلس..

538- قيل: مسامحة الوالدين للولد أكثر من مسامحة الولد لهما، لأن حب الوالد لولده موروث من آدم، ولم يكن يعرف حب الولد لوالده..

539- قيل: [من] شأن الابن البار أن يتقى ما يحزن أباه..

540- عن الفضيل بن عياض قال: كامل المروءة، من برَّ والديه وأصلح وأنفق من ماله، وحسن خلقه وأكرم إخوانه ولزم بيته..

541- قيل: لا بأس أن يؤم الرجل أباه بلا كراهة، إذا كان بإذنه أو فيه مزية يقدم بها عليه، كما تقدم الصديق ﷺ على أبيه أبي قحافة، وصاحب البيت وإمام المسجد ولو عبدا ولا تكره إمامته..

542- قال الجنيد: اشكر مَنْ كنت منه على بال حتى خلقتك، واشكرْ والديك إذ هما سبب كونك..

(1) تاريخ يعقوبى ج 2 ص 108.

543- روى أن رجلا قال لرسول الله ﷺ: معى دينار، فقال ﷺ: أنفقه على نفسك، فقال: معى آخر، قال ﷺ: أنفقه على عيالك، قال: معى آخر، قال ﷺ: أنفقه على والديك⁽¹⁾..

544- عن قسرة بنت رواس الكندية: قال رسول الله ﷺ: يا قسرة، اذكرى الله عند الخطيئة يذكرك عندها بالمغفرة، وأطيعى زوجك يكفيك خير الدنيا والآخرة وبرى والديك يكثر خير بيتك⁽²⁾..

545- عن أبى أيوب الأنصارى، قال رسول الله ﷺ: مسألة واحدة يتعلمها المؤمن خير له من عبادة سنة، وخير له من عتق رقبة من ولد إسماعيل، وإن طالب العلم، والمرأة المطيع لزوجها، والولد البار بوالديه، يدخلون الجنة مع الأنبياء بغير حساب⁽³⁾..

546- عن أنس رضي الله عنه قال ﷺ: العبد المطيع لوالديه ولربه فى أعلى عليين⁽⁴⁾..

547- وقيل: رضا الله فى رضا الوالدين، المطيع لوالديه هو المطيع لربه.. أى المطيع المذعن المنقاد لوالديه، ولا تكون الطاعة إلا عن أمر، كما لا يكون الجواب إلا عن قول..

548- عن جابر قال رسول الله ﷺ: ثلاث من كن فيه ستر الله عليه كنفه وأدخله جنته: رفق بالضعيف، وشفقة على الوالدين، وإحسان إلى المملوك.. قال هذا حديث حسن غريب وأبو بكر بن المنكدر هو أخو محمد بن المنكدر..

549- قال ﷺ: من أصبح ووالداه راضيان عنه، فله بابان مفتوحان إلى الجنة، فلا ينبغي له أن يسد هذا الباب بالخروج بغير إذنه، وهو لا يدري أنه هل يتنفع بخروجه هو أو غيره أو لا يتنفع⁽⁵⁾..

(1) الكسب ج 1 ص 59.

(2) معرفة الصحابة ج 6 ص 3431 رقم 7820.

(3) التدوين فى أخبار قزوين ج 1 ص 255.

(4) كنز العمال ج 16 ص 194 رقم 45480.

(5) شرح كتاب السير الكبير ج 1 ص 182.

550- عن ثوبان رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه. إن في التوراة لمكتوب: يا ابن آدم، اتق ربك وبر والدك وصل رحمك، أمدد لك في عمرك وأيسر لك يسرك وأصرف عنك عسرك⁽¹⁾..

551- عن أبي سعيد أن النبي ﷺ كان يقول: يا ابن آدم، اتق ربك وبر والدك وصل رحمك يزداد لك في عمرك وييسر لك يسرك وتجنب عسرك وييسر لك في رزقك. يا ابن آدم: أطع ربك تسمى عاقلاً ولا تعص ربك فتسمى جاهلاً⁽²⁾..

552- عن وهب بن منبه رضي الله عنه قال: كُتب في التوراة: لا تشرك بي شيئاً من أهل السماء ولا من أهل الأرض فإن كل ذلك خلقى، ولا تحلف باسمي كاذباً فإن من حلف باسمي كاذباً فلا أزيهه، ووقر والدك..

553- كتب الله تعالى لموسى عليه السلام هذه العشر آيات: الرب إلهك الذى أصعدك من أرض مصر من العبودية والرق، لا يكونن لك إله غيري، لا تقسم باسمي كذباً، احفظ يوم السبت، أكرم والدك، لا تقتل، لا تزنى، لا تسرق، لا تشهد بالزور، لا تمدن عينيك إلى ما فى أيدي الناس..

554- عن جابر بن عبد الله: ثلاث من كن فيه نشر الله له كنفه وأدخله رحمته: رفق بالضعيف، وشفقة على الوالدين، وإحسان إلى المملوك..

555- قال حكيم: من وقر أباه طال عمره، ومن وقر أمه رأى ما يسره..

556- قال ﷺ: يقول الله تعالى: من وقر أباه أطلت أيامه، ومن وقر أمه رأى لبنينه بنين⁽³⁾..

(1) مسند الرويانى ج 1 ص 408 رقم 626.

(2) مسند الحارث (زوائد الهيثمي) ج 2 ص 813 رقم 841.

(3) تاريخ يعقوبى ج 2 ص 630 .

557- عن أبي هريرة قال: جاء أم وأب يختصمان إلى النبي في ابن لهما فقالت للنبي: فذاك أبي وأمي يريد أن يذهب بابني، وقد سقاني من بئر أبي عنبه ونفعني. فقال النبي: استهما عليه، فقال زوجها: من يحاقني في ولدي يا رسول الله؟! فقال النبي: يا غلام هذا أبوك وهذه أمك، فأخذ بيد أمه فانطلقت به⁽¹⁾..

558- عن عبد الحميد الأنصاري عن أبيه عن جده: أن جده أسلم وأبت امرأته أن تسلم، فجاء ابن له صغير لم يبلغ، فأجلس النبي الأب ها هنا، والأم ها هنا، ثم خيره، وقال: اللهم اهده فذهب إلى أبيه⁽²⁾..

559- عن أبي أمامة قال النبي: أيحسب أحدكم أنه إذا كان عنده أبواه أو أحدهما أنه ليس في سبيل الله؟ بل هو في سبيل الله إذا أبرهما وأدى حقهما⁽³⁾..

560- قيل: خلاص الولد من بلية ابتلى بها ببركة دعاء والديه [له]..

561- عن أنس رضي الله عنه قال رضي الله عنه: من أحب أن يمد له في عمره وأن يزداد في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه⁽⁴⁾..

- عن جابر رضي الله عنه قال رضي الله عنه: كان فيما أعطى الله تعالى موسى في الألواح: اشكر لي ولوالديك ألقك المتالف، وأفسح لك في عمرك، وأحيك حياة طيبة، وأفلتك إلى خير منها⁽⁵⁾..

562- سئل سفيان: كم يدعو الإنسان لوالديه في اليوم أو في الشهر أو في السنة؟ فقال: نرجو أن يجزيه إذا دعا لهما في آخر التشهدات. كما أن الله تعالى قال:

(1) كنز العمال ج 5 ص 231 رقم 14036.

(2) كنز العمال ج 5 ص 231 رقم 14037.

(3) جامع الأحاديث ج 10 ص 233 رقم 1384.

(4) كنز العمال ج 16 ص 198 رقم 45521.

(5) كنز العمال ج 16 ص 198 رقم 45522.

﴿...يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ...﴾ (٥٦) (١) .. فكانوا يرون التشهد يكفى فى الصلاة على النبى . وكما قال سبحانه: ﴿...وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ...﴾ (٢٠٣) (٢) .. ثم يكبرون فى أدبار الصلاة. هذا وقد بالغ عز وجل فى التوصية بهما من وجوه لا تحفى، ولو لم يكن سوى أن شفع الإحسان إليهما بتوحيده سبحانه ونظمهما فى سلك القضاء بهما معاً لكفى، وقد روى ابن حبان والحاكم وجاء أنه عليه السلام قال: لو علم الله تعالى شيئاً أدنى من الأف لنهى عنه، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة. وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار (٣) ..

563- قيل لحكيم: ما منفعة الولد؟ قال: يستعذب به العيش ويهون به الموت وقالوا: خير ما أعطى الرجل بعد الصحة والأمن والعقل ولد موافق وزوجة موافقة. وقيل: فلان ينظر عن عين أبيه، ويبطش بيديه.

وجاء فى الأثر: لكل شيء ثمرة، وثمره القلب الولد. وقيل: لما بشر عمر رضي الله عنه بمولود قال: ريحانة أشمها ثم هو عن قريب ولد بار أو عدو ضار. وقيل فى الأمثال: أبر من الهرة..

564- عن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال عليه السلام: من برّ والديه طوبى له، زاد الله فى عمره (٤) ..

565- عن جابر رضي الله عنه قال عليه السلام: بروا آباءكم يبركم أبناءكم، وعفوا عن النساء تعف نساؤكم (٥) ..

(١) سورة الأحزاب آية ٥٦.

(٢) سورة البقرة آية ٢٠٣.

(٣) روح المعانى ج ١٥ ص ٥٧.

(٤) كنز العمال ج ١٦ ص ١٩٤ رقم ٤٥٤٨٣.

(٥) كنز العمال ج ١٦ ص ١٩٤ رقم ٤٥٤٧٧.

566- المعنى: بروا آبائكم وأمهاتكم تبرّكم أبنائكم وبناتكم، وكما تدين تدان [وكما تفعل يفعل بك] وعفوا عن نساء الناس فلا تتعرضوا لهن بالزنى، تعف نساؤكم عن الرجال وعن الزنى بهم..

567- قيل: إن العباد أمروا بأن لا يعبدوا إلا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره، وكذلك من يخدم أبويه، لا ينبغي أن يخدم لطلب منزلة عندهما إلا من حيث إن رضا الله في رضا الوالدين، ولا يجوز له أن يرائي بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين، فإن ذلك معصية، وسيكشف الله عن ريائه فيسقط منزلته من قلبهما..

568- عن عمر بن سعد بن مالك أنه قال: كانت له حاجة إلى أبيه فقدم بين يديه كلما ثم ذكر حاجته إلى أبيه، فقال سعد: ما كنت قط أزهد فيك منى ساعة ولا كنت قط أبعد من حاجتك منك الساعة، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه سيكون قوم [يأكلون] بألستهم كما تأكل البقر بألستها من الأرض⁽¹⁾..

569- قيل: الحكمة في قول [هارون] لأخيه موسى عليه السلام: ﴿... أَبْنِ أُمَّ ...﴾ (١٥٠) ⁽²⁾.. أنه أراد بذكر الأم أن يذكر [موسى بشفقة أمه عليه أى على موسى فيشفق موسى عليه كما شفقت عليه أمه بالصغر] فإن شفقة الأم أعظم من شفقة الأب..

قال هلال العيسى: من سعادة الأب أن يشبهه ابنه شكلاً، ويفوقه علماً وعملاً، برا وصلاً..

570- عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كان رجل من بنى إسرائيل يعمل بمسحاة له، فأصاب أباه فشجه فقال: لا تصحبنى من فعل أبى ما فعل. فقطع يده فبلغ ذلك بنى إسرائيل..

(1) مشيخة ابن طهمان ج 1 ص 128.

(2) سورة الأعراف آية 150.

571- عن عمر رضي الله عنه قال: سمعني النبي أحلف بأبي، فقال: يا عمر، لا تحلف بأبيك، احلف بالله، ولا تحلف بغير الله، فما حلفت بعد إلا بالله ⁽¹⁾..

572- قال عبدالله بن الزبير: مات أبي فما سألت الله حولا إلا العفو عنه..

573- قال مصعب بن عثمان: كان الزبير بن هشام باراً بأبيه، إن كان ليرقى إلى السطح في الحر فيؤتى بالماء البارد، فإذا ذاقه فوجده بارداً لم يشربه وأرسله إلى أبيه..
- قال محمد بن عمر: كان محمد بن عبد الرحمن بن أبي الزناد باراً بأبيه، وكان أبوه يقول: يا محمد، فلا يجبه حتى يثب فيقوم على رأسه فيلبيه، فيأمره بحاجته فلا يستثبته هية له، حتى يسأل من فهم ذلك عنه..

574- قيل: كان عبد الله بن عمرو بن العاص بينه وبين أبيه في الولادة إحدى عشرة سنة! وكان من فضلاء الصحابة وعبادهم الكثيرين في الرواية وأسلم قبل أبيه، وكان يلوم أباه [على مشاركته في الخلاف بين معاوية رضي الله عنه وعلي، وكان الصحابة قد انقسموا بين مؤيد لمعاوية، ولعلي، ومن نأى بنفسه عنهما فلم يؤيد أحدا منهما ووقف محايداً، وإن كان المنطق في جانب معاوية فقد كانت وجهة نظره ورغبته، هي محاكمة ومعاقبة قتلة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه الذين انضموا لجيش علي أولاً، ثم اقترع الصحابة على من يختاروه أميراً للمؤمنين. طالما لم يحظَ علي بمبايعة الغالبية له. لكن رغبة علي كانت خلاف ذلك! لذا كان عبدالله بن عمرو بن العاص يفضل لو تجنب والده ذلك ولم يؤيد أحد الطرفين].
على القيام في الفتن، وحلف بالله أنه لم يرم في حرب صفيين برمح ولا سهم، وإنما حضرها لعزم أبيه عليه ولقوله ﷺ أطع أباك..

575- وفي هذا تقول ليلي الأخيلية :

قُتِلَ ابْنُ عَفَانَ الْإِمَامُ فُضَاعَ أَمْرُ الْمُسْلِمِينَ
وَقَشَّتْ سَبْلُ الرِّشَادِ بِصَادِرِينَ وَوَارِدِينَ

(1) كنز العمال ج 16 ص 312 رقم 46541.

فَانْهَضْ مُعَاوَى نَهْضَةً تُشْفِي بِهَا الدَّاءَ الدَّفِينَا

أَنْتَ الَّذِي مِنْ بَعْدِهِ نَدْعُو أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

576- ذكر السدى وغيره: أن رجلا في بنى إسرائيل كان بارًا بأبيه، وبلغ من بره به أن رجلاً أتاه بلؤلؤة فابتاعها بخمسين ألفاً وكان فيها فضل، فقال للبائع: أبى نائم ومفتاح الصندوق تحت رأسه فأمهلنى حتى يستيقظ وأعطيك الثمن. قال: فأيقظ أباك وأعطنى المال. قال: ما كنت لأفعل، ولكن أزيدك عشرة آلاف فانتظرنى حتى ينتبه أبى؟ فقال الرجل: فأنا أحط عنك عشرة آلاف إن أيقظت أباك وعجلت النقد! قال: وأنا أزيدك عشرين ألفاً إن انتظرت انتباه أبى؟ ففعل ولم يوقظ الرجل أباه..

577- وعن عطاء رضي الله عنه قال: لما أعتق لقمان أعطاه مولاه مالا، فبارك الله للقمان في ذلك المال فكثر ونما، وجعل [لقمان] لا يأتيه أحد يستقرضه قرضا إلا أقرضه لا يأخذ عليه [ضماناً]. ولا رهنا، إلا أنه إذا أراد أن يدفع إليه المال قال: تأخذه بأمانة الله لتؤديه إلى عام قابل؟ فإذا قال: نعم. دفعه إليه. فجعل الناس يأخذون منه ويؤدون. فذكر فعل لقمان لرجل يسكن ساحل البحر تجارته في البحر لص ملط⁽¹⁾ فاجر فقال: والله [ما] رأيت مالا أضيع من هذا، ما يأخذ رهنا ولا حميلا، والله لآتين هذا الرجل ولأقطعن من ماله مالا عظيماً.

فأقبل إليه فقال: يا لقمان ذكر لى معروفك، وأنا رجل أسكن كذا وكذا من ساحل البحر وتجارتي فيه، فإن رأيت أن تقرضنى قرضا أصبت فيه ثم أؤديه إليك فعلت. قال: وكم تريد؟ فسمى له فأكثر. قال: أما أنى لست أسألك حميلا ولا آخذ منك رهنا أتأخذه بأمانة الله أن تؤديه إلى عام قابل فى [مثل] هذا اليوم؟ قال: نعم. فدفعت إليه ما سمنى، وكتب عنده اسمه واسم أبيه ومنزله فذهب بالمال فوضع يده فيه وخلطه بماله وعزم أن لا يؤديه إليه! وأدرك ابن للقمان فقال: يا أبتِ إنى أريد أرض كذا وكذا، وإن رأيت أن تأذن لى فعلت؟ قال: يا بنى، اذهب فاحمل على دوابك وشد عليك ثيابك ثم اتتنى أوصيك

(1) الأملط: الذى لا شعر على جسده ورأسه ولحيته.

بوصيتي، ففعل ذلك ابنه ثم أتاه فقال: قد فعلت يا أبتِ قد حملت على ظهري وشددت على ثيابي فأوصني. قال: يا بني، إن في طريقك مفازة⁽¹⁾، فأبكر فيها الدلجة⁽²⁾، فإنه ستعرض لك شجرة واسعة الظل تحتها عين، فلا أعلمن ما قربت الشجرة ولا نزلت تحتها! يا بني، إنني أرجو أن يخرجك الله منها سالماً، فتأتي حى بنى فلان وهم لنا أصدقاء قد أعلم أنهم سيكرمونك. يا بني: وفيهم امرأة شابة كريمة الحسب كثيرة المال وقد أعلم أنهم سيعرضونها فلا أعلمن [أنك] نكحتها، ولا ضمنت لشيء من أمرها. يا بني: أرجو أن يسلمك الله منها.

إن رجلاً يسكن ساحل كذا وكذا قد أتاني منذ حين فاقتطع من مالى كذا وكذا وهذا اسمه واسم أبيه، فأته فاقبض ما عليه ولا تبت عنده ليلة! يا بني: انظر [ما] أوصيك به فافعله. قال الفتى: نعم. ثم قال: يا بني، إن من أفضل ما أوصيك به، إن صحبتك في طريقك هذا رجل أكبر منك فلا تعصه حتى ترجع إليّ. قال: أفعل.

فسار ابن لقمان حتى انتهى إلى المفازة وبكر فيها الدلجة، فإذا هو أبعد من ذلك وأسحق، فقام قائم الظهيرة واشتد الحر وهو في وسط منها، فبينما هو يسير إذ عرضت له الشجرة، فلما نظر إليها عرفها بنعت أبيه، فإذا تحتها شيخ جالس فعدل إليها، فقال له الشيخ: ما الذى تريد يا فتى؟

قال: أريد أن أسير، قال: فلا تفعل فقد قام قائم الظهيرة وتوقد الحر، انزل فاستظل في ظل هذه الشجرة وضع عن دوابك واشرب من الماء، فإذا أبردت فارتحل، قال الفتى في نفسه: هذه الشجرة التى نهانى عنها أبى ما أريد أن أفعل [ما قلت]، قال: أقسمت عليك لتنزلن! ووافق ذاك منه هواه، وذكر أن أباه قال: إن صحبتك رجل هو أكبر منك فلا تعصه، فنزل الفتى فوضع عن دوابه واستظل وأكل وشرب ثم رقد.

(1) المفازة: البرية القفر المهلكة.

(2) الدلج: السير من آخر الليل.

وأبى الشيخ أن ينام! فلما استلقى ابن لقمان، انحطت حية من رأس الشجرة فلما نظر إليها الشيخ رماها فقتلها، ثم قطع رأسها فجعله في قرابه وغيب لحمها حتى إذا برد النهار أيقظ ابن لقمان، فقام فلم يستنكر من نفسه شيئاً، فحمل على دوابه، وقال له الشيخ: أين تريد؟ قال: أريد أرض كذا و كذا قال: أنا أريدها فهل لك في صحبتي؟ قال ابن لقمان: أحب صاحب، فلما نزلا بالحي الذي ساهم له لقمان، قالوا: ابن لقمان، فأنزلوه وأكرموه، فبينما هم يأكلون عنده ويشربون إذ قال له رجل منهم: يا ابن لقمان هل لك في امرأة شابة كريمة الحسب كثيرة المال تنكحها؟ قال ابن لقمان في نفسه: هذه التي منعنيها أبى ما لى حاجة بالنكاح. قال الشيخ: ما تعرضون عليه؟ قالوا: نعرض عليه امرأة شابة جميلة كبيرة الحسب كثيرة المال. قال الشيخ: أشباب وجمال ومال، ما يترك هذا أحد انكحها. قال ابن لقمان: ما أريد النكاح يا عم، وإنى لعلى رحلى، قال: أقسمت عليك لتفعلن! فوافق ذلك منه هواه، وذكر الذى عوفى فى الشجرة وأن أباه قال: إن صحبت رجلاً هو أكبر منك فلا تعصه، فنكحها. فلما ملك عصمتها أتاه بعض صديق أبيه فقال: ما صنعت [بنفسك؟] هذه امرأة قد نكحت تسعة، ليس منهم رجل إلا يصبح ميتاً على فراشها وأنت العاشر!!

فدخل الشيخ على ابن لقمان وهو مهموم حزين فقال: ما يحزنك؟ قال: المرأة التي أمرتني أن أنكحها نكحت قبلى تسعة، ليس منهم رجل إلا يصبح ميتاً على فراشها وأنا العاشر وأنا أكره الموت. قال: انظر الذى أمرك به فافعله، فإذا أدخلت عليك فلا تقربها حتى تأتيني، فأقبلوا بها إليه حتى أدخلوها عليه، وكان من خلق أهلها وغلماها أنها إذا أدخلوها على الزوج حفوا بالبيت، فإذا صاح كان [ذلك] علامة موته، دخلوا فاحتملوا صاحبته وما معها وتركوه!

فحفوا بالبيت كما كانوا يصنعون. وقال ابن لقمان للمرأة: إن لى حاجة، فخرج إلى الشيخ فقال: المرأة فى البيت وأنا عندك. قال: اثنتى بمجمرة فيها جمر.

فأتاه بها، فعمد إلى رأس الحية التي قتلها عند الشجرة فجعلها على المجمرة! ثم قال: انطلق بها فاجعلها تحت المرأة فإذا بردت فأتنى بها. ففعل بها ابن لقمان فقال: اجعلى هذه

تحتك. ففعلت، فلما طفى الجمر أخرجها فذهب بها إلى الشيخ فإذا شبه الدودة محترقة في المجرمة! فقال [الشيخ]: اذهب إلى أهلك فلا بأس عليك، فإن هذه التي كانت تقتل الرجال! فانطلق إلى أهله فأصبح قرير عين وأصبحت فرحة، وتفرق الذين كانوا حفوا بالبيت، فلما أراد ابن لقمان أن يرتحل قال له الشيخ: أين تريد؟ قال: غريبا لنا في ساحل بحر كذا وكذا أريد أن آتية فأقبض حقنا قبله، قال: فهل لك في صحبتي؟ قال: أحب صاحب. فانطلق معه حتى إذا قدما الساحل سالا عن غريمهما، فقال أهل البلد: ذاك لص ملط فاجر، وكان قد عمد إلى قصر فبناه على ساحل البحر، يمد البحر حين يمد فلا يترك حول القصر شيئا إلا احتمله، لا يخلص إلى القصر ولا إلى من فيه! فأتاه ابن لقمان وقال له: [آتينا] حقنا عليك؟ فقال: مرحبا، بيتا الليلة ثم اغدوا على مالكما، فقال ابن لقمان في نفسه: هذا الذي منعني عنه أبى، ما أريد أن أبيت الليلة، قال الشيخ: ما تعرض عليه؟ قال: أعرض عليكما أن تبيتا الليلة ثم تغدوا على مالكما.

قال [الشيخ]: افعل يا بنى! قال: ما أريد ذاك. قال: أقسمت عليك لتفعلن قد أنسأته⁽¹⁾ أطول من ليلة أفلا تنسئه ليلة. فوافق ابن لقمان هواه وذكر الذى عوفى من الشجرة والمرأة فباتا. فلما فرغا من عشائهما عمد إلى وطاء⁽²⁾. تحت القصر ففرش لهما على سريرين، وقد علم أن الماء إذا جاء احتملها، وعمد إلى ابن له فأضجعه على سرير فوقهما في مكان [عالٍ]، قد علم أن الماء لا يبلغه. فرقد ابن لقمان وأبى الشيخ أن ينام! فلما كان في جوف الليل أقبل البحر فلما رآه الشيخ أيقظ ابن لقمان، فاحتملا سريرهما فجعلاه مكان سرير الغلام، وحملا سرير الغلام وهو نائم فوضع سريرهما وأقبل البحر فاحتمل الغلام بسريره فذهب به ولم يخلص إليهما. فلما أصبحا، اطلع صاحب القصر ينظر ما فعل غريماء، فإذا هما نائمان وإذا ابنه قد ذهب فنادهما فقال: مكرت بكما وحق بى المكر فاغدوا على مالكما، فغدوا على مالهما فانتقدها، ثم انصرفا إلى المرأة فأمرها ابن لقمان بالرحيل، فارتحلت فإذا أكثر مال قومها لها مما كانت تصيب من الأزواج، فارتحلت بهال عظيم من

(1) أنسأته: أى أمهلته.

(2) وطاء: أى مكان منخفض من الأرض.

أصناف المال. وأقبل معه الشيخ حتى إذا شارفا منزل لقمان قال الشيخ لابن لقمان: أى صاحب وجدتني في سفرك؟

قال: خير صاحب كف الله بك ورزق.

قال: أفما لي فيما أصبت نصيب؟

قال: بلى، نصفه لك طيبة لك به نفسي.

قال: فإما أن تقسم وتخبرني وإما أن أقسم وأخبرك.

قال ابن لقمان: لا بل اقسم [أنت] وخبرني. فعرف الشيخ هوى ابن لقمان في المرأة، فعمد إليها وإلى شيء يسير من مالها فعزله، وعمد إلى عظيم المال فتركه، ثم قال لابن لقمان: اختر.

قال ابن لقمان: أما إنك عدلت وأنصفت حين خيرت، أختار المرأة وما معها فارتحل ابن لقمان بالمرأة وما معها، وأقام الشيخ في عظيم المال، فلما سار ابن لقمان وكاد أن يتغيب عن الشيخ أدركه فقال: أعطيتني مالك فبم ذاك؟ لعلك تخوفت مني شيئاً؟
قال ابن لقمان: وما عسيت أن أتخوف منك، ولكن لا يذكر صاحب من صاحب أفضل مما أذكر منك وسألتني.

قال: أتعطيني ذاك طيبة به نفسك؟ قال: نعم.

قال: فاذهب فلك أهلك ومالك بارك الله فيك [أنا] لست من البشر، أنا أمانة أبيك الذي كان يأتمن بها الناس بعثني الله لأصحبك في طريقك ثم أردك إلى أبيك صالحاً، فاطمئن في مالك مباركاً لك فيه..

578- قال النبي: ثلاث ليس لأحد من الناس فيهن رخصة: بر الوالدين مسلماً كان أو كافراً، والوفاء بالعهد لمسلم كان أو كافراً، وأداء الأمانة إلى مسلم كان أو كافراً⁽¹⁾..

(1) جامع الأحاديث ج 4 ص 150 رقم 10760.

579- جاء في التوراة: فليكرم كل امرئ منكم والديه كما أمركم الله ربكم لتطول أعماركم، وينعم عليكم في الأرض التي يعطيكم، لا تقتلوا، لا تزنوا، لا تسرقوا، لا يشتهين الرجل منكم امرأة صاحبه. ولا شيئاً مما لصاحبك..

580- ذكر وهب بن منبه اليماني: أصل البر بالوالدين في التوراة، أن تقى مالهما بهالك وتؤخر مالهما، وتطعمهما من مالك..

581- قال بعضهم: مكتوب في التوراة: إذا افتتح صلاة نافلة، فدعته أمه أجابها، وإن دعاه أبوه، سبّح وأتمها..

582- قيل: سأل موسى عليه السلام ربه أن يريه رفيقه في الجنة؟ فأوحى الله تعالى: يا موسى، انطلق إلى مدينة كذا وكذا، فإنك ترى رفيقك في الجنة. فسار موسى عليه السلام حتى انتهى إلى المدينة، فتلقاه شاب فسلم عليه، فقال له موسى عليه السلام: عليك يا عبد الله السلام، أنا ضيفك الليلة. فقال له الشاب: يا هذا، رضيت إن رضيت بما عندي أنزلتك وأكرمتك، فقال له موسى عليه السلام: قد رضيت. بما عندك. فأنزله، وأخذه الشاب ومضى إلى حانوته، وكان الشاب جزاراً، فأجلسه حتى فرغ من بيعه وشرائه، وكان الشاب لا يمر بشحم ولا مخ إلا عزله، فلما كان وقت الانصراف أخذ بيد موسى عليه السلام، وانطلق به إلى منزله، ثم أخذ الشاب الشحم والمخ وطبخه .

ثم دخل بيتاً فيه قفتان معلقتان في السقف فأنزل إحداهما إنزالاً رفيقاً، وإذا فيها شيخ كبير قد سقط حاجباه على عينه من الكبر، فأخرجه من القفة وغسل وجهه وثيابه وبخرها، ثم ألبسه إياها، ثم أخذ خبزاً وثرده، وصبَّ عليه الشحم والمخ وأطعمه حتى شبع، وسقاه حتى روى، فقال الشيخ: يا ولدي، لا خيب الله سعيك معي، وجعلك رفيقاً لموسى بن عمران في الجنة .

ثم أنزل القفة الثانية وفعل بها مثل الأولى، وإذا فيها عجوز كبيرة، فصنع معها مثل ما صنعه بالشيخ، فقالت: الحمد لله يا ولدي، لا خيب الله سعيك معي، وجعلك رفيق موسى بن عمران في الجنة. ثم ردهما إلى مكانهما .

وخرج موسى عليه السلام وهو يبكي رحمة لهما، فتبعه الشاب وقدم له طعامًا، فقال: يا أخي، ما أنا محتاج إلى طعامك، ولكن سألت الله أن يريني رفيقي في الجنة، فأوحى الله تعالى إلى أن رفيقي في الجنة أنت. فقال الشاب: من أنت يرحمك الله؟ فقال: أنا موسى بن عمران، فخرّ الشاب مغشيًا عليه، ودخل على والديه وأخبرهما أن الله عز وجل قد استجاب دعاءهما وأن هذا موسى قد أخبره بذلك عن رب العالمين. فلما سمعا ذلك شهقا فماتا معًا، فغسلهما موسى وصلى عليهما، وصحبه الشاب إلى أن مات رضى الله عنه .

وقيل: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: يا موسى، من برّ والديه فليس له عندى جزاء إلا الجنة، ومن لم يبر والديه فليس له عندى جزاء إلا النار..

583- قال بعض الصالحين: تعبد أبو الحسن الثورى رضى الله عنه من صغره فلما بلغ خمس عشرة سنة، قال لأمه: هيينى لله عز وجل؟ فقالت: يا بنى إنما يهدى للملوك من يصلح لهم ويخضع لهم، وما فىك شيء يصلح لله عز وجل فبكى ودخل بيتًا وتعبد فيه مدة خمس سنين، فظهرت عليه أنوار الخلوة فدخلت عليه أمه، فلما رآته قبلت ما بين عينيه، وقالت: يا بنى، قد وهبتك لله تعالى، فخرج فرحًا مسرورًا، فغاب عنها ثلاثين سنة، فاشتاق إليها، فحضر ليزورها فطرق الباب، فقالت: منْ بالباب؟ فقال: ولدك أتى ليسلم عليك؟ فقالت: يا بنى إنى قد وهبتك لله، فو الله ما واليتك إلا بين يديه..

584- كان لرجل خمسة أبناء لكنه لم يكن يسمح لأى منهم بفتح الباب لجدهم، أو القيام على حاجاته عندما يكون هو ذاته فى البيت، وكما كان يود منهم أن يكرموه هو فى حياتهم كان يتعامل بالإكرام مع أبيه، وفى إحدى المرات طلب منه أبوه كأس ماء، فلما مضى لإحضارها، غلب النوم أباه فغفت عينه، ولما عاد الابن إلى الغرفة بقى واقفا إلى جانب أبيه والكأس فى يده إلى أن أفاق هذا الأخير وشرب الماء .

وقيل: اخش أباك وأمك بعدم الجلوس فى مقعديهما، وعدم الوقوف فى مكانيهما وبالانتباه الشديد لكلامهما، وبعدم مقاطعة حديثهما، وكن مضاعف الحذر من انتقاد أو محاسبة آرائهما وتناقض أفكارهما .

أكرم أباك وأمك بالقيام بحاجتهما، وبتقديم الطعام والشراب لهما، وألبسهما ثيابهما،
واربط لهما حذاءيهما، في حال كانا عاجزين عن أداء ذلك وحدهما .
وقيل: خير لك أن تطرح مالك كله في البحر من أن تغضبهما .
وقيل: إذا كان ثواب من يكرم أبويه عظيماً، فكذلك هو عظيم عقاب من يهمل هذه
الوصية..

585- عن محمد بن كعب القرظي قال: قرأت في التوراة أو قال في صحف إبراهيم
الخليل فوجدت فيها يقول الله [تبارك وتعالى]:

يا ابن آدم: ما أنصفتني، خلقتك ولم تك شيئاً وجعلتك بشراً سوياً، خلقتك من
سلالة من طين فجعلتك نطفة في قرار مكين، ثم خلقت النطفة علقة، فخلقت العلقة
مضغة، فخلقت المضغة عظاماً، فكسوت العظام لحماً، ثم أنشأتك خلقاً آخر .

يا ابن آدم: هل يقدر على ذلك غيري؟

ثم خففت ثقلك على أمك حتى لا تتبرم بك ولا تتأذى، ثم أوحيت إلى الأمعاء أن
اتسعى وإلى الجوارح أن تفرق، فاتسعت الأمعاء من بعد ضيقها وتفرقت الجوارح من
بعد تشبكها، ثم أوحيت إلى الملك الموكل بالأرحام أن يخرجك من بطن أمك
فاستخلصك على ريشة من جناحه. فاطلعت عليك فإذا أنت خلق ضعيف ليس لك سن
يقطع ولا ضرر يطحن، فاستخلصت لك في صدر أمك عرقاً يدر لبناً بارداً في الصيف
حاراً في الشتاء، واستخلصته لك من بين جلد ولحم ودم وعروق.

ثم قذفت لك في قلب والدك الرحمة وفي قلب أمك التحنن، فهما يكدان عليك
ويجهدان ويربيانك ويغذيانك ولا ينامان حتى ينومانك .

يا ابن آدم: أنا فعلت ذلك بك لا لشيء استأهلت به مني، ولا لحاجة استعنت بك
على قضائها.

يا ابن آدم: فلما قطع سنك وطحن ضرسك أطعمتك فاكهة الصيف في أوانها،
وفاكهة الشتاء في أوانها، فلما أن عرفت أنى ربك عصيتنى؟! فادعنى فإنى قريب مجيب
واستغفرنى فإنى غفور رحيم..

* * *

الباب الثالث

ما جاء فى حقوق الابن على والده

ذكر الله تعالى الأبناء في القرآن الكريم تحت مسميات :

- ذرية - ابن - ابنك - ابنة - ابني - بنى - بنين - بنون - بنية - أبناء - أبناءكم - أبناءنا -
أبناءهم - ولد - ولدا - ولده - ولدها - الأولاد - أولادا - أولادكم - أولادهم -
أولادهم - أجنة - طفلا - وليدا - الولدان - مولود - أبناهن - ابنت - ابنتى - بنات -
بناتى - بناتك - بناتكم.

تعريف الحق لغة :

586- الحق: نقيض الباطل، وجمعه حقوق وحقائق، وليس له بناء أدنى عدد. وفي
حديث التلبية: لَبَّيْكَ حَقًّا حَقًّا أَيْ غير باطل. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ
الْبَاطِلُ يَكْذِبُ﴾ [سورة البقرة]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ....﴾ [سورة
الأنبياء]. وَحَقَّ الْأَمْرُ يَحِقُّ وَيَحِقُّ حَقًّا وَحُقُوقًا: صار حَقًّا وَثَبَتَ.

قال الأزهري: معناه وجب يجب وجوباً، وَحَقَّ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَأَحَقَّقْتُهُ أَنَا. وفي
التنزيل: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ....﴾ [سورة القصص]، أى ثبت. وقوله تعالى:
﴿.... وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [سورة الزمر]، أى وجبت
وثبتت، وكذلك: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ....﴾ [سورة يس]، وَحَقَّهُ يُحَقُّهُ حَقًّا
وَأَحَقَّهُ، كلاهما: أثبتته وصار عنده حَقًّا لا يشك فيه. وَأَحَقَّهُ: صيره حَقًّا. وَحَقَّهُ وَحَقَّقَهُ:
صَدَّقَهُ، وَحَقَّقَ الرَّجُلُ إِذَا قَالَ هَذَا الشَّيْءَ هُوَ الْحَقُّ كَقَوْلِكَ صَدَقَ. ويقال: أَحَقَّقْتُ الْأَمْرَ
إِحْقَاقًا إِذَا أَحْكَمْتَهُ وَصَحَّحْتَهُ، وَحَقَّ الْأَمْرُ يُحَقُّهُ حَقًّا وَأَحَقَّهُ: كان منه على يقين. ويقال:
مَا لِي فِيكَ حَقٌّ وَلَا حِقَاقٌ أَيْ خُصُومَةٌ. وَحَقَّ حَدَرَ الرَّجُلُ يُحَقُّهُ حَقًّا وَحَقَّقْتُ حَدْرَهُ
وَأَحَقَّقْتُهُ أَيْ فَعَلْتُ مَا كَانَ يَحْدَرُهُ. وَحَقَّقْتُ الرَّجُلَ وَأَحَقَّقْتُهُ إِذَا أَتَيْتَهُ. قال الأزهري:
حَقَّقْتُ الرَّجُلَ وَأَحَقَّقْتُهُ إِذَا غَلَبْتَهُ عَلَى الْحَقِّ وَأَثْبَتَهُ عَلَيْهِ، وَاسْتَحَقَّهُ طَلَبَ مِنْهُ حَقَّهُ. واحتقَّ
القَوْمُ قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ: الْحَقُّ فِي يَدِي. ومن الحديث: مَنْ يُحَاقُّنِي فِي وَلَدِي؟ وحديث
وَهَبُ كَانَ فِيهَا كَلِمَ اللَّهِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَتَحَاقُّنِي بِخَطِيئِكَ، وَمِنْهُ كِتَابُهُ لِحُصَيْنٍ: إِنَّ لَهُ

كذا وكذا لا يُحَاقُّه فيها أحد. وفي حديث أبي بكر، رضى الله عنه: أنه خرج في الهجرة إلى المسجد فقيل له: ما أخرجك؟ قال: ما أخرجني إلا ما أجِدُ من حاقِّ الجُوع أى صادقه وشدَّته. يقال: هو فى حاقٍّ من كذا أى فى ضيق. والحق: من أساء الله عزَّ وجلَّ، وقيل: من صفاته، قال ابن الأثير: هو الموجود حقيقةً المُتَحَقِّقُ وجوده وإِهْيَتُّه. والحقُّ: ضدُّ الباطل. وفي التنزيل: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ.....﴾ [سورة الأنعام]. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ.....﴾ [سورة المؤمنون]، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ.....﴾ [سورة ق]، معناه جاءت السكرة التى تدل الإنسان أنه ميت بالحقِّ أى بالموت الذى خُلِقَ له. وقولُ حقٍّ: وُصِفَ به، كما تقول قولٌ باطل.

وقال اللحياني: وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ.....﴾ [سورة مريم]، إنما هو على إضافة الشيء إلى نفسه، وقرأ من قرأ: فالحقُّ والحقُّ أقول فمعناه أنا الحقُّ. قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ.....﴾ [سورة الكهف] هنالك الولاية لله الحقِّ، أى أُحِقُّ الحقَّ وأُحَقُّه حقًّا، وفي الحديث: من رآنى فقد رأى الحقَّ، أى رؤيا صادقة ليست من أضغاث الأحلام حقيقة غير مُشَبَّه. ومنه الحديث: أَمِيناً حَقَّ أَمِينٍ أى صدقاً، وقيل: واجباً ثابتاً له الأمانة، ومنه الحديث: أتدري ما حَقُّ العباد على الله أى ثوابهم الذى وعدهم به فهو واجبُ الإنجازِ ثابت بوعده الحق، ومنه الحديث: الحقُّ بعدى مع عمر. وَيَحُقُّ عليك أن تفعل كذا: يجب، وَيَحُقُّ لك أن تفعل وَيَحُقُّ لك تفعل، قال شمر: تقول العرب حَقَّ على أن أفعل ذلك وحَقَّ، وإنى لمُحَقَّق أن أفعل خيراً، وهو حَقِيق به ومُحَقَّق به أى خَلِيق له، والجمع أَحَقَاء ومُحَقَّقُونَ. وقوله تعالى: ﴿وَأَذِنتُ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ﴾ [سورة الانشقاق] وَأَذِنتُ لربها وَحَقَّتْ، أى وَحَقَّ لها أن تفعل. ومعنى قول من قال: حَقَّ عليك أن تفعل وَجَبَ عليك. وقالوا: حَقَّ أن تفعل وَحَقِيقُ أن تفعل. وفي التنزيل: حَقِيق على أن لا أقول على الله إلا الحقَّ. وَحَقِيقُ فى حَقٍّ وَحَقَّ. وتقول: أنت مُحَقَّق أن تفعل ذلك، وفي التنزيل: فَحَقَّ علينا قولُ رَبِّنا. وفي الحديث: أنه أعطى كلَّ ذى حَقٍّ حَقَّه ولا

وصية لوارث أى حفظه ونصيبه الذى فرض له. وحقق لك أن تفعل وحقيقت أن تفعل وما كان يحقك أن تفعله فى معنى ما حق لك. وأحق عليك القضاء فحق أى أثبت فثبت، والعرب تقول: حقت عليه القضاء أحقه حقاً وأحقته أحقه إحقاقاً أى أوجبته. وقوله تعالى: ﴿....حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة البقرة]، وفى الحديث لا يبلغ المؤمن حقيقة الإيمان حتى لا يعيب مسلماً بعيب هو فيه، يعنى خالص الإيمان ومحضه وكُنْهه. وحقيقة الرجل: ما يلزمه حفظه ومنعه ويحق عليه الدِّفاع عنه من أهل بيته والعرب تقول: فلان يسوق الوسيقة وينسُلُ الوديقة ويحمى الحقيقة، فالوسيقة الطريدة من الإبل، سميت وسيقة لأن طاردها يسقها إذا ساقها أى يقبضها، والوديقة شدة الحر، والحقيقة ما يحق عليه أن يحميه، وجمعها الحقائق..

* * *

الفصل الأول

الوصية بالأبناء

- عن محمد بن كعب القرظي قال: قرأت في التوراة فوجدت فيها يقول الله تعالى:
يا ابن آدم: قذفت لك في قلب والدك الرحمة، وفي قلب أمك التحنن، فهما يكدان عليك
ويجهدان ويربيانك ويغذيانك، ولا ينمان حتى ينومانك .
يا ابن آدم: أنا فعلت ذلك بك لا لشيء استأهلت به مني، ولا لحاجة استعنت بك
على قضائها⁽¹⁾ ..

قال هلال العيسى: أول الوصايا: ما أوصى به إبراهيم عليه السلام بنبيه ويعقوب فقال ناصحاً
لهم: ﴿...يَبْنِيَنَّ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُونَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٣) ⁽²⁾.
وقال هلال العيسى: ذكر الله المولود في القرآن الكريم وأوصى به، وحرص على
ضرورة رعايته والاهتمام به والحرص على حياته :

قال تعالى: ﴿ وَالْوَلَدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةُ
وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَاعَدُ وَلَدُهَا
وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُولَدُ لَهُ... ﴾ (١٣٣) ⁽³⁾ ..

ثم بين الله تعالى أنه يرزق كل مولود برزقه، فلا يخشى أحد الوالدين الفقر، فالله هو
الرازق للأولاد والآباء، وأن قتل الأولاد إن كان لخوف الفقر، فهو سوء الظن بالله تعالى،
وإن كان لأجل الغيرة على البنات فهو إزهاق لروح بريئة لا يعرف خيرها من شرها بعد،
فالأول ضد التعظيم لأمر الله تعالى الذي بيده خزائن السماوات والأرض، والثاني ضد

(1) حلية الأولياء ج 10 ص 399.

(2) سورة البقرة آية 132.

(3) سورة البقرة آية 233.

الرحمة والشفقة التي خلق الله الخلق عليها، وكلاهما مذمومان. فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا
أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ.....﴾ (٢١) ..⁽¹⁾

ثم بيّن سبحانه وتعالى أن المحافظة على حياة الأبناء، تؤدي إلى أن الله يزيد في رزق
الآباء برزق الأبناء، فالله هو الرازق للآباء والأبناء:

فقال تعالى: ﴿..... وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ
.....﴾ (١٥١) ..⁽²⁾

وشدّد سبحانه في ما يتعلق بالمحافظة على نسب المولود فأخذ العهد على الأمهات :

فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَاعِنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا
يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ
.....﴾ (١٢) ..⁽³⁾

ثم أوضح الله أن الأولاد شركاء الآباء :

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ
شُرَكَاءُهُمْ.....﴾ (١٣٧) ..⁽⁴⁾

ثم بيّن جل شأنه مدى شدة العلاقة والترابط والحنان، بين الأم السوية الصالحة
والابن عند رؤيتها لمولودها، وعدم استطاعتها البعد عنه، واستعدادها للتضحية من أجله
ولو بحياتها وضرب لنا مثلاً :

فقال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَجًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا
عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠) ..⁽⁵⁾

(1) سورة الإسراء آية 31.

(2) سورة الأنعام آية 151.

(3) سورة الممتحنة آية 12.

(4) سورة الأنعام آية 137.

(5) سورة القصص آية 10.

ثم وصى تبارك وتعالى الآباء بالأبناء فقال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ^ط..... ﴿١١﴾ (1) ..

587- يعنى جل ثناؤه بقوله: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ) يعهد الله إليكم، (فِي أَوْلَادِكُمْ) إذا مات الميت منكم، وخلف أولادًا ذكورًا وإناثًا، فلولده الذكور والإناث ميراثه أجمع بينهم، للذكر منهم مثل حظ الأنثيين، إذا لم يكن له وارث غيرهم، سواء فيه صغار ولده وكبارهم وإناثهم في أن جميع ذلك بينهم.

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت على النبي، تبينًا من الله الواجب من الحكم في ميراث من مات وخلف ورثة على ما بين، لأن أهل الجاهلية كانوا لا يقسمون من ميراث الميت لأحد من ورثته بعده، ممن كان لا يلاقى العدو ولا يقاتل في الحروب من صغار ولده، ولا للنساء منهم، وكانوا يخصون بذلك المقاتلة دون الذرية، فأخبر الله جل ثناؤه أن ما خلفه الميت بين من سمى وفرض له ميراثًا في هذه الآية..

* * *

(1) سورة النساء آية 11 .

الفصل الثاني

ما جاء في حقوق الابن على والده

قال هلال العيسى: ذكر الله لنا في كتابه الكريم، ورسوله بيّن لنا، أن للابن على والده حقوقاً، وأن الوالد مطالب بالإنفاق من حلال على الابن. وأن يتخير له الأم التي لا يعاب من قبلها وأن يصاحبه إلى المساجد وأن يعلمه شؤون دينه، وأن ينصح له ويؤدبه ويذكره بفضل الله عليه ويخوفه من عقابه ويشوقه لما يقربه من الجنة بالقول والفعل الحسن، ويحضه دائماً على الحسن من الأمور واتباع ما يرفع من شأنه ويجنبه الشيطان، وأن يكون قدوة صالحة له، فصلاح الابن يعود بالفائدة على الأب حياً كان أم ميتاً.

فذكر لنا من أقوال لقمان عليه السلام إلى ابنه ناصحاً ومنبهاً له: قال تعالى: ﴿يَبْنِيْ اِنَّهَا اِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ اَوْ فِي السَّمٰوٰتِ اَوْ فِي الْاَرْضِ يٰٓاْتِ بِهَا اللّٰهُ اِنَّ اللّٰهَ لَطِيْفٌ خَبِيْرٌ ۝۱۶ يَبْنِيْ اَقْرَبَ الصُّلُوٰةِ وَاَمْرٌ بِالْمَعْرُوْفِ وَاَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاَصْبِرْ عَلٰى مَا اَصَابَكَ اِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْاُمُوْر ۝۱۷ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْاَرْضِ مَرَحًا اِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُوْرٍ ۝۱۸ وَاَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ اِنْ اَنْكَرَ الْاَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيْرِ ۝۱۹﴾ (1) ..

588- وهذا القول من لقمان إنما قصد به إعلام ابنه [بجزء من] قدرة الله تعالى. والخردلة يقال: إن الحس لا يدرك لها ثقلاً إذ لا ترجح ميزاناً. أى إن تك زنة (مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ) من خير أو شر عملته (فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ) يوم القيامة، حتى يوفيك جزاءه. أى أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط وجازى عليها إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صماء، أو غائبة ذاهبة في أرجاء السماوات أو الأرض فإن الله يأتى بها، لأنه

(1) سورة لقمان الآيات 16/19.

لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض. ولهذا قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) أى لطيف العلم فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت. والمعنى أن أعمال المعاصي والطاعات والحسنة أو الخطيئة [حتى وإن كانت] مثقال حبة بمعنى المبالغة والانتهاه في التفهيم، أى أن قدرته تعالى تنال ما يكون في تضاعيف صخرة وما يكون في السماء والأرض فهو (لَطِيفٌ خَبِيرٌ) أى لطيف باستخراجها خبير بمستقرها.

يقول تعالى ذكره خبراً عن قول لقمان لابنه: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ) بحدودها (وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ) وأمر الناس بطاعة الله واتباع أمره (وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ) وانه الناس عن معاصي الله ومواقعة محارمه (وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ) من الناس في ذات الله إذا أنت أمرتهم بالمعروف ونهيتهن عن المنكر، ولا يصدنك عن ذلك ما نالك منهم [من أذى ومضرة] (إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) أى مما أمر الله به من الأمور عزمًا منه، فحقيقة الإيمان الصبر على المكروه.

وقال ابن خويز منداد: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) أى لا تعرض عنهم تكبرا عليهم وإعجابا [بنفسك] واحتقارا لهم. [ولا تذلل نفسك]. نهى أن يذل الإنسان نفسه من غير حاجة، ونحو ذلك روى عن النبي أنه قال: (ليس للإنسان أن يذل نفسه). (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) أى متبخترا متكبرا، مختالاً في مشيتك (وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) لما نهاه عن الخلق الذميم رسم له الخلق الكريم الذى ينبغى أن يستعمله فقال: "وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ" أى توسّط فيه. أى لا تدب ديبب المتماوتين ولا تثب وثب الشطار، أى انقص منه ولا تتكلف رفع الصوت وخذ منه ما تحتاج إليه فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلف يؤذي. والمراد بذلك كله التواضع (إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) أى أقبحها وأوحشها والحمير مثل في الدم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه، أى لو أن شيئاً يهاب [لعلو صوته] لكان الحمير، فجعلهم في المثل سواء. وهذه الآية أدب من الله تعالى بترك الصياح في وجوه الناس تهاوناً بهم، أو بترك الصياح جملة.

589- كان يقال: الأدب من الأباء، والصلاح من الله تعالى. من أدب ابنه صغيراً قرت عينه به كبيراً .

وقال العلماء: إن على ولي الصبي أن يأمره بالصلاة لسبع، ويجب عليه ضربه على تركها لعشر. ويجب عليه أيضاً أن يعلمه ما يجب عليه علمه، أو يقيم له من يعلمه ذلك. ويحرم على الولي تمكين الصغير من لبس ثوب حرير ونحوه [أى من لبس الأشياء التى تؤدى إلى خنوثة وميوعة وعدم رجولة]، وكذا من فعل كل محرم .

وَأَنْكَرَ عَلَى الصَّبِّانِ كُلِّ مُحَرَّمٍ لِبَاسِهِمْ وَالْعِلْمُ فِي الشَّرْعِ لِرَدِّي
590- عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ: أعينوا أولادكم على البر، من شاء استخرج العقوق من ولده⁽¹⁾.. رواه الطبرانى فى الأوسط..

591- قال منبه بن وهب: بلغنى عن عطاء بن أبى رباح أن رسول الله ﷺ قال: رحم الله والدًا أعان ولده على بره. قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: يقبل إحسانه ويتجاوز عن إساءته⁽²⁾.. [المعنى أن بر الوالدين بالابن مطلوب والإعانة عليه واجبة لوجود المعروف والخير].

592- رحم الله والدًا أعان ولده على بره. رواه أبو الشيخ فى الثواب بسند ضعيف عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً .

وفى مسند الفردوس للديلمى عن معاذ بن جبل مرفوعاً: ربّ والدين عاقين، الولد يبرهما وهما يعقانه فيكتبان عاقين⁽³⁾.

وترجم البخارى فى الأدب المفرد بُر الأب لولده. وروى بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: إنما سماهم أبراراً لأنهم بروا الآباء والأبناء، فكما أن لوالدك عليك حقاً كذلك لولدك عليك حق.

(1) مجمع الزوائد ج 8 ص 146 رقم 1407.

(2) الجامع فى الحديث ج 1 ص 212 رقم 138.

(3) كشف الخفاء ج 1 ص 514 رقم 1376.

وفي المجالسة للدينوري من حديث المدائني أن رجلاً قال لأبيه: يا أبت، إن عظيم حقك عليّ لا يذهب صغير حقى عليك، والذي تمت به إليّ أمت بمثله إليك، ولست أزعم أنا على سواء..

593- قيل: حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية [وركوب الخيل] وأن لا يرزقه إلا طيباً.. الكتابة عون له على الدين والدنيا، والسباحة منجاة من الهلاك، والرماية دفع عن مهجته وحريمه، وشرف له عند لقائه العدو [وركوب الخيل للجهاد والسفر ونحوه]، ولا يرزقه إلا طيباً لئلا ينبت لحمه على سحت فتتزع منه البركة، [فيكون عدواً] وهذه الخصال رؤوس الآداب..

594- عن أبي هريرة قال النبي ﷺ: يلزم الوالدين من البر لولدهما ما يلزم الولد. يؤدبانه ويزوجانه⁽¹⁾..

595- عن أبي هريرة قال النبي ﷺ: يلزم الوالد من العقوق لولده ما يلزم الولد من العقوق لوالده⁽²⁾..

596- قال ﷺ: من رزقه الله ولدًا ولم يعلمه القرآن، إلا كان كل ذنب يعمل به الولد على أبيه، ويوم القيامة يحاسب أباه على تركه تعليم القرآن، ويقضى الله له عليه⁽³⁾..

597- عن أبي هريرة يبلغ به النبي قال: ما من رجل يُعَلِّم ولده القرآن في الدنيا، إلا توج أبوه يوم القيامة بتاج في الجنة، يعرفه أهل الجنة بتعليمه ولده القرآن في الدنيا⁽⁴⁾.. لم يروه عن عباد بن أبي صالح إلا جابر بن سليم، تفرد به موسى..

(1) جامع الأحاديث ج 9 ص 346 رقم 28854.

(2) جامع الأحاديث ج 9 ص 345 رقم 28853.

(3) تنقيح القول الحثيث بشرح لباب الحديث ج 1 ص 6.

(4) المعجم الأوسط ج 1 ص 36.

598- عن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده قال رسول الله ﷺ: ما نحل والد ولدًا خيراً له من أدب⁽¹⁾ ..

599- عن عبدالله ﷺ قال رسول الله ﷺ: يؤتى بالرجل من أمتي يوم القيامة وما له من حسنة ترجى له الجنة، فيقول الرب: أدخلوه الجنة فإنه كان يرحم عياله⁽²⁾ ..

600- عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: أيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه، احتجب الله منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين⁽³⁾ ..

601- [ومن حديث للنبي] قال: ومن حق الولد على والده أن لا يجحد نفسه، وأن يحسن أدبه⁽⁴⁾ ..

602- وعن خالد بن معدان قال: من حق الولد على والده أن يحسن أدبه وتعليمه، فإذا بلغ اثنتي عشرة سنة فلا حق له. وقد وجب حق الوالد على ولده فإن هو أرضاه فليتخذه شريكاً، وإن لم يرضه فليتخذه عدواً ..

603- عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: من كان له ثلاث بنات، فصبر على لأوائهن وسرائهن وضرائهن، أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن. فقال رجل: وابنتان؟ قال: وابنتان، قال رجل: وواحدة؟ قال: وواحدة⁽⁵⁾ ..

604- عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهونها ولم يؤثر ولده [يَعْنِي أَبْنَاءَ الذُّكُورِ] عليها، أدخله الله الجنة⁽⁶⁾ ..

(1) سنن البيهقي الكبرى ج 2 ص 18 .

(2) معجم شيوخ الإسماعيل ج 2 ص 703 رقم 326 .

(3) سنن أبي داود ج 2 ص 279 رقم 2263 .

(4) جامع الأحاديث ج 3 ص 163 رقم 7924 .

(5) مصنف أبي شيبة ج 5 ص 222 رقم 25440 .

(6) سنن أبي داود ج 4 ص 337 رقم 5146 .

605- عن عليّ [بن رباح] قال: بلغني عن سراقه بن مالك أنه حدث: أن رسول الله ﷺ قال له: يا سراقه، ألا أدلك على أعظم الصدقة أو من أعظم الصدقة؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: ابنتك مردودة إليك، ليس لها كاسب غيرك⁽¹⁾.. [المعنى أى راعى ابنتك إن طلقت أو توفي زوجها فردت إلى بيتك، فاحرص عليها لا تغضبها، وبرها ولا تهنها، وعاملها بالمعروف واعطف عليها فإن ما تم بشأنها، إنما هو بقضاء الله، فلا تزدها على ما بها همًّا وغمًّا، وواسها وأعلمها أن عند الله الخير، وأن الخير كل الخير فيما قدره سبحانه وتعالى، وأنصحها بأن تلتجئ إليه، فهو القادر على كشف كل غمة وأن مع العسر يسراً]..

606- قيل: من حق الولد على والده أن يحسن اسمه، أى يسميه باسم حسن لا قبيح، وقلما ترى اسمًا قبيحًا إلا وهو على إنسان قبيح، والله سبحانه بحكمته فى قضائه، يلهم النفوس أن تضع الأسماء على حسب مسمياتها لتناسب حكمته بين اللفظ ومعناه، كما يناسب بين الأسباب ومسبباتها..

607- عن مصعب بن سعد عن أبيه عن النبي قال: حق الولد على والده أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه⁽²⁾..

608- ضرب رجل أباه ف قيل له: أما عرفت حقه؟

قال: لا، لأنه لم يعرف حقى!

قيل: فما حق الولد على الوالد؟

قال: أن يتخير أمه، ويحسن اسمه، ويختنه، ويعلمه القرآن.

وقال: اسمى برغوث، ولا أعلم حرفًا من القرآن، وقد استولدنى من زنجية، ثم كشف عن عورته فإذا هو أقلق!

فقيل للوالد: احتمله فإنك تستأهل..

(1) مسند أحمد بن حنبل ج 4 ص 175 رقم 17622.

(2) معجم الشيوخ ج 1 ص 320.

609- قال محمد بن الأكفاني يحكى عن بعض شيوخه: أن [رجلاً يدعى] شعيباً كان يقول: بلغنى أن من حق الولد على والده، أن يحسن اسمه وصنعتة ومسكنه، ولم يصنع بى أبى شيئاً من ذلك! سماني شعيباً فأسلمنى دباغا وأسكننى فى حارة اليهود..

610- غضب أبو العيناء [فقال] لابنه: يا ابن الزانية! فقال [الابن]: لقد كنت والله أحفظ لأهلك من أهلك لأهله !!

وعير رجل ابنه بأمه فقال: هى والله خير لى منك، لأنها أحسنت لى الاختيار فولدتنى من حر، وأنت أسأت الاختيار فولدتنى من أمة..

611- قال أبو الأسود لبنيه: أحسنت إليكم قبل أن ولدتم وبعده. قالوا: كيف أحسنت قبل الولادة؟ فقال: لأنى اتخذت أمهاتكم من حيث لا تعاون به.
قال شاعر:

حَمَيْتْ عَلَى الْأَوْلَادِ أَطْهَارُ أُمَّهَمْ وَبَعْضُ الرِّجَالِ الْمَدَّعِينَ جَفَاءُ

612- من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً: الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويأط عنه الأذى، فإذا بلغ ست سنين أدب، فإذا بلغ تسع سنين عزل فراشه، فإذا بلغ ثلاث عشرة ضرب على الصلاة والصوم، فإذا بلغ ست عشرة زوجة أبوه، ثم أخذ بيده وقال: أدبتك وعلمتك وأنكحتك، أعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة⁽¹⁾..

613- قيل: أقوم التقويم ما كان فى الصغر، فأما إذا ترك الولد وطبعه فنشأ عليه ومرن كان رده صعباً كما قال الشاعر :

إِنَّ الْغُصُونَ إِذَا قَوْمَتْهَا اعْتَدَلَتْ وَلَا يَلِينُ إِذَا قَوْمَتْهُ الْخَشَبُ

قَدْ يَنْفَعُ الْأَدَبُ الْأَحْدَاثَ فِي مَهْلٍ وَلَيْسَ يَنْفَعُ فِي ذِي الشَّيْبَةِ الْأَدَبُ

قال رجل لسفيان الثوري: أنضرب أولادنا على الصلاة؟ قال: بل بشرهم..

(1) الأحاديث التى فى الإحياء ولم يجد لها السبكى إسناداً ج 6 ص 318.

614- قيل: الولد سبع سنين سيد وأمير، وسبع سنين عبد وأسير، وسبع سنين أخ ووزير. فإن رضيت مكانته وإلا فاضرب على جنبه فقد أعذرت فيما بينك وبينه .

615- كان الحكماء يقولون: ابنك ريحانتك سبع سنين، وخادمك سبع سنين فإن صار ابن أربع عشرة سنة فإن أحسنت إليه فهو شريكك، وإن أسأت إليه فهو عدوك، ولا ينبغي أن يضرب بعد بلوغه ولا أن يساء إليه، لأنه حينئذٍ يتمنى فقد الوالد ليستبد برأى نفسه، ومن بلغ عشرين سنة ولم يصلح فبعيد صلاحه..

616- قال بعض الحكماء: ابنك ريحانك سبعاً، وخادمك سبعاً، ووزيرك سبعاً ثم هو صديق أو عدو .

عن محمد بن حاطب قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول لرجل: أدّب ابنك فإنك مسؤول عن ولدك ما علمته. وهو مسؤول عن برك وطاعته لك..
قال أحدهم :

نعم الإله على العباد كثيرة وأجلهن نجابة الأبناء

617- قال أبي بن كعب: ليس على الوالد جناح فيما أدب ولده..

618- قال لقمان: ضرب الوالد للولد كمطر السماء للزرع..

619- عن ابن عمر رضي الله عنهما: دعاء الوالد للولد، كالماء للزرع بصلاحه..

620- [ومن حديث لرسول الله ﷺ قال]: دعاء الوالدين للولد كالأخذ باليد⁽¹⁾..

621- قال ابن عباس: أطوعمكم الله من الآباء والأبناء أرفعكم درجة يوم القيامة، لأن الله عزّ وجلّ يشفع المؤمنين بعضهم في بعض، فإن كان الوالد أرفع درجة في الجنة من ولده رفع الله إليه ولده في درجته ليقرّ بذلك عينه، وإن كان الولد أرفع درجة من والديه رفع الله والديه إلى درجته ليقرّ بذلك عينيها.

(1) جامع الأحاديث ج 4 ص 348 رقم 12076.

قال الحسن: لا تدرون بأيهم أنتم أسعد في الدين والدنيا..

622- قال الباجي: خير الآباء للأبناء من لم تدعه المودة إلى التقصير. وخير الأبناء للآباء من لم يدعه التقصير إلى العقوق .
وقيل: المودة بين الآباء قرابة بين الأبناء..

623- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: الويل كل الويل لمن ترك عياله بخير وقدم على ربه بشر⁽¹⁾.. [المراد التنبيه لمن دفعه بره وحبه الشديد بأبنائه، إلى أن ترك لهم مالا وضياعا وكنز لهم الكنوز شفقة ومحبة لهم وقدم على ربه بشر، وقد اكتسب ذلك من غير حلّه، أو لم يخرج منه ما استحق عليه] .. هذا وإن كان معناه حقاً فهو موضوع.. رواه عن قتادة إبراهيم بن أحمد العسكري مجهول مثله..

* * *

(1) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ج 5 ص 467 رقم 6871 [6724] .

الفصل الثالث

بر الآباء للأبناء بالنصح والإرشاد والصبر عليهم

624- قال مسعر لابنه:

إِنِّي مِنْحْتُكَ يَا كِدَامُ نَصِيحَتِي فَاسْمَعْ لِقَوْلِ أَبِي عَلَيْكَ شَفِيقِ
أَمَّا الْمَزَاحَةُ وَالْمِرَاءُ فَدَعُهُمَا خُلُقَانِ لَا أَرْضَاهُمَا لَصَدِيقِ
إِنِّي بِلَوْثُهُمَا فَلَمْ أَحْمَدُهُمَا مُجَاوِرِ جَارًا وَلَا لِرَفِيقِ

625- قال العتبي لابن له صغير: يا بني اعرف وصية الله إياك بي. فقال: يا أبت

وأنت اعرف وصيته إياك بي. واستجز الأولى بالأخرى!

626- عن عكرمة بن خالد أن سعدًا قال لابنه: حين حضره الموت: يا بني إنك لن

تلقى أحدا هو أنصح لك مني، إذا أردت أن تصلي فأحسن وضوءك ثم صل صلاة لا ترى أنك تصلي بعدها، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر، وعليك باليأس [مما في أيدي الناس] فإنه الغنى، وإياك وما يعتذر منه من العمل والقول واعمل ما بدا لك..

627- عن المازني: قال رجل لابنه: يا بني اجتنب صحبة ثلاثة واصحب من

سواهم: اجتنب صحبة الفاسق فإنه يبيعك بأكله وشربه، والجبان فإنه يسلمك ويسلم والديه، والبخيل فإنه يخذلك [عندما تكون] أحوج ما تكون إليه..

628- عن أبي حفصة: قال عبادة بن الصامت لابنه: يا بني لن تجد طعم حقيقة

الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال ربي: وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة». يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات على غير هذا فليس مني» (1) ..

(1) مسند الشاميين ج 1 ص 58.

629- عن وهب بن منبه قال رجل من العباد لابنه: يا بني لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة بطول الأمل..

630- عن عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا قال: حدثني بعض أهل العلم قال رجل من العرب لابنه: أى بنى إنه من خاف الموت بادر الفوت، ومن لم يلجم نفسه عن الشهوات أسرعت به التبعات، والجنة والنار أمامك..

631- قال أبو الأسود الدؤلى لابنه: يا بنى إذا وسع الله عز وجل عليك فوسع، وإذا قتر عليك فاقتر ولا تجاود الله عز وجل فإنه أكرم وأقدر وأجود..

632- عن العباس بن هشام عن أبيه قال عربي لابنه: يا بنى اعلم أن القبر خير من الفقر، وذهاب البصر خير من كثير من النظر، ومن كرم الكريم الدفاع عن الحرم، ومن قل ذل، ومن أمن قل، وخير الغنى القنوع، وشر الفقر الخضوع، فإذا كان إليك فلا تنظر وإذا كان عليك فاصطر وكلاهما مستحسن..

633- عن معاوية بن قرة قال معاذ رضي الله عنه لابنه: يا بنى إذا صليت صلاة فصلّ صلاة مودع لا تظن أنك تعود إليها أبدا، واعلم يا بنى أن المؤمن يموت بين حسنتين: حسنة قدمها وحسنة أخرها..

634- عن عليّ بن زيد بن جدعان قال: حضر رجلاً من الأنصار الموت فقال لابنه: يا بنى إني موصيك بوصية فاحفظها فإنك إلا تحفظها مني خليق أن لا تحفظها من غيري، اتق الله عز وجل وإن استطعت أن تكون خيراً منك أمس وغدا خيراً منك اليوم فافعل، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر، وعليك بالأسى فإنك لا تياس من شيء إلا أغناك الله عنه، وإياك وكل شيء يعتذر منه، فإنه لا يعتذر من خير، وإذا عثر عاثر من بنى آدم فاحمد الله أن لا تكونه، فإذا قمت إلى صلاتك فصلّ صلاة المودع وإنك ترى أنك لا تصلى بعدها أبدا..

635- قال سليمان عليه السلام لابنه: يا بنى، لا تقطع أمراً حتى تؤامر مرشداً فإنك إذا فعلت ذلك لم تحزن عليه..

636- عن عبد الملك بن أبي سوية المنقرى قال: شهدت قيس بن عاصم وهو يوصى فجمع بنيه وهم اثنان وثلاثون ذكرا فقال: يا بنى إذا أنا مت فسودوا أكبركم تخلفوا أباكم ولا تسودوا أصغركم فيزرى بكم ذاك عند أكفائكم، ولا تقيموا على نائحة فإنى رأيت رسول الله ﷺ نهى عن النياحة، وعليكم بإصلاح المال فإنها منبهة للكريم ويستغنى به عن اللثيم، ولا تعطوا رقاب الإبل إلا فى حقها ولا تمنعوها من حقها، وإياكم وكل عرق سوء فمهما سرکم يوم فما يسوؤکم أكثر، واحذروا أبناء أعدائکم فإنهم لکم أعداء على منهاج آبائهم، وإذا أنا مت فادفنونى فى موضع لا يطلع على أهل هذا الحى من بكر بن وائل، فإنها كانت بينى وبينهم خماشات فى الجاهلية، فأخاف أن ينبشونى من قبرى فتفسدوا عليهم دنياهم فيفسدوا عليكم آخرتكم. ثم دعا بكنانته فأمر ابنه الأكبر فقال: أخرج سهما من كنانتى؟ فأخرجه، فقال: اكسره؟ فكسره، ثم قال: أخرج سهمين؟ فأخرجهما فقال: اكسرها؟ فكسرها، قال: أخرج ثلاثة أسهم؟ فأخرجها، فقال: اعصبتها بوتر؟ فعصبتها، ثم قال: اكسرها؟ فلم يستطع كسرها، فقال: يا بنى هكذا أنتم بالاجتماع وكذلك أنتم بالفرقة ثم أنشأ يقول :

وَأَحْيَىٰ فِعَالَهُ الْمُؤَلُّودُ	إِنَّمَا الْمَجْدُ مَا بَنَىٰ وَالِدُ الصَّدَقِ
إِذَا زَانَهَا عَفَافٌ وَجُودُ	وَكَفَىٰ الْمَجْدُ وَالشَّجَاعَةُ وَالْحُلُمُ
عَقَدْتُمْ لِلنَّائِبَاتِ الْعُهُودُ	وَتَلَاثُونَ يَا بَنَىٰ إِذَا مَا
شَدَّهَا لِلْمُرَادِ عَقْدٌ شَدِيدُ	كَثَلَاثِينَ مَنْ قَدِ احْ إِذَا مَا
أَوْدَىٰ بِجَمْعِهِ النَّبِيُّ دَرِيدُ	لَمْ تُكْسَرْ وَإِنْ تَبَدَّدَتِ الْأَسْهُمُ
أَنْ يَكُونَ مِنْكُمْ لَهُمْ تَسْوِيدُ	وَدَوُّ السِّنِّ وَالْمُرُوَّةُ أَوْلَىٰ
يَبْلُغُ الْحِنْثُ الْأَصْغَرَ الْمَجْهُودُ	وَعَلَيْهِمْ حَفِظُ الْأَصَاغِرِ حَتَّىٰ

637- وعن ابن عمر قال رسول الله ﷺ ألا أخبركم بوصية نوح ابنه؟ قالوا: بلى، قال: أوصى نوح ابنه فقال لابنه: يا بنى إني أوصيك باثنتين وأنهاك عن اثنتين: أوصيك

بقول: لا إله إلا الله فإنها لو وضعت فى كفة ووضعت السموات والأرض فى كفة لرجحت بهن. ولو كانت حلقة لقصمتهن حتى تخلص إلى الله. وبقول: سبحان الله العظيم وبحمده، فإنها عبادة الخلق وبها تقطع أرزاقهم .

وأنهاك عن اثنتين: الشرك والكبر، فإنهما يحجبان عن الله .فقيل: يا رسول الله أمن الكبر أن يتخذ الرجل الطعام فيكون عليه الجماعة أو يلبس النظيف؟ قال: ليس يعنى بالكبر إنما الكبر أن تسفه الخلق وتغمص الناس⁽¹⁾ .. رواه البزار وفيه محمد بن إسحق وهو مدلس وبقية رجاله رجال الصحيح..

* * *

(1) مجمع الزوائد ج 10 ص 84.

الفصل الرابع

ما جاء في مَنْ قَتَلَ ابْنَهُ

638- عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: لا تقام الحدود في المساجد ولا يقاد والد بولد⁽¹⁾..

639- عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: كانت لرجل من بنى مدلج جارية أصاب منها ابناً، فكان يستخدمها، فلما شبَّ الغلام دعى بها [الرجل] يوماً فقال اصنعي كذا وكذا؟ فقال الغلام: لا، حتى متى تستأمر أمي؟! فغضب أبوه فحذفه بسيفه فأصاب رجله فنزف الغلام فمات. فانطلق في رهط من قومه إلى عمر رضي الله عنه فقال: يا عدو نفسي، أنت الذي قتلت ابنك؟! لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يقاد الأب بابنه لقتلتك. هلم ديتي. فأتاه بعشرين وثلاثين ومائة بعير، فتخير منها مائة فدفعها لورثته وترك أباه⁽²⁾..

640- [عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال]: سألت أبي عن الرجل يقتل أباه أو ابنه أيقتل به إذا كان له ولي [الدم] غيره؟ فقال أبي: أما الأب، فلا يقتل إذا قتل ابنه لا يقاد به، يكون عليه الدية لغير أبيه ممن يرثه بعد أبيه. وأما الابن يقتل أباه، فإنه يقاد به إن شاء ورثته..



(1) المعجم الكبير ج 11 ص 5 رقم 10846.

(2) المنتقى من السنن المسندة لابن الجارود ج 1 ص 199 رقم 788.

خاتمة الكتاب :

تم الكتاب بحمد الله في يوم الجمعة الموافق العاشر من شهر رمضان المبارك من عام ألف وأربعمائة وواحد وثلاثين من هجرة المصطفى . الموافق العشرين من شهر أغسطس لعام ألفين وعشرة ميلادية . ولا يخفى عليكم أن هذا العمل من صنع الإنسان . فمن وجد خطأ فليلتمس لنا العذر . وليقدم لنا النصح ، مأجوراً ومشكوراً عليه ، وليعلمنا عبر :

[e-mail: helalalessa@hotmail.com]

[http://www.helalalessa.com]

وأستغفر الله من كل ما كتبت رغم حرصى ، إن كان فيه ما لا يرضى الله ورسوله وأسأل الله جل وعلا أن يقينى الزلل ، وأن يجعل عملى وسعياً خالصين لوجهه الكريم . فحسبى الله ونعم الوكيل وصلى اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . كتبه أضعف عباد الله لله / هلال بن محمد عبد الله العيسى غفر الله له ولوالديه وللمسلمين ..

[كتب للمؤلف هلال مُحَمَّد عَبْدُ اللَّهِ الْعِيسَى]

عضو اتحاد كتاب مصر . عضو اتحاد المؤرخين العرب .

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية .

عضو المنظمة العالمية للكتاب الأفريقيين والآسيويين .

1- الأيام الخوالى فى أخبار النساء والإماء والجوارى .

2- حدائق الأدب .

3- كشف الخفاء عما جاء فى ذم النساء، من له أذن فليسمع ومن له عين فليقرأ. أفسى ما

قالته العرب والعجم وفلاسفتهم على مرّ العصور. فى كيد وغدر وعدم وفاء النساء

وأفسى ما قاله الرجال والنساء فى النساء .

4- المدَّعون. ذكر نبأ من ادعى الألوهية والنبوة وقرأتهم المزعوم وخبر من تزندق.

5- العدل فى القرآن والسنة وأشهر قصص العدل فى الأدب والتاريخ .

6- قصص الجن وأخبارهم فى الدين والتاريخ والأدب العربى .

7- قصص النفاق وأخبار المنافقين فى الدين والتاريخ والأدب العربى .

8- روائع أبيات الحكم والنصائح والمواعظ والمثل فى الشعر والأدب العربى .

9- سيرة لقمان الحكيم حكمه ونصائحه ووصاياه .

10- جامع روائع الحكم والنصائح والمواعظ والمثل فى الأدب والتاريخ وما تمثل به

العرب والعجم عن ألسن الطير والحيوان .

11- سيرة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام حكمه ونصائحه ووصاياه .

12- جامع الخشية والرقعة والبكاء .

13- العقوق والبر .

14- المضحكات والمبكيات .

- 15- حكم وأمثال ووصايا من التوراة والتلمود والزبور والأناجيل وأقوال أشهر
أحبارهم ورهبانهم.
- 16- قضاة على أبواب الجنة وآخرون على شفير جهنم .
- 17- الأحبار الثلاثة. إسلامهم- روائع حكمتهم- أشهر أقوالهم .
- 18- يا بني آدم. أطيعوني بقدر حاجتكم إلى واعصوني بقدر صبركم على النار. عتاب
من الله لخلقه تحذير وتنبيه .
- 19- سيرة عابد الحرمين النقي النقي الزاهد الباكي الفضيل بن عياض رحمته الله .
- 20- علماء تضيء بهم الجنان وآخرون تستعر بهم النيران .
- 21- الشفرة السرية للزواج .. عندما يتلأأ البلاء في الحياة الزوجية.

* * *

المراجع

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
لسان العرب	ابن منظور		دار صادر
تفسير القرطبي	القرطبي		دار الشعب القاهرة
تفسير الطبري	الطبري		دار الفكر بيروت
تفسير القرآن العظيم	ابن كثير		دار الفكر بيروت
تفسير النسفي	النسفي		لا يوجد
تفسير السمعاني	السمعاني	ياسر بن إبراهيم غنيم بن عباس بن غنيم	دار الوطن الرياض
تفسير البحر المحيط	أبى حيان الأندلسي	عادل أحمد عبدالموجود واخرين	دار الكتب العلمية بيروت
الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)	الثعلبي	أبى محمد عاشور الساعدي	دار إحياء التراث العربي بيروت
تفسير الجلالين	المحلى والسيوطي		دار الحديث القاهرة
تفسير التحرير والتنوير	محمد الطاهر بن عاشور		دار سحنون تونس
تفسير السلي وهو حقائق التفسير	السلي	سيد عمران	دار الكتب العلمية لبنان
تفسير القشيري	النيسابوري	عبد اللطيف حسن	دار الكتب العلمية بيروت
تفسير ابن أبي حاتم	الرازي	أسعد محمد الطيب	المكتبة العصرية بيروت
تفسير الصنعاني	الصنعاني	د. مصطفى مسلم محمد	مكتبة الرشد الرياض
المسعى لباب التأويل في معاني التنزيل	الخازن		دار الفكر بيروت
روح المعاني في تفسير القرآن العظيم	الألوسي		دار إحياء التراث العربي بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان	النيسابوري	الشيخ زكريا عميران	دار الكتب العلمية بيروت
تفسير البغوي	البغوي	خالد عبد الرحمن العك	دار المعرفة بيروت
جامع البيان عن تأويل آي القرآن	الطبري		دار الفكر بيروت
مسند إسحاق بن راهويه	بن راهويه الحنظلي	د. عبد الغفور بن عبد الحق	مكتبة الإيمان الرياض
تهذيب الآثار مسند عمر بن الخطاب	الطبري	محمود محمد شاكر	مطبعة الممدنى القاهرة
مسند البزار	أبو بكر البزار	محفوظ عبد الرحمن زين الله	مؤسسة علوم القرآن بيروت
مسند الشاميين	الطبراني	حمدي بن عبد المجيد	مؤسسة الرسالة بيروت
مسند الشافعي	الشافعي		دار الكتب العلمية بيروت
مسند أبي يعلى	الموصلى	حسين سليم أسد	دار المأمون للتراث دمشق
مسند ابن الجعد	علي بن الجعد	عامر احمد حيدر	مؤسسة نادر بيروت
مسند الروياني	محمد هارون الروباني	ايمن على ابو يمانى	مؤسسة قرطبة القاهرة
مسند ابن أبي شيبة	أبو بكر عبد الله أبي شيبة		مكتبة الرشد الرياض
مسند الطيالسي	الطيالسي	كمال يوسف الحوت	دار المعرفة بيروت
مسند أحمد بن حنبل	أحمد بن حنبل		مؤسسة قرطبة القاهرة
صحيح البخارى	البخاري	د. مصطفى ديب البغا	دار ابن كثير، اليمامة بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
صحيح مسلم	النيسابوري	محمد فؤاد عبد الباقي	دار إحياء التراث العربي بيروت
صحيح ابن حبان	محمد بن حبان	شعيب الأرناؤوط	مؤسسة الرسالة بيروت
بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (زوائد الهيثمي)	الهيثمي	د. حسين أحمد صالح الباكري	مركز خدمة السن والسيرة النبوية المدينة المنورة
المستدرک على الصحيحين	النيسابوري	مصطفى عبد القادر عطا	دار الكتب العلمية بيروت
فيض القدير شرح الصغير	عبد الرؤف المناعي		المكتبة التجارية القاهرة
شرح سنن ابن ماجه	السيوطي وآخرون		لا يوجد
شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك	محمد عبد الباقي الزرقاني		دار الكتب العلمية بيروت
شرح فتح القدير	كمال الدين السيواسي		دار الفكر بيروت
شرح النووي على صحيح مسلم	النووي		دار إحياء التراث العربي بيروت
شرح صحيح البخاري	ابن بطلال	أبو تميم ياسر بن إبراهيم	مكتبة الرشد الرياض
تحفة الحبيب على شرح الخطيب	سليمان محمد البجيرمي		دار الكتب العلمية بيروت
كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال	علاء الدين الهندي	محمود عمر الدمياطي	دار الكتب العلمية بيروت
المعجم الأوسط	الطبراني	طارق بن عوض الله محمد عبد المحسن إبراهيم الحسيني	دار الحرمين القاهرة

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
أسنى المطالب في شرح روض الطالب	محمد بن درويش الحوت	مصطفى عبد القادر عطا	دار الكتب العلمية بيروت
غذاء الألباب شرح منظومة الأداب	الحنبلي	محمد عبدالعزیز الخالدي	دار الكتب العلمية بيروت
المحلى	ابن حزم	لجنة إحياء التراث العربي	دار الآفاق الجديدة بيروت
المطالب العالية	العسقلاني	د. سعد بن ناصر الشثري	دار العاصمة دار الغيث الرياض
شعب الإيمان	البهقي	محمد السعيد بسيوني	دار الكتب العلمية بيروت
الجامع في الحديث	القرشي	د. مصطفى حسن وحسين أبو الخير	دار ابن الجوزي الرياض
الإصابة في تمييز الصحابة	العسقلاني	على محمد البجاوي	دار الجيل بيروت
تخريج الأحاديث والآثار	الزيلي	عبد الله بن عبد الرحمن السعد	دار ابن خزيمة الرياض
المعجم الكبير	الطبراني	حمدي بن عبد المجيد	مكتبة الزهراء بغداد
تنقيح القول الحثيث بشرح لباب الحديث	النووي		مطبعة مصطفى البابي القاهرة
حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة	السيد محمد صديق	د مصطفى الخن ومحي الدين ستو	مؤسسة الرسالة بيروت
جامع الاحاديث	السيوطي		لا يوجد
سنن الترمذي	الترمذي	أحمد محمد شاكر وآخرون	دار إحياء التراث العربي بيروت
سنن النسائي الكبرى	النسائي	د.عبد الغفار سليمان سيد كسروي حسن	دار الكتب العلمية بيروت
سنن أبي داود	السجستاني	محمد محيي الدين عبد الحميد	دار الفكر
سنن ابن ماجه	القزويني	محمد فؤاد عبد الباقي	دار الفكر بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
سنن الدارقطني	على بن عمر الدارقطني	السيد عبدالله هاشم المدني	دار المعرفة بيروت
سنن البيهقي الكبرى	البيهقي	محمد عبد القادر عطا	مكتبة دار الباز الرياض
السنن الصغرى للبيهقي	محمد الأعظمي		مكتبة الرشد الرياض
سنن سعيد بن منصور	الخراساني	حيب الرحمن الأعظمي	الدار السلفية الهند
الفتح الكبير	السيوطي	يوسف النبهاني	دار الفكر بيروت
نزهة الأعين النواظر	ابن الجوزي	محمد عبد الكريم كاظم الرازي	مؤسسة الرسالة بيروت
التدوين في أخبار قزوين	القزويني	عزيز الله العطاري	دار الكتب العلمية بيروت
الفردوس بمأثور الخطاب	الهمداني	السعيد بسيوني زغلول	دار الكتب العلمية بيروت
معجم جامع الأصول في أحاديث الرسول	ابن الأثير		لا يوجد
سبل الهدى والرشاد	محمد يوسف الصالحي	عادل أحمد عبد الموجود على محمد معوض	دار الكتب العلمية بيروت
مصنف عبد الرزاق	الصنعاني	حيب الرحمن الأعظمي	المكتب الإسلامي بيروت
علل الحديث	الرازي	محب الدين الخطيب	دار المعرفة بيروت
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان	ابن خلكان	احسان عباس	دار الثقافة بيروت
نظم الدرر في تناسب الآيات والسور	رهان الدين البقاعي		دار الكتب العلمية بيروت
تاريخ بغداد	البغدادي		دار الكتب العلمية بيروت
الكامل في ضعفاء الرجال	الجرجاني	يحيى مختار غزاوي	دار الفكر بيروت
الكامل في التاريخ	الشيباني	عبد الله القاضي	دار الكتب العلمية بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
تاريخ اليعقوبي	اليعقوبي		دار صادر بيروت
تاريخ الطبري	أبي جعفر محمد الطبري		دار الكتب العلمية بيروت
تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام	شمس الدين محمد الذهبي	د. عمر عبد السلام تدمري	دار الكتاب العربي بيروت
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم	ابن الجوزي		دار صادر بيروت
تاريخ مدينة دمشق	أبي القاسم علي الشافعي	محب الدين العمري	دار الفكر بيروت
المعرفة والتاريخ	الفسوي		لا يوجد
الدر المنثور	السيوطي		دار الفكر بيروت
سمط النجوم العوالي	العاصمي	عادل أحمد عبد الموجود علي محمد معوض	دار الكتب العلمية بيروت
شذرات الذهب	عبدالحى بن أحمد العسكري	عبد القادر الأرناؤوط محمود الأرناؤوط	دار بن كثير دمشق
صفة النار	ابن أبي الدنيا	محمد خير رمضان يوسف	دار ابن حزم بيروت
البداية والنهاية	ابن كثير		مكتبة المعارف بيروت
عمدة القارى	العيني		دار إحياء التراث العربي بيروت
حلية الأولياء	الأصبهاني		دار الكتاب العربي بيروت
الإتقان في علوم القرآن	السيوطي	سعيد المنذوب	دار الفكر بيروت
محاضرات الأدباء	الأصبهاني	عمر الطباع	دار القلم بيروت
اللباب في علوم الكتاب	أبو حفص عمر الدمشقي	عادل أحمد عبد الموجود علي محمد معوض	دار الكتب العلمية بيروت
شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور	السيوطي	عبد المجيد طعمة حلي	دار المعرفة بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية	ابن الجوزي	خليل الميس	دار الكتب العلمية بيروت
نوادير الأصول فى أحاديث الرسول	الترمذي	عبد الرحمن عميرة	دار الجيل بيروت
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد	الهيثمى		دار الريان للتراث/دار الكتاب العربى القاهرة بيروت
كتاب الأمالى المعروفة بالأمالى الخميسية	الجرجاني	محمد حسن اسماعيل	دار الكتب العلمية بيروت
الموضوعات	أبو الفرج القرشي	توفيق حمدان	دار الكتب العلمية بيروت
التيسير بشرح الجامع الصغير	المنافى		مكتبة الإمام الشافعى الرياض
زاد المعاد	الزرعي	شعيب الأرناؤوط عبد القادر الأرناؤوط	مؤسسة الرسالة مكتبة المنار الإسلامية بيروت الكويت
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء	أبو نعيم الأصبهاني		دار الكتاب العربى بيروت
مصباح الزجاجة فى زوائد ابن ماجه	أحمد بن أبى بكر الكنانى	محمد المنتقى الكشناوى	دار العربية بيروت
الزهد لابن حنبل	الشيبياني		دار الريان للتراث القاهرة
الزهد الكبير	لبمقي	عامر أحمد حيدر	مؤسسة الكتب الثقافية بيروت
فتح البارى	العسقلاني	محب الدين الخطيب	دار المعرفة بيروت
الترغيب والترهيب	المنذرى	إبراهيم شمس الدين	دار الكتب العلمية بيروت
الأدب المفرد	محمد إسماعيل الجعفى	محمد فؤاد عبدالباقى	دار البشائر الإسلامية بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
الطب الروحاني	الجوزي		مؤسسة الكتب الثقافية بيروت
الفقيه والمتفقه	أبو بكر أحمد البغدادي	أبو عبد الرحمن عادل الغرازي	دار ابن الجوزي الرياض
الأمثال لابن سلام	أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي		لا يوجد
زهر الأكم في الأمثال والحكم	الحسن بن مسعود بن محمد		لا يوجد
نفح الطيب	أحمد محمد التلمساني	د. إحسان عباس	دار صادر بيروت
فنون العجائب	أبو سعيد محمد بن علي	مشهور حسن آل سلمان	دار الحراز دار ابن حزم بيروت الرياض
حدائق الأنوار ومطالع الأسرار	محمد بن عمر بحرق	محمد غسان نصوح عزقول	دار الحاوي بيروت
حدائق الأدب	هلال محمد العيسى		مكتبة الرشد الرياض
كتاب الآثار	يعقوب إبراهيم الأنصاري	أبو الوفا	ار الكتب العلمية بيروت
أمالى المحاملى	الحسين المحاملي	د. إبراهيم القيسي	دار ابن القيم الأردن
المفاريِد عن رسول الله ﷺ	أحمد بن علي بن المثنى	عبد الله بن يوسف الجديع	التميمي مكتبة دار الأقصى لكويت
شرح مشكل الآثار	أبو جعفر أحمد الطحاوي	شعيب الأرناؤوط	مؤسسة الرسالة بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
الفوائد لتمام الرازي	تمام بن محمد الرازي	حمدي عبد المجيد السلفي	مكتبة الرشد الرياض
المعجم الصغير (الروض الداني)	الطبراني	محمد شكور محمود الحاج	دار عمار بيروت عمان
المراسيل لأبي داود	سليمان السجستاني	شعيب الأرناؤوط	مؤسسة الرسالة بيروت
كشف القناع عن متن الإقناع	منصور يونس البهوتي	هلال مصيلحي مصطفى هلال	دار الفكر بيروت
المقاصد الحسنة	بو الخير محمد السخاوي	محمد عثمان الخشت	دار الكتاب العربي بيروت
منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل	محمد عlish		دار الفكر بيروت
المحاسن والمساوي	براهيم بن محمد البيهقي	عدنان علي	دار الكتب العلمية
كتاب سيرة لقمان الحكيم حكمه ونصائحه ووصاياه	هلال محمد العيسى		دار الكتاب الحديث القاهرة
الإمام بأحاديث الأحكام	أبو الفتح القشيري	حسين إسماعيل الجمل	دار المعراج الدولية دار ابن حزم الرياض
معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني	لأبي نعيم الأصبهاني		لا يوجد
الخصائص الكبرى	السيوطي		دار الكتب العلمية بيروت
الاعتبار	مؤيد الدولة الكناني		دار الكتب العلمية بيروت
الأحاديث الطوال	الطبراني	حمدي بن عبدالمجيد السلفي	مكتبة الزهراء بغداد
الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار	أبو عمر القرطبي	سالم محمد عطا محمد علي معوض	دار الكتب العلمية بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
الناسخ والمنسوخ للنحاس	أحمد بن محمد النحاس	د. محمد عبد السلام محمد	مكتبة الفلاح الكويت
ميزان الاعتدال في نقد الرجال	شمس الدين محمد الذهبي	على محمد معوض عادل أحمد عبد الموجود	دار الكتب العلمية بيروت
فضائل مكة والسكن فيها	الحسن يسار البصري	سامى مكى العاني	مكتبة الفلاح الكويت
تاريخ جرجان	حمزة يوسف الجرجاني	د. محمد عبد المعيد خان	عالم الكتب بيروت
تاريخ الخلفاء	عبد الرحمن السيوطي	محمد محى الدين عبد الحميد	مطبعة السعادة القاهرة
البدء والتاريخ	المطهر بن طاهر المقديسي		كتبة الثقافة الدينية القاهرة
تاريخ الطبري	أبى جعفر محمد الطبري		دار الكتب العلمية بيروت
مراتب الإجماع فى العبادات والمعاملات	على بن الظاهري		دار الكتب العلمية بيروت
الفروع وتصحيح الفروع	محمد بن مفلح المقدسي	أبو الزهراء حازم القاضي	دار الكتب العلمية بيروت
كتاب الأدب	ابن أبى شيبة	د. محمد رضا القهوجي	دار البشائر الإسلامية بيروت
قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة	ابن تيمية	زهير الشاويش	المكتب الإسلامى بيروت
أخبار أبى حنيفة وأصحابه	أبى عبد الله الصيمري		عالم الكتب بيروت
معجم الصحابة	عبد الباقي بن قانع	صلاح بن سالم المصراتي	مكتبة الغرباء الأثرية المدينة
البدر المنير فى الواقعة فى الشرح الكبير	سراج الدين بن الملقن	مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال	دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
الإجماع	محمد النيسابوري	د. فؤاد عبد المنعم أحمد	دار الدعوة القاهرة
المغرب في حلى المغرب	ابن سعيد المغربي	د. شوقي ضيف	دار المعارف القاهرة
تاريخ واسط	أسلم بن سهل الرزاز	كوركيس عواد	عالم الكتب بيروت
النجوم الزاهرة	جمال الدين الأتابكي		وزارة الثقافة القاهرة
صبح الأعشى فى صناعة الإنشا	القلقشندي	عبد القادر زكار	وزارة الثقافة دمشق
الجامع لأخلاق الراوى وأداب السامع	البغدادي	محمود الطحان	مكتبة المعارف الرياض
مواهب الجليل	محمد المغربي		دار الفكر بيروت
يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر	أبو منصور الثعالبي	د. مفيد محمد قمحية	دار الكتب العلمية بيروت
الديباج (على مسلم)	السيوطي	أبو إسحاق الحويني الأثري	دار ابن عفان الرياض
الدراية فى تخريج أحاديث الهداية	ابن حجر العسقلاني	السيد عبد الله هاشم المدني	دار المعرفة بيروت
شرح كتاب السير الكبير	محمد بن الحسن الشيباني	د. صلاح الدين المنجد	معهد المخطوطات القاهرة
اعتقاد أهل السنة	هبة الله اللالكائي	د. أحمد سعد حمدان	دار طيبة الرياض
المجروحين من المحدثين والضعفاء	محمد بن حيان البستي	محمود إبراهيم زايد	دار الوعى دمشق
ضعفاء العقيلي	أبو جعفر محمد العقيلي	عبد المعطى أمين قلعي	دار الكتب العلمية بيروت
الحجة فى بيان المحجة	أبو القاسم الأصبهاني	محمد بن ربيع بن هادى عمير	دار الراية الرياض

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
أخبار مكة للأزرق	أبو الوليد محمد الأزرق	رشدى الصالح ملحق	دار الأندلس للنشر بيروت
كشف الخفاء عما جاء في ذم النساء	هلال بن محمد العيسى		دار الكتاب الحديث القاهرة
كشف الخفاء ومزيل الإلباس	إسماعيل محم الجراحي	حمد القلاش	مؤسسة الرسالة بيروت
تهذيب الكمال	يوسف بن الزكى	بشار عواد معروف	مؤسسة الرسالة بيروت
المقصد الأرشد فى أصحاب الإمام أحمد	برهان الدين إبراهيم محمد	د عبد الرحمن بن سليمان العثيبي	مكتبة الرشد الرياض
الاستيعاب	ابن عبد البر	على محمد البجاوي	دار الجيل بيروت
مجموع الفتاوى	ابن تيمية	عبد الرحمن بن محمد بن قاسم	مكتبة ابن تيمية
بلغة السالك	أحمد الصاوي		دار الكتب العلمية بيروت
الكسب	محمد بن الحسن الشيباني	د. سهيل زكار	عبد الهادي حرصوني دمشق
مشيخة ابن طهيمان	بدون	بدون	بدون
إصلاح المال	ابن أبي الدنيا	محمد عبد القادر عطا	مؤسسة الكتب الثقافية بيروت
ذم الكلام وأهله	أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي	عبد الرحمن عبد العزيز الشبل	مكتبة العلوم والحكم المدينة
اختلاف العلماء	محمد بن نصر المروزي	صبحى السامرائي	عالم الكتب بيروت
لمجالسة وجواهر العلم	بو بكر أحمد الدينوري		دار ابن حزم بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
معجم الشيوخ	محمد بن أحمد الصيداوي	د. عمر عبد السلام تدمري	مؤسسة الرسالة، دار الإيمان بيروت
المنتقى من السنن المسندة لابن الجارود	النيسابوري	عبدالله عمر البارودي	مؤسسة الكتاب الثقافية بيروت
الأحاديث التي في الإحياء ولم يجد لها السبكي إسنادا	تاج الدين السبكي	د. محمود محمد الطناحي / د. عبد الفتاح محمد الحلو	هجر للطباعة والنشر والتوزيع
معجم أبي يعلى	حمد بن علي الموصلي	رشاد الحق الأثري	دائرة العلوم الأثرية فيصل آباد
نزهة السامعين في رواية الصحابة عن التابعين	ابن حجر العسقلاني	طارق محمد العمودي	دار الهجرة للنشر والتوزيع الرياض
لباب الحديث	جلال الدين السيوطي		مطبعة البابي الحلبي القاهرة
الأغاني	أبو الفرج الأصبهاني	علي مهنا وسمير جابر	دار الفكر للطباعة والنشر بيروت
الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار	ابن أبي شيبة	كمال يوسف الحوت	مكتبة الرشد الرياض
أحكام القرآن للجصاص	حمد بن علي الجصاص	محمد الصادق قمحاوي	دار إحياء التراث العربي بيروت
تنزيه الشريعة	علي بن محمد الكناني	عبد الوهاب عبد اللطيف عبد الله محمد الصديق الغماري	دار الكتب العلمية بيروت
مسائل الإمام أحمد بن حنبل وابن راهويه	عبد الله بن أحمد بن حنبل	زهير الشاويش	المكتب الإسلامي بيروت
كتاب بر الوالدين	أبي بكر الطرطوشي	محمد عبد الحكيم القاضي	مؤسسة الكتب الثقافية بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
البر والصلة	ابن الجوزي	عادل عبد الموجود على	مؤسسة الكتب الثقافية بيروت
مختصر بر الوالدين	عبد الرؤف الحناوي		الحرمين للطباعة والنشر القاهرة

* * *

فهرس الكتاب

7	التمهيد
9	المقدمة

الباب الأول

13

العقوق وما جاء عنه

15	الفصل الأول: تعريف العقوق لغة
16	الفصل الثاني: ما جاء في القرآن الكريم عن العقوق
24	الفصل الثالث: ما جاء في أحاديث الرسول ﷺ عن العقوق
35	الفصل الرابع: ما جاء في من لم ينطق بالشهادة عند الموت لغضب والديه عليه
38	الفصل الخامس: ما جاء في من غزا بدون رضا والديه
43	الفصل السادس: أنت ومالك لأبيك
47	الفصل السابع: ما جاء في من تبرأ من أحد والديه
49	الفصل الثامن: ما جاء في من ضرب أو سب أحد الوالدين
54	الفصل التاسع: ما جاء في من قتل أحد والديه
63	الفصل العاشر: ما جاء عن العقوق من أقوال

الباب الثاني

85

البر وما جاء فيه

87	الفصل الأول: تعريف البر لغة
90	الفصل الثاني: ما جاء عن البر في القرآن الكريم
107	الفصل الثالث: ما جاء في أحاديث رسول الله ﷺ عن بر الوالدين

114	الفصل الرابع: ما جاء في أحاديث رسول الله ﷺ في بر الأم
119	الفصل الخامس: ما جاء من النصائح والوصايا والتحذيرات
126	الفصل السادس: ما جاء في استجابة الله تعالى لدعوة الوالدين
132	الفصل السابع: ما جاء عن بر الوالدين بأبنائهم
146	الفصل الثامن: ما جاء في حق الوالدين على أبنائهم
148	الفصل التاسع: ما جاء في حق الوالدين في مال أبنائهم
151	الفصل العاشر: ما جاء في عدم جواز ترك الوالدين من أجل الغزو والجهاد
157	الفصل الحادى عشر: ما جاء في بر الوالدين بالشكر والدعاء والاستغفار لهما
163	الفصل الثانى عشر: ما جاء في بر الوالدين بطلاق من لا يرضيان عنها
168	الفصل الثالث عشر: ما جاء في بر الوالدين بالصدقة والتصدق عنهما
172	الفصل الرابع عشر: ما جاء في بر الوالدين بالحج عنهما
176	الفصل الخامس عشر: ما جاء في بر الوالدين بزيارة قبرهما
180	الفصل السادس عشر: ما جاء في بر الوالدين بصلة من كان يوادهم
181	الفصل السابع عشر: ما جاء في جزاء النظر برا للوالدين
183	الفصل الثامن عشر: ما جاء في إجابة دعاء من بر بوالديه
185	الفصل التاسع عشر: ما جاء عن البر من أقوال
213	
215	- ذكر الله تعالى الأبناء في القرآن الكريم تحت مسميات
215	- تعريف الحق لغة

218	الفصل الأول: الوصاية بالأبناء
221	الفصل الثاني: ما جاء في حقوق الابن على والده
230	الفصل الثالث: بر الآباء للأبناء بالنصح والإرشاد والصبر عليهم
234	الفصل الرابع: ما جاء في من قتل ابنه
235	خاتمة الكتاب
236	كتب للمؤلف
239	المراجع

